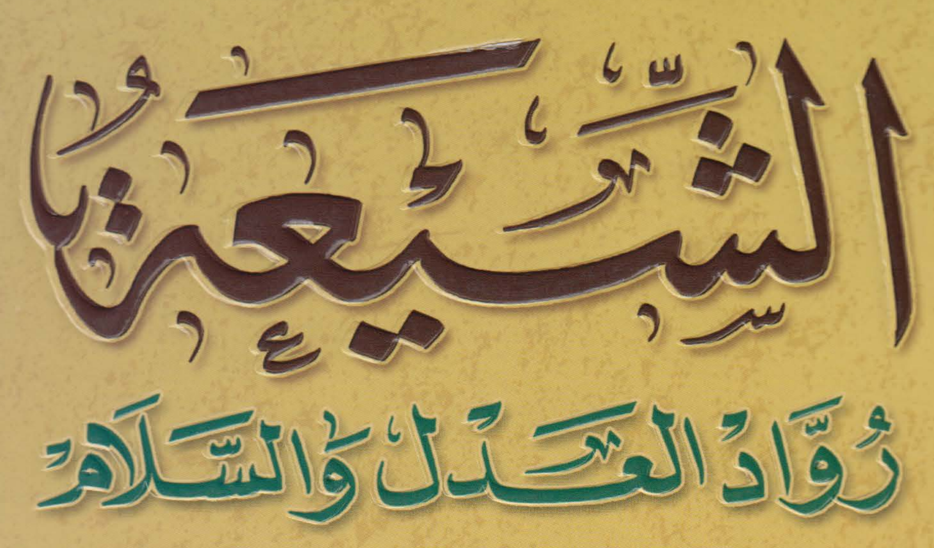


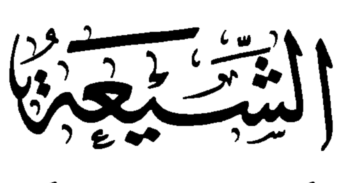
دراسة حول أسلوب الشيعة في الحياة وبيان أصالة
فكرهم ومبادئهم في تحقيق العدل والسلام على مدى التاريخ



بقلم
الشيخ مجيد الصائغ

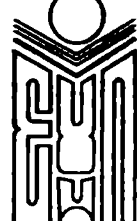



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


الشيعة
رواد العدل والسلام

الطبعة الثالثة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

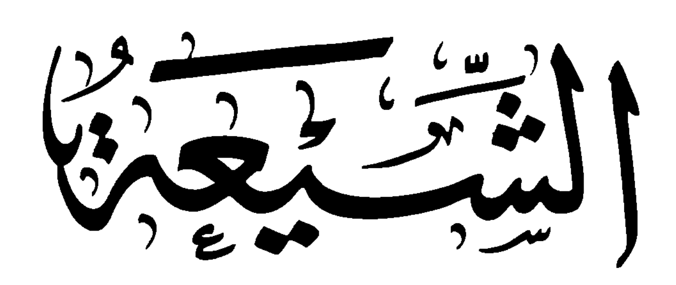




لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الإسلامي - بناية حطيط

هاتف: 009613514905 - الفاكس: 009611553119

تتشرف بالتواصل معكم E-mail : Albalagh-est@hotmail.com



رواد العدل والسلام

دراسة حول أسلوب الشيعة في الحياة وبيان أصالة فكرهم ومبادئهم
في تحقيق العدل والسلام على مدى التاريخ

بقلم

الشيخ مجيد الصائغ

مؤسسة البلاغ

بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمة الطبعة الثالثة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، دين المحبة والسلام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد.

يعيش العالم اليوم حالةً من التمزّق والتناحر والتقاتل تكاد تكون من المنعطفات الخطيرة على مدى التاريخ وهذه الحالة ليست بالجديدة فهي قد نشأت منذ بداية نشأة الإنسان على الأرض إلّا أنّها تضعف وتقوى من زمن إلى آخر ومن بقعة إلى أُخرى، وتختلف شدة وضعفاً باختلاف الأديان والثقافات وقد كانت الرسالات السماوية قاطبةً تدعو إلى التسامح والمحبة وتسعى إلى إرساء ثقافة قبول الآخر وعدم التعامل معه بنفس أُسلوبه، وهذا القرآن يحدثنا عن ابني آدم ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾[1]، والفرق واضح من الآية بين المسلكين مسلك النفس الأمارة بالسوء ومسلك من يخاف الله

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

إذاً الرادع الديني له أثره في تربية النفس وبتالي في تربية المجتمع وبناء الجماعة الصالحة.

هكذا كانت رسالات السماء وهكذا هي رسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وهذا هو نهج الأئمة عليهم السلام من بعده وسيرتهم وتاريخهم شاهدٌ على ذلك وبين أيدي الجميع تعاليمهم وكلماتهم ووصاياهم التي ترسم صورةً مشرقةً للإنسان الكامل والأنموذج الصالح الذي به كمال المجتمع وصلاحه وتطوّر الأمة وهدايتها وقد سار على نهجهم أتباعهم وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والتحمل وقبول الآخر والدعوة إلى النهج القويم بالحكمة والموعظة الحسنة فكانوا بحق رفاداً للعدل والسلام والمحبة والوئام وفي كتابنا هذا سلطن الضوء على هذه الحقيقة وأبرزناها للقارئ الكريم ليتعرّف على هذا الجانب المشرق من تاريخه الإسلامي ودستوره القويم وليلتفت إلى منهج أئمته الكرام وعلمائه الأعلام في التعامل مع المخالفين بكل أدب ومحبة.

وبلطف منه تعالى طبع هذا الكتاب مرتين في السنوات السابقة ولاقى استحسان وقبول القراء الكرام وحيث نفدت جميع نسخه رغب إليّ جمع من الأخوة - وفقهم الله لمراضيه - في إعادة طباعته لمزيد من النفع والفائدة فامتثلت لرغبتهم وأعدت النظر فيه لإخراجه بحلّة أجمل وأبهى راجياً الدعاء من الأخوة والأخوات المؤمنين والقبول من ربّ العالمين والله من وراء القصد.

الشيخ مجيد الصائغ

٣ رجب الأصب/ ١٤٣٥هـ

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على طه الأمين وآله النجباء الأكرمين وعلى من والاهم واهتدى بهديهم إلى قيام يوم الدين، وبعد.

فإنّ الشيعة الإمامية الاثني عشرية هم ينتمون إلى أقدس بيت للطهارة والعصمة والفضل ألا وهم آل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين، ويكفي الشيعة شرفاً وعنواناً لهم أنّهم يتّبعون في نهجهم من زمن الرسول الأكرم ﷺ منذ ذلك الزمان وإلى يومنا الحاضر وحتى قيام الساعة.

ونتيجةً لهذا الاتّباع والانتماء ولإيمانهم بأنّ الإمام المعصوم المنصوص عليه هو الذي يتولى قيادة الأمّة والإمامة العامة للمسلمين تحمّلوا أشدَّ ألوان الأذى والتعذيب والتهم الباطلة على مدى قرون طويلة من الزمن.

وقد أنكر المخالفون عليهم ذلك لذا شنّوا حروباً ظالمة منذ مئات السنين على الرغم مما يتّصف به الشيعة من الهدوء والمحبّة والتعايش السلمي الذي يعترف به القاصي والداني والموالف والمخالف، والتزامهم بمبدأ التقية والتي تجعلهم يعيشون رواداً للعدل والسلام على مدى التاريخ الطويل مع أعدائهم فضلاً عن محبيهم والتاريخ مملوء

بالشواهد على تسامحهم مع الآخرين حتى في أشدّ الظروف القاسية عبر مراحل الحياة البشرية تبعاً للأئمة المعصومين الذين نهجوا هذا النهج السليم والموافق للفطرة والعقل السليم.

والأنكى من ذلك أنّ المخالفين قالوا: إنّ عقيدة الشيعة هي نزعة فارسية استقاها الشيعة من الفرس وعملوا بها في مفردات حياتهم الدينية.

وهذا بالحقيقة هو الظلم بعينه، والافتراء بذاته؛ لأنّ الشيعة هم الفرقة التي شايعت وتابعت محمداً ﷺ وأهل بيته المعصومين الطيبين الطاهرين، واقتدت بإسلامهم الحقيقي الواقعي الذي بلّغ به رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الباري جلّت قدرته.

ولم يكن الشيعة في يوم من الأيام ليتبعوا شخصاً يجتهد في آرائه مع وجود النصوص الشريفة القاطعة.

الشيخ مجيد الحاج محمد سعيد الصائغ
العراق/ النجف الأشرف
من جوار العتبة العلوية المطهرة



مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى الأئمة الراشدين المعصومين الذي ارتضاهم الله لغيبه واختارهم لسره وخصهم بنوره الذي يهدي به من يشاء.

وبعد:

فإنّ الطائفة الشيعية التي أعزها الله وسدّدها على مرّ العصور والأيام ومنذ أن انتهجت خط الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وجعلته دستوراً لها يمثل القرآن بكل ما فيه من تشريعات السماء وتعاليمها التي نزلت على الرسول محمد صلى الله عليه وآله الذي جاهد لتطبيق مفرداتها وسط الجزيرة العربية أولاً ومن ثمَّ إلى عموم البشرية جمعاء قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

ومنذ تلك اللحظات الأُولى لعصر الرسالة والشيعة عموماً كانوا طلاب حق وسلام وقد تجسَّدت فيهم هذه القيم من روح الرسالة المحمدية.

وهم لا يرون الظلم لبني البشر وحتى الكافر منهم وهذا ديدنهم منذ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

أن بزغ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا؛ نتيجة لتمسكهم بمفاهيم القرآن الكريم وتعاليمه التي أخذوها من الأئمة المعصومين الإثني عشر عليهم السلام الواحد بعد الآخر الذين اعتبروا عدم الالتزام بالعدل والسلام من الكبائر.

ولما كانت الشيعة سائرة على نهج أهل البيت عليهم السلام فقد أمعنت سلطات الجور والظلم بمطاردتهم والتنكيل بهم واضطهادهم أشدّ الاضطهاد ولا لشيء إلّا لأنّهم يسيرون خلف الحق والعدل والسلام.

والحقيقة أنّ أنصار الحق قليلون كما قال تعالى:

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1].

وكما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما ترك لي الحقّ من صديق».

والواقع أنّ الإسلام منذ فجر ولادته كان يحمل روح الهداية والمحبة والسلام وكان من أبرز سماته تحقيق العدل والصلاح على أرض الواقع وتطبيقه على واقع الحياة.

وقد قام الشيعة بدور إيجابي وفعال في نشر المساواة والحرية على مر التأريخ والتفاعل مع الحياة.

وتعتبر الشيعة هي المدرسة الأنموذجية لراية العدل والسلام الخفاقة.

والهدف من تأليف الكتاب هو بيان الخطوط العريضة لمسار الشيعة

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧٠.

وأهدافهم التي ينشدونها لأنّهم ينتمون في متابعتهم ومشايعتهم لأعظم رائد للإنسانية جمعاء في مضمار العدل وتحقيق المساواة ألا وهو الإمام الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام . الذي شهد له العدو قبل الصديق بعدله وإيمانه.

وينبغي على كل من يريد التعرف على هذا المذهب أن يدرس ويبحث عنهم بشمولية وإنصاف لكي يكون حكمه بعيداً عن التهم والأباطيل والعناد أمّا إذا كان بخلاف هذا فإنّه يكون بعيداً عن الروح الإيمانية الصحيحة والمعتقد السليم.

والأجدر بذوي البصائر أن يدرسوا الفكر الشيعي ويطلعوا على تلك الثروة الفكرية الضخمة والتراث الأصيل الذي خلفه علماؤهم الأوائل الذين استقوه من مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي هي الامتداد الطبيعي للرسالة الإسلامية.

والذي أسطره في هذا الكتاب هو رسالة إلى الأُمة العربية والإسلامية والعالم أجمع وبالأخص المفكرين والمثقفين منهم الذين لم يطلعوا على عقيدة الشيعة وثقافتهم للوقوف على الحقيقة بدقة متناهية وتفاصيل شاملة لنبذ العصبية البغيضة والخلافات المقيتة بين صفوف المسلمين خاصة وغير المسلمين عامة.

قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوحد كلمة المسلمين ويرص صفوفهم ويجمع شملهم على الهدى والاستقامة وأن يعيش الجميع بأمن وسلام تحت راية الإسلام الخفاقة ببركة محمد وآهل بيته الأطهار ونسأله تعالى أن يثيبنا على هذا الجهد المتواضع ويجعله ذخيرة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

وأن ينشر العدل والسلام والمحبة في أرجاء المعمورة تلك الأهداف التي سعى أئمة أهل البيت عليهم السلام وخلفهم شيعتهم إلى تحقيقها لكي يعطوا الصورة الحقيقية عن سيرة أئمة الهدى عليهم السلام ويكونوا كما يريدون عليهم السلام فمحبهم من يفعل أفعالهم ويقتدي بهم ولا يخرج عن نهجهم ولا يكتفي بالانتماء إليهم عليهم السلام بالأقوال دون الأفعال، والله ولي التوفيق إنّه نعم المولى ونعم النصير.

مجيد الصائغ

٨ جمادي الأولى ١٤٢٥هـ

العراق/ النجف الأشرف

من جوار المرقد الحيدري الشريف

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

إضاءة

نحن في عصر الذرة والعلم حيث التطور الهائل والإمكانات العلمية الواسعة التي لا حدود لها مضافاً إلى تطور الوسائل العلمية التي بلغت حداً من الانتشار حتى دخلت في كل بيت تقريباً بما فيها الدول الفقيرة وبإمكان عموم الناس الاطلاع على الحقّ والحقيقة والوقوف على الشبهات.

ومما يؤسف له أن بعض الفئات من الناس - هداهم الله إلى طريق الحق - يفترون على هذه الطائفة المؤمنة الموحدة السائرة على نهج الرسول محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

لا لشيء إلّا لأنّهم يرون أن أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن الكريم بل هم القرآن الناطق وهذا العداء لا يتناسب مع الخلق العربي والطبع الإنساني بغض النظر عن إيمانهم بالله تعالى.

ومن الآداب والخلق الحسن أن ينبذ الافتراء والسباب والتهم وأن يحترم كل فرد من الناس أفكار ومعتقدات الآخرين وأن يعيش الجميع تحت قانون العدل والسلام والله ولي التوفيق.

روضة مِنْ قرائح الولاء

(حمام السلام)

بكل مساء يسود الظلامْ يكون هناك أسىً واحتدامْ
وبينا تقضّيه في سمرٍ طغاةٌ يلذ لها الانتقامْ
تموتُ به فتيةٌ آمنت ويُجلد باسم السلام السلامْ
تضجُ السجون بنائحةٍ على طفلها مات قبل الفطامْ
ويصرخ طفل رأى أبويه يذوقان بالظلم موتاً زؤامْ
ولا ذنبَ إلّا عقيدة حُرٍّ وفكر أبيٍّ ونهج كرامْ
وتلك مدى الدهر تجربةٌ يورثها للّئيم اللئامْ
فقابيل خطَّ لها مسلكاً وهامان أبدع فيها وهامْ
وفرعون والأُمويّون بعداً ومن سلَّ للظلمِ ألف حسامْ
فراحت ضحيته الصلحاءُ ولم ترَ منه الشعوبُ الجمامْ
وسادت شريعة غابٍ بها يُزانُ هوانُ الورى بالأثامْ
هنالك للحق دوى النداء وداعي السماء دعا للقيامْ
وللسلم أعلن دعوته فتىً هاشميٌّ أمينٌ هُمامْ
وآزره المرتضى حيدرٌ وما انفكَّ كفْؤ المهام الجسامْ
وكانت دعاة السلام الكرام الأماثل شيعة خير الأنامْ
فكم صمدت نحوحفظ الحقوق ما عنه يعجز قومٌ ضخامْ

وكم صبرت وهي قادرةٌ وفي يدها لا سواها الزِّمامْ
وكم عالجت سقم الآخرين بما بين أحشائها من سقامْ
وكم أسهمت في ثغور البلاد ببذل الصدور لصدِّ السهامْ
وكم جُرِّعت لافتداء الأباة بقوةِ عزمٍ كؤوس الحمامْ
وكم حُطِّمت دورُهم ورضوا لكي لا ينال الهداة الحطامْ
وما بهم مرَّ يجري الدموع ولكنهم حولوها ابتسامْ
ففي كل ذاك رضا خالق الكون وهو الرجاء وأقصى المرامْ
وشتّان في الأرض بين العقول بما تستطيب وبين السوامْ
وشتان ما بين صعب الحلال لدى الاختيار وسهل الحرامْ
ومَن هاهنا في الحياة يُضام لدى الله في الحشر ليس يُضامْ
وإن شقّ بين الطغاة المقامُ فبين التقاة يلذ المُقامْ
وللنفس معراجها للعلا إذا أمسك العقل منها اللجامْ
وما المجد إلّا بركب السلام المسير إلى المرتضى والإمامْ
ويبقى بهذا الطريق الطويل على صدر شيعة طه الوسامْ
فهم أهله وذوو دربه وأبناء بجدتها لا كلامْ
ولن يُثنها عن طريق الكفاح عواصف ضدّ السلام عُرامْ
ستحميه بالروح أمنَ العباد وتمنحه منه روح الدوامْ
وشيعة آل النبي الكريم ستبقى بصدق حمام السلامْ

الشيخ علي المظفر

النجف الأشرف/ غرّة رجب الأصب ١٤٢٥هـ

شيعة الرحمن

إنّ التشيع في الإسلام مصدره نور الهداية والأتباع معناه
أتباع طه وأتباع الإمام علي فهو العقيدة والرحمن سمّاه
هم شيعة الله والقرآن ذاكرهم قول الجليل لإبراهيم ناداه
من شيعة الله إبراهيم واصفه مولى الإله ومن في الخلق مولاه
وأن آدم شيعي بفطرته فهو النبي إله الكون سمّاه
أوحى إليه بأسماء يرددها حتى يفوز وينجو من بلاياه
بخمسة حول عرش الله موقعهم محمد المصطفى طه وسبطاه
وفاطم وعلي من بهم غفرت له الذنوب وآدم قد تلقاه
نوح النبي بهم سارت سفينته لولاهم غرقت نوح رعاياه
آثارها لم تزل للخلق قائمةٌ بخمسة خطها نوح بيمناه
كل النبيين قد بانت مودتهم قدماً لآل رسول الله تهواه
فشيعة الله في العلياءِ موقعها نور العقيدة والرحمن غذّاه
قبل الخليقة هذا الاسم نحمله فهو النجاة وسرٌّ في خفاياه
نور الهداية والإيمان كامله بغيره لا يبلغ الإيمان مغزاه
يوم الغدير ومعروف حكايته الله أنزل قرآن لمولاه
تبارك الله من والى أبا حسنٍ لم يكمل الدين دين الله لولاه

ولاية الله في نفس النبي علي قرآن حق عظيم في وصاياه

وعترتي أهل بيتي في مودتهم تمسك الحق والرحمن يرضاه

صلى الإله على طه وعترته ونعمت الله قد تمت بذكراه

ورحمة الله خصت في ولايتهم والمؤمن الحق مسرور بتقواه

يا أمّة السلم والإسلام فاتحدي على الولاية في درب سلكناه

درب العقيدة والتوحيد يجمعنا ولا نهدم ديناً قد بنيناه

إسلامنا واحد الله جاعله وفي الكتاب بنص قد قرأناه

السيد عباس السيد هادي الفحام

النجف الأشرف/ الكوفة

غرة ربيع الأول ١٤٢٥هـ



الحب والسلام

ألقت عليك بثقلها الأعوام وتتابعت بصراحها الآلامُ
من فتنة لا تنطفي جمراتها وتديم في إذكائها الأيامُ
لو كنت ألقى دونها حتفي أسىً ما كنت أنهى في العلى وأُلامُ
من سادرين بغيهم في قولهم إنّ المجازر بدؤوها الإسلامُ
فهو الذي أجرى الدماء سخية في الأرض حتى ملّها الأقوامُ
وهو الذي جعل الرجال أذلّة يستعبدون بظلّه ويضامُ
وهو الذي جعل النساء خواملاً مثل السوائم جهرةً تستامُ
بالسيف قد نشروا مبادئ دينهم والسلم إن نطقوا به فكلامُ
قل للألى غمطوا الحقيقة حقّها ما تدّعون فباطل تمتامُ
هذا هو القرآن ينطقُ بينكم وتناثرت في طيه الأحكامُ
قد قال لا إكراه قولاً صادقاً لا اللبس يخفيه ولا الإيهامُ
لا يزهق الأرواح دون جريرةٍ معلومة فدم البريء حرامُ
ومحمد ذاك الرحيم بقلبهِ عدلٌ وأمن دائم ووئامُ
قد كان يدفع بالتي هي أحسنُ أنكى الجراح بلطفه يلتامُ
ما كان سفاك الدماء بطبعه حتى شكا لذراعه الصمصامُ
يعفو عن الجاني ويبدي رقةً لأسيره وينالـه الإكرامُ

يدعو إلى الإسلام في أخلاقه فلذاك قد ذلت له الأقوامُ
ووصيه الكرار تلك طباعه يلقى العدو وثغره بسّامُ
ما كان يصلت سيفه لقتاله إلّا إذا نفذت إليه سهامُ
يدعوهم للسلم حقناً للدما ويردهم عن غيهم إن قاموا
وبنوه أبناء النبي محمد ما قام منهم للقتال إمامُ
إلّا إذا وجد النصيحة أُغفلت وعلا بآفاق السماء قتامُ
وكذاك أتباع النبي وآله فشعارهم حبّ بدا وسلامُ
لا يبدؤون عدوهم بقتاله إلّا إذا ديست هناك ذمامُ
مستمسكين بنهج آل نبيهم وهم لنهج الصالحين ختامُ
يدهم هي العليا وما ذلت يدٌ بالعروة الوثقى لها استعصامُ
قل للذين تشدقوا بمقالهم يحدوهم جهل بدا وخصامُ
عودوا إلى التأريخ في صفحاته تجدوه نهج الصالحين يُقامُ
تجدوه شيعة آل بيت محمد صفحواعن الأعداء بل قد حاموا
أين المسيح وأين ما قد ذبحت أتباعه كم خطت الأقلامُ
قالوا بأنّ السلم دين نبيهم وبه لمن يرجو النظام نظامُ
ومضواإلى حمل الصليب تقودهم أطماعهم والحقد والأوهامُ
سلكوا طريق البغي في غمراته وتجبروا والحادثات جِسامُ
حتى إذا سفكَ الدِّماء صَليبهم وقضتْ هناك من النفوس فئامُ
كشفت بناتُ الدهرزيفَ طباعهم وبدا على تلك الأنوف رغامُ
أترى يقاس التابعون محمداً بسواهم قد ضلّت الأحلامُ

ومحمد رجل السلام تحيرت في وصفه الأفكار والأقلامُ
هذا هو الخلق العظيم وهذه آثاره وكذا هو الإسلامُ

فؤاد شنون

النجف الأشرف

غرة ربيع الثاني ١٤٢٥هـ



قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنردّ المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك»[١].

يضع أمير المؤمنين عليه السلام منهجاً لمنصب الخلافة يتجسد في عدم طلب الجاه والسلطان... والتحكم في رقاب الناس وإشباع غريزة التسلط والحكم والحصول على المال والثروة وحطام الدنيا الزائل، وإنّما الغاية إصلاح الأمة تربوياً وعقائدياً وبسط العدل في البلاد والعباد وإقامة حدود الله تعالى وحكمه على أرض الواقع فتُستردّ الحقوق من الظلمة ويأمن المظلومون وتتحقق العدالة الاجتماعية والرخاء الإلهي في دنيا الإنسانية.

---

(١) شرح نهج البلاغة/ج٨ ص٢٦٣.

تعريف الشيعة

تعريف الشيعة

لغةً واصطلاحاً:

الشيعة لغة: الشيعة في المنظور اللغوي تعددت تسمياتها واتحدت في معانيها.

يقول ابن منظور: (وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع المذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد وقد غلّب هذا الاسم على من يتولى علياً عليه السلام وأهل بيته (رضوان الله عليهم أجمعين) حتى صار اسماً خاصاً فإذا قيل: فلان من الشيعة، عرف أنّه منهم[1].

ويقول الحافظ الأزهري: (الشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويوالونهم)[2].

ويقول صاحب القاموس: (وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً عليه السلام وأهل بيته حتى صار اسماً خاصاً لهم)[3].

---

(١) لسان العرب ١٠: ٥٥.

(٢) لسان العرب ١٠: ٥٥.

(٣) القاموس ٣: ٤٧.

ويقول صاحب تاج العروس: (إذا قيل: فلان من الشيعة، عرف أنّه منهم وفي مذهب الشيعة كذا عنهم وأصل ذلك من المشايعة والمطاوعة)[١].

ويقول الجوهري: (شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، يقال: شايعه، ويقال: والاه)[٢].

ويقول صاحب المنجد: (الشيعة: الواحد شيعي الفرقة وتقع على الواحد والاثنين والجمع مذكراً ومؤنثاً وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً ويعرف أيضاً بالمتوالي ج: متاولة أهـ)[٣].

ويقول الفخر الرازي: (وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره وتشيع الرجل ادعى دعوى الشيعة... أهـ)[٤].

ويقول صاحب المعجم الوسيط: (شايعه مشايعة وشياعاً: تبعه وصحبه وأيّده وتشيع: انتحل مذهب الشيعة)[٥].

الشيعة اصطلاحاً:

الشيعة بالمعنى الاصطلاحي هم أتباع الإمام علي عليه السلام في منهجه وهديه المتدينون بدين صاحب الشريعة الغراء صلى الله عليه وآله وسلم ولا صلة لهم

(١) تاج العروس ٥: ٤٥٠.
(٢) الصحاح.
(٣) المنجد في اللغة والأعلام.
(٤) مختار الصحاح.
(٥) المعجم الوسيط ١: ٥٠٥.

بالسياسة المنحرفة البعيدة عن جادة الحقّ من قريب أو بعيد بل الالتزام بفعل النبي ﷺ وأقواله الشريفة أمّا فعله ﷺ فقد اختار النبي ﷺ علياً أخاً له ونجياً وقام بتربيته ونشأته منذ عهده بالحياة واهتم بتعليمه وتهذيبه حتى أصبح كما يشاء الرسول ﷺ وقد اعتمد عليه النبي ﷺ في المهمات وساعة العسرة فهو الذي بلغ عنه سورة براءة وندبه إلى قتال عمرو بن ود ومرحب وباهل نصارى نجران به وبزوجته فاطمة الزهراء عليها السلام وولديها الحسن والحسين عليهما السلام وهو صاحب المناقب التي لا يبلغها الإحصاء.

وقد نصّ النبي عليه عليه السلام في مناسبات شتّى أولها حين نزلت الآية الشريفة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]. حيث جمع من أهله ثلاثين رجلاً فأكلوا وشربوا وقال لهم الرسول ﷺ: «هذا وارثي ووزيري وخليفتي عليكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا»، مضافاً إلى عشرات الأقارب وختامها حديث: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[2].

ولما كان اسم التشيع يدل على الإتباع فإنّ من الثابت أنّ اسم الشيعة كان على عهد النبي ﷺ وكان يدل على نفر قليل من الأتباع والموالين في بدء الدعوة الإسلامية المباركة.

يقول أبو حاتم الرازي: (إنّ أوّل اسم ظهر في الإسلام هو الشيعة

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) راجع أعيان الشيعة للأميني والمراجعات للسيد شرف الدين، دلائل الصدق للمظفر مضافاً إلى ما أثبته السنة في كتبهم وأسانيدهم في عشرات المجلدات التي تعتبر من أمهات المصادر لديهم.

وكان هذا لقب ثلة من الصحابة هم: أبو ذر وسلمان وعمار والمقداد وجابر بن عبد الله وحذيفة اليماني وبريدة وأبو أيوب الأنصاري حتى آن أوان صفين فاشتهر بين موالي علي «رض»[١].

ويقول ابن النديم: (لمّا خالف طلحة والزبير على علي عليه السلام، وأبيا إلّا الطلب بدم عثمان وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله عزّ وجلّ سُمّي من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول: شيعي..)[٢].

ومنذ عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان الشيعة يسيرون على نهج علي عليه السلام لأنّه الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله والرسالة فكان علي عليه السلام هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله ولكن لا بشخصه وهو الرسالة التي هي رسالة السماء فهو المطبّق الحقيقي لها على أرض الواقع العملي فكانت الرؤيا لدى الشيعة لعلي من هذا المنظور لأنّه مذهب الحق والتمسك به عليه السلام نجاة من الضلالة وقد قرن الله عزّ وجلّ علياً وأهل بيته عليهم السلام بالكتاب العزيز الدال بكل صراحة على إتباعهم والتمسك بهم.

وقد ثبت بطرق أهل السنة أنّ النبي أول من أطلق لفظ الشيعة على من أحبّ علياً وتابعه.

يقول ابن حجر في الصواعق: (إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا علي إنّك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين»[٣].

---

(١) روضات الجنات: ٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الصواعق المحرقة: ٩٢.

ويقول السيوطي في الدر المنثور: (إنّ النبي ﷺ قال: «إنّ هذا - وأشار إلى علي عليه السلام - وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»[١].

فالشيعة يرون أنّ أئمة أهل البيت وإن كانوا أصحاب الحق بالنص إلّا إنّهم لا يريدون حقهم حباً للسلطة ورغبة في الحكم بل من أجل إقامة الحق وتشييد الدين وإشاعة العدل كما يشهد بذلك كثير من كلماتهم عليهم السلام [٢].

وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: «اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك»[٣].

وقال عليه السلام في آخر خطبة له تسمى الشقشقية: «أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ولولا حضور وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[٤].

وفي كلام له مع عمّه العباس بالتعقيب على تعيين عمر جماعة

---

(١) الدر المنثور ٨: ٥٨٩.

(٢) في رحاب العقيدة ٢: ٥٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ١: ٢٠٢.

الشورى قال عليه السلام : «والله ما بي رغبة في سلطان ولا حبّ الدنيا ولكن لإظهار العدل والقيام بالكتاب والسنة»[1].

نستنتج من خلال هذه النصوص الشريفة التي وردت عنه عليه السلام أن لا قيمة للسلطان والسيطرة على رقاب الناس لديه عليه السلام بل الزهد في هذه الدنيا وحطامها لولا إقامة الحق وإدحاض الباطل ونصر المظلوم على الظالم ولذا حذا الشيعة حذو إمامهم في الابتعاد عن المناصب والسلطان فمالهم وللدنيا حبّ الدنيا رأس كل خطيئة.

وقد جسّد هذا النهج على الواقع أبو الشهداء وسيد الأحرار الإمام الحسين عليه السلام حينما أوصى لأخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من مكة مقولته الشهيرة: «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين»[2].

والتشيع لا يمثل انتماءاً شخصياً لعلي وأهل بيته وإنّما يمثل انتماء للخطّ الذي ساروا عليه وعملوا من أجله وجاهدوا في سبيله وهو خطّ الإسلام في خط رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقضية الولاية ليست نبضة قلب وخفقة إحساس ولكن الولاية تعني

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٥١.
(٢) بحار الأنوار ١: ٨.

أن توالي الله تعالى فتطيعه وتوالي رسول الله ﷺ فتتبعه وتوالي أهل البيت عليهم السلام فتتحرك مع نهجهم في طاعة الله سبحانه ومع محبته في ذلك كلّه.

ويوضح الإمام الباقر عليه السلام هذا المعنى بقوله لجابر وهو أحد أصحابه: «يا جابر أيكفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ والله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة وبر الوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير وكانوا أمناء عشائرهم»[١].

وهذه المبادئ هي أساس التشيع لأنّ التشيع هو الإسلام كلّه في خطه الأصيل وهو مسؤولية كبرى وليس هو تعصباً طائفياً بل هو الخطّ الذي انطلق منه أهل البيت عليهم السلام ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»[٢].

والتشيع في حقيقته هو الخطّ الرسالي المتسم بالواقعية والأخلاقية والتواضع وحبّ الآخرين لأنّه خط علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي ترعرع في بيت الرسالة وتغذى من معينها الذي لا ينضب فصار امتداداً طبيعياً

(١) روضة المتقين ١٢: ٧٩.
(٢) بحار الأنوار ٢: ٩٩.

لها فشكّل وأهل بيت العصمة وأئمة الهدى العدل الآخر للإسلام والثقل الثاني المكافئ للقرآن الكريم فالتمسك بكتاب الله الصامت لا يكفي بل الالتزام بهما معاً هو الأساس في الابتعاد عن حيرة الضلالة والدخول في عالم الحقيقة والهداية والفلاح.



الشيعة بين القرآن والسنة

الشيعة بين القرآن والسنة

حددت آيات القرآن الكريم منزلة المؤمنين الصالحين وأعمالهم المرضية وإيمانهم بالله ورسله وما لهم من الأجر والمثوبة عند الله سبحانه.

ولا شكّ أنّ الشيعة أحد مصاديق أهل الإيمان الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الأقدس.

واسم الشيعة ورد صريحاً ومؤولاً في القرآن فقد ذكر الله تعالى شيعة إبراهيم عليه السلام وشيعة موسى عليه السلام وشيعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا ريب هم أولى لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ولقد تبعوه وتابعوه وعلى رأسهم وصيه وابن عمه وأول المؤمنين به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن تلكم الآيات المباركة التي وردت في القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[1].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾[2].

---

(١) سورة البينة، الآية: ٧.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٨٣.

٣ - قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[١].

٤ - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٢].

٥ - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٣].

٦ - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[٤].

٧ - قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٥].

٨ - قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٦].

٩ - قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[٧].

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٥.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٨ - ٨٩.
(٣) سورة غافر، الآية: ٧.
(٤) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٥) سورة غافر، الآية: ٩.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
(٧) سورة النساء، الآية: ٦٩ - ٧٠.

١٠ - قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[1].

١١ - قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

١٢ - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾[3].

١٣ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[4].

١٤ - قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[5].

١٥ - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

١٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7].

١٧ - قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾[8].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٩.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٤) سورة مريم، الآية: ٨٥.
(٥) سورة المطففين، الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٦) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(٨) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

١٨ - قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

والذي يظهر من هذه الآيات الشريفة أنّها تعطينا صورة واضحة عن المؤمنين ومكانة الشيعة باعتبارهم أحد مصاديق أهل الإيمان لأنّ التوحيد خالط لحمهم ودمهم ولقد أحبّوا من أحبه الله وساروا على نهجه فبشروا بعدم الخوف يوم الفزع الأكبر بل ستتلقاهم الملائكة بالبشرى والأمان لأنّهم تولوا الله ورسوله وآمنوا به وبرسله وأنبيائه وكتبه فأنعم الله عليهم برفقة الصديقين والشهداء والصالحين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

وربّ معترض يقول: ما علاقة شيعة نوح أو شيعة إبراهيم أو شيعة موسى بشيعة علي حتى تحتجوا بتلك الآيات الشريفة؟

فنقول: إنّهم أُمّة واحدة لأنّ منهج نوح ومنهج إبراهيم ومنهج موسى وعلي عليه السلام منهجٌ واحدٌ ديناً قيماً فحال بعضهم كحال الآخر.

ومن تلك الروايات التي وردت في السنة الشريفة:

١ - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «يا علي شيعتك هم الفائزون يوم القيامة فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك ومن أهانك فقد أهانني ومن أهانني أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وبئس المصير يا علي أنت مني وأنا منك روحك من روحي وطينتك من طينتي وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا فمن أحبهم فقد أحبنا

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

ومن أبغضهم فقد أبغضنا ومن عاداهم فقد عادانا ومن ودّهم فقد ودنا يا علي إنّ شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب يا علي أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا أقمت المقام المحمود فبشرهم بذلك يا علي شيعتك شيعة الله وأنصارك أنصار الله وأولياؤك أولياء الله وحزبك حزب الله يا علي سعد من تولاك وشقي من عاداك يا علي لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنيها»(١).

٢ - عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قال سلمان الفارسي رحمة الله عليه، كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: يا علي ألا أُبشرك؟

قال: بلى يا رسول الله.

قال: هذا حبيبي جبرائيل يخبرني عن الله جل جلاله انّه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت والأُنس عند الوحشة والنور عند الظلمة والأمن عند الفزع والقسط عند الميزان والجواز على الصراط ودخول الجنة قبل سائر الناس من الأُمم بثمانين عاماً»(٢).

٣ - عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل قال: «إذا كان يوم القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وشيعته على كثبان من المسك الأذفر على منابر من نور يحزن الناس ولا يحزنون ويفزع الناس ولا يفزعون ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾،

(١) أمالي الصدوق: ١١.
(٢) آمالي الصدوق: ٢٠٢.

فالحسنة والله ولاية علي عليه السلام ثمَّ قال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١].

٤ - عن علي عليه السلام قال: «شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد من يحسدني فقال: يا علي أما ترضى أن تكون أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت وذرارينا خلف ظهورنا وشيعتنا عن إيماننا وشمائلنا»[٢].

٥ - في الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شيعتنا بمنزلة النحل لو يعلم الناس ما في أجوافها لأكلوها»[٣].

٦ - وعن علي عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارها واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون بفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا»[٤].

٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «توضع يوم القيامة منابر حول العرش لشيعتي وشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا ويقول الله عزّ وجلّ: هلمّ يا عبادي إلي لأنشر عليكم كرامتي فقد أوذيتم في الدنيا»[٥].

٨ - عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا ابن يزيد أنت والله منا أهل البيت.

قلت: جعلت فداك من آل محمد؟

---

(١) تفسير القمّي: ٤٣٤.
(٢) الخصال ١: ١٢١.
(٣) الخصال ٢: ١٦٣.
(٤) الخصال ٢: ١٦٩.
(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٠.

قال: إي والله من أنفسهم.

قلت: من أنفسهم جعلت فداك؟

قال: إي والله من أنفسهم يا عمر أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أما تقرأ قول الله عز اسمه: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

٩ - عن أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ضرب كتف علي بن أبي طالب بيده وقال: «يا علي من أحبّنا فهو العربي ومن أبغضنا فهو العلج من شيعتنا أهل البيوتات والمعادن والشرف ومن كان مولده صحيحاً ومات على ملة إبراهيم عليه السلام إلّا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء وان لله ملائكة يهدمون سيئات شيعتنا كما يهدم القوم البنيان»[2].

١٠ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حقوق شيعتنا علينا أوجب من حقوقنا عليهم.

قيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: لأنّهم يصابون فينا ولا نصاب فيهم»[3].

١١ - عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿. . . تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾.

---

(١) أمالي الطوسي ١ : ٧٦.
(٢) أمالي الطوسي ١ : ١٩٤.
(٣) أمالي الطوسي ٢ : ٣١٠.

قال: أمّا الشجرة فرسول الله ﷺ وفرعها علي عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة بنت رسول الله عليها السلام وثمرها أولادها عليهم السلام وورقها شيعتنا.

ثمَّ قال: إنّ المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وان المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجرة الورقة»[١].

١٢ - عن أبي بصير قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام وهو يقول: «نحن أهل بيت الرحمة وبيت النعمة وبيت البركة ونحن في الأرض بنيان وشيعتنا عرى الإسلام وما كانت دعوة إبراهيم إلّا لنا وشيعتنا ولقد استثنى الله إلى يوم القيامة إلى إبليس فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾»[٢].

١٣ - عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾.

قال: هم شيعتنا أهل البيت»[٣].

١٤ - عن خيثمة الجعفي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال لي: «يا خيثمة أبلغ موالينا منا السلام وأعلمهم أنّهم لن ينالوا ما عند الله إلّا بالعمل، وقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت، عنى بمعرفتنا وإقراره بولايتنا وهو قوله: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن

---

(١) معاني الأخبار: ٤٠٠، والآية في سورة إبراهيم عليه السلام: ٢٤
(٢) تفسير العياشي ٣: ٢٤٣ (حجرية/ ٢٢٢)، والآية في سورة الحجر: ٤٢.
(٣) المحاسن: ١٧١، والآيتان في سورة المدثر: ٣٨ - ٣٩.

يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، وعسى من الله واجب وإنّما نزلت في شيعتنا المذنبين»(١).

١٥ - عن أصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فقال لي علي: «بلى يا أصبغ ما سألني أحد عن هذه الآية ولقد سألت النبي صلى الله عليه وآله كما سألتني فقال لي: سألت جبرئيل عليه السلام عنها فقال: يا محمد إذا كان يوم القيامة حشرك الله وأهل بيتك ومن يتولاك وشيعتك حتى يقفوا بين يدي الله تعالى فيستر الله وأهل بيتك ومن يتولاك وشيعتك حتى يقفوا بين يدي الله تعالى فيستر الله عوراتهم ويؤمنهم من الفزع الأكبر لحبهم لك وأهل بيتك ولعلي بن أبي طالب عليه السلام. يا علي شيعتك والله آمنون فرحون يشفعون فيشفّعون ثمَّ قرأ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾»(٢).

١٦ - عن محمد بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تستخفوا بشيعة علي فإنّ الرجل منهم ليشفع بعدد ربيعة ومضر»(٣).

وهناك الكثير من الروايات في فضل الشيعة وما لهم من المنزلة والشأن عند الله أعرضنا عنها لئلا يطول المقام.

نستنتج من خلال هذه الروايات الشريفة عدة دلالات هي:

أولاً: ما من مؤمن طابت ولادته إلا وهو مجبول بفطرته على محبة

---

(١) تفسير فرات: ٥٧.

(٢) تفسير فرات: ٨٣، والآية في سورة المؤمنون: ١٠١.

(٣) أمالي الطوسي: ٦٧١.

الرسول محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين ومن تلوثت ولادته فهو لا يخلو من أمرين إما ابن زنا أو ابن حيض ومن كان كذلك فلا بدّ وأن يكون مبغضاً لمحمد ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

ثانياً: إنّ الشيعي المؤمن هو الذي يحمل بقلبه ركيزتين:

الأولى: الإيمان بالله ونعني به التوحيد.

الثانية: الإيمان بالعترة الطاهرة ونعني به الحبّ والمشايعة لها بأقوالها وأفعالها فمن سار على هاتين الركيزتين متقرباً إلى الله تعالى فهو الذي تشمله أحاديث النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار.

ثالثاً: لا بدّ أن يكون الشيعي مجسداً لمفاهيم الدين في واقع الحياة نصاً وروحاً. وإذا تجرد الاسم عن حقيقته فلا ينطوي تحت لواء الشيعة.

رابعاً: إنّما حظيت الشيعة بهذه المكانة والمنزلة من الرسول الأعظم ووصيه أمير المؤمنين لأنّهم عروة الإسلام ودعامته ولكل شيء شرف وشرف الإسلام الشيعة.

خامساً: لقد نال الشيعة تلك المنزلة السامية والدرجة الرفيعة لأنّهم ساروا على هدى القرآن وسيرة أهل بيت العصمة عليهم السلام.

سادساً: إنّ هذه الملازمة بين الشيعة وأئمتهم والارتباط الوثيق بينهم ناشئة من كونهم خلقوا من فاضل طينتهم كما ورد عنهم عليهم السلام وعجنوا بماء ولايتهم فهم يحزنون لحزنهم ويفرحون لفرحهم ولقد نشأت هذه الملازمة من عالم الذر حينما كان الشيعة في الأصلاب فلا يفصل أحدهم عن الآخر حتى دخول الجنة.

سابعاً: إنّ حبّ الشيعة لأهل البيت والاعتصام بهم كان سبباً في ارتقائهم في المراتب الرفيعة ولذا ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه كتب لبعض شيعته: «نحن كهف لمن التجأ إلينا ونورٌ لمن استضاء بنا وعصمة لمن اعتصم بنا من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى ومن انحرف عنا فإلى النار»(١).

ثامناً: من مقتضيات نصرة الدين أن يكون له أنصار وأعوان فجعل الله الشيعة أنصاراً لولائهم وحبهم الذي لا تضر معه السيئات منذ بزوغ فجر الرسالة الإسلامية حتى آخر زمن الغيبة.

تاسعاً: إنّ هذا الثواب العظيم هو جزاء تفاعل الحب واستمراريته على طول الزمن وعدم انقطاعه في أي وقت من الأوقات، لكي لا تطمس معالم أهل البيت عليهم السلام.

عاشراً: نتيجة لتحمل الشيعة المشاق الجسام ومعاناتهم من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام جازاهم الله مراتب تليق بحبهم لأهل البيت عليهم السلام.

الحادي عشر: ومن جمل دلالات التكريم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين أمام أعدائهم تكريم شيعتهم ومحبيهم فجعلهم شافعين ومشفعين.

الثالث عشر: لقد جعل الله محبة أهل البيت عليهم السلام والولاء علة لمرضاته ودخول جناته إلّا الإضرار والظلم للمؤمنين ومرتكبي الكبائر فإنّ لهم وقفة في عذاب البرزخ.

---

(١) حياة الإمام الحسن العسكري/ الحاج حسين الشاكري: ١٠٩.

الرابع عشر: إنّ الولاء لأهل البيت عليهم السلام أمان من العذاب وجُنّة من النار، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاء أمان من العذاب».

الخامس عشر: من جملة الأُمور التي تكفر الذنوب مشايعة أهل البيت عليهم السلام ومودتهم فإنّه مكفّرٌ للذنب وماحٍ للخطيئة ولا ينال ذلك إلّا من يوفق له وهو طيب الولادة ومخلص في عمله.

مضافاً إلى ما تحدث به جمهور المسلمين من فضائل الشيعة في مصادرهم وأسانيدهم فقد روى ابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعلي عليه السلام: «أنت وشيعتك في الجنّة»[1].

وروى الخوارزمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يا علي إنّ الله غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك...»[2]. الخ.

وروى الكنجي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا الشجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها وشيعتنا ورقها والشجرة أصلها في جنة عدن والأصل والفرع واللقاح والورق في الجنة».

وقد أخرج هذا الحديث محدث دمشق في مناقبه بطرق شتى.



(١) تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣٤٥.
(٢) المناقب: ٢٠٩.

أصناف الشيعة

أصناف الشيعة

للوقوف على الشيعة بصورة دقيقة لا بدّ من تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: طبقة العلماء والمفكرين.

الصنف الثاني: طبقة المتعلمين وأصحاب المعرفة.

الصنف الثالث: طبقة عوام الناس.

وينبغي التعرف على كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة للوقوف على واجباته ومسؤولياته وخصائصه لكي لا تختلط المفاهيم على من يريد التعرف على حقيقة هذا المذهب واصالته وجذوره وممَّ يتكون لقطع دابر الحاقدين والمتصيدين في الماء العكر.

أمّا الصنف الأول:

وهم الطبقة الذين يمثلون أرفع المستويات العلمية والفكرية والأصل في إيجاد الحضارة والتقدم بغض النظر عن التخصصات العلمية فإنّ كل عالم يضع حلقة في سلسلة المعرفة لأنّها الأساس المتين لرقي الشعوب وتطورها، فبالعلم والعلماء تتقدم الأمم والشعوب وبفقدانهما تفتقر إلى الميادين العلمية والحضارية. وعلى هذا الأساس فإنّ العلماء الربانيين

هم ورثة الأنبياء وحفظة الدين و الأُمناء على أحكامه وتشريعاته وعقائده لذلك فإنّ عليهم مسؤوليات عظيمة أمام الله أولاً ونبيه ثانياً والإمام ثالثاً؛ لأنّهم الصورة التي تحكي عنوان المذهب وجوهر حقيقته فإذا أخطئوا فكأنّما قد أخطأ المذهب وإن أصابوا فقد أعطوا الصورة الحقيقية والصادقة التي يريدها الله ورسوله.

ولذا تترتب عليهم جملة من الواجبات والوظائف المناطة بهم بحسب أهمية موقعهم الشرعي والاجتماعي والفكري، ومنها ردّ الشبهات والبدع حينما يظهرها المشككون وأعداء الدين فلا بدّ لهم أن يتصدوا لذلك بحزم وقوة الدليل والبرهان لتصحيح أفكار الناس من الخطأ وإرشادهم إلى الطريق القويم والأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب.

ومنها: نشر العلم والمعرفة بين أبناء المجتمع وتهذيب سلوكهم وأخلاقهم وتربيتهم تربية مثالية تتناسب مع الخلق الإسلامي الرفيع.

ومن أهم المسؤوليات الجسام الملقاة على عاتقهم القيام بنشر أحكام الدين وتشريعاته وخصائص مفرداته وما يستحدث للفرد المسلم في حياته العملية من أحكام مستجدة نتيجة للتطور الذي تشهده الإنسانية في حياتها اليومية، فلا بدّ للعالم أن يضع لكل واقعة حكماً شرعياً لكي يطبق حكم الله في الأرض وتتحقق الأهداف الكبرى التي ينشدها الفرد المسلم في دنيا الحياة.

إذاً: العلماء يمثلون الواجهة المشرقة للأمم والشعوب بصورة عامة وعلى كافة المستويات ومختلف العلوم والمعارف ولا شكّ أنّ لهم درجة

رفيعة من الله سبحانه وتعالى وعظيم الأجر والمثوبة على ما يبذلونه من خدمات جليلة على مستوى الفرد والمجتمع ولولا هذا الصنف الذي هو المحور الرئيسي واللولب المركزي الذي يستند عليه المجتمع في احتياجاته العلمية ومتطلباته الحياتية لذهب الدين أدراج الرياح.

وهذا الصنف هو الوجه الحقيقي لمذهب الشيعة الجعفرية الذين هم على خطّ النبي وآله وهدى القرآن بمفاهيمه وأفكاره ومناهجه وسلوكه.

الصنف الثاني: طبقة المتعلمين وأصحاب المعرفة:

وهذا الصنف من المجتمع لا بدّ له أن يطرق باب العلم والمعرفة لكي لا يصبح مجتمعاً جاهلاً لا قيمة له بين الشعوب وقد أمر الإسلام بطلب العلم والتعلم والمعرفة وجعله فريضة على كل مسلم وأن من كمال الدين طلب العلم والعمل به وطلبه أوجب من طلب المال والمال مقسوم مضمون قسّمه عادل بين عباده ولكن العلم مخزون عند أهله فلا بدّ من طلبه ولو كان في أقصى الأرض.

ولا شكّ أنّ طالب العلم محبوب لله ولملائكته ولا يشتاق إلى العلم إلّا السعيد وهنيئاً لمن يطلبه ويتعلمه ويعمل به لأنّه حياة للقلوب من الجهل وضياء للأبصار من الظلم وقوة للأبدان من الضعف.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانّه واقتبسوه من أهله فإنّ تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة إلى الله

لأنّه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السرّاء والضرّاء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً ويجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى آرائهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسّهم وفي صلاتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كلّ رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه»[١].

ولا يقتصر التعلم على معرفة الله تعالى وأصول الإسلام وفروعه وما يحتاجه من الأحكام الفقهية التي لا بدّ له من إتقانها والعمل بها عند البلوغ وما بعده.

فيجب الاهتمام بتعلم الصناعات والمهن التي تعينه في حياته العملية وقد أكد الإسلام على تعلّم المهارات التي يستعين بها المجتمع ولا يستغني عنها ليكون بالمستوى المطلوب وهذا يتطلب جهداً فكرياً وعضلياً يبذله الإنسان لكي يبني نفسه من بداية حياته ويعتمد عليها في تكوين أسرة فاعلة في المجتمع الذي يعيش فيه حتى لا يكون كلاً على غيره.

وحرّم الإسلام تعلم بعض العلوم والفنون وحظر من تعلمها واستعمالها لأنّها تحجب العقول وتميت الوعي وتسبب الخمول والجمود كالسحر الذي له أضرار بالغة على المجتمع فهو مما يوجب تمسك

---

(١) جامع السعادات ١: ١٤١.

الناس بالأباطيل والخرافات ودفعهم إلى الإيمان بالأوهام والأضاليل فتعليمه وتعلمه حرام بإجماع المسلمين وقد قرنه الإسلام بالشرك والكفر ففي الحديث: «إنّ الساحر كالكافر»، وفي حديث آخر: «من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر».

وعن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر ومدمن سحر وقاطع رحم»[١].

وكعلم النجوم والفأل الذي يهدف إلى الاعتقاد بتأثير الكواكب في الأحداث وأن لها دخالة ذاتية في إيجادها وتكوينها على سبيل الاستقلال ولذا حرم الإسلام من تعلم ذلك أو الإيمان به ففي الحديث: «من صدق منجماً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[٢].

الصنف الثالث: طبقة عوام الناس:

وهذه الطبقة تتألف من السواد الأعظم الذي لا يملك نصيباً من العلم والمعرفة سوى الفطرة التي فطرهم الله عليها وهؤلاء لا بدّ لهم أن يهتدوا بهدي العلماء والمفكرين ويسيروا على نهجهم ويأخذوا عقائدهم منهم وهذا الصنف لا يملك ما يؤهله أن يعلم غيره ما يعتقده أو يفكر به ولا يُقاس مذهب الشيعة بهذا الصنف من الناس كما هو معمول به في الفرق والمذاهب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس ثلاثة أصناف: عالم رباني، أو متعلم على سبيل نجاة، أو همج رعاع أتباع كل ناعق

(١) المكاسب للأنصاري.
(٢) المعتبر ٢: ٦٨٨.

يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».

فالشيعة كغيرهم ليسوا على مستوى واحد في الإيمان والتطبيق والمعرفة بل يختلفون بحسب تدرجهم في الإيمان ومعرفتهم في العقيدة.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «شيعتنا ثلاثة أصناف: صنف يأكلون الناس بنا وصنف كالزجاج ينهشم وصنف كالذهب الأحمر كلما أدخل النار ازداد جودة»[1].

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «الشيعة ثلاث: محبٌّ وادٌّ فهو منا ومتزين بنا ونحن زين لمن تزين بنا ومستأكل بنا الناس ومن استأكل بنا افتقر»[2].

وعن علي عليه السلام قال: «شيعتنا ثلاثة أصناف: صنف يصلونا وصنف يصلون الناس وصنف والوا ولينا وعادوا عدونا أولئك الأولياء والأخيار الحكماء العلماء وطوبى لهم وحسن مآب»[3].

ومن هنا كان لأمير المؤمنين عليه السلام وصية لابنه الحسن حينما كان بصفين تتضمن المبادئ السامية التي جاء بها الإسلام ويحث المسلمين على الالتزام بها وتطبيقها وهي من روائع وصاياه وينبغي لهذا الصنف أن يهتدي بها ويسير على نهجها لأنّ فيها إصلاحاً للإنسانية جمعاء لو عملوا بها وما أحوج البشرية لمثل هذه الوصايا والإرشادات والوعظ وإليك

(١) البحار ٨٧٥: ١٨٦.
(٢) الخصال: ١٠٣.
(٣) آخر كتاب سليم بن قيس الهلالي.

نصها: «يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك.

يا بني، إياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها فقد نبأ الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فإنّما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضهم بعضاً ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها.

واعلم أنّ من كانت مطيته الليل والنهار فإنّه يسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً.

ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً، وما خير خير لا ينال إلّا بشر ويسر لا ينال إلّا بعسر.

قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن عنهم. بئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف أفحش الظلم. احمل نفسك من أخيك عند البذل، وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر، حتى كأنّه ذو نعمة عليك.

ولن لمن غالظك فإنّه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوك بالفضل وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما.

ومن ظنّ بك خيراً فصدق ظنه. ولا تضيعن حقّ أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقه. ولا يكونن أخوك على مقاطعتك أقوى على صلتك ولا يكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان، وليس جزاء من سرك أن تسوءه.

ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى. وإن جزعت على ما تفلت من يديك، فاجزع على كل ما لم يصل إليك. استدل على ما لم يكن بما كان، فإن الأمور أشباه، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة إلّا إذا بالغت في إيلامه.

من ترك القصد جار. والصديق من صدق غيبه، رُبَّ قريب أبعد من بعيد، وربّ بعيد أقرب من قريب، والغريب من لم يكن له حبيب.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار. وإذا تغير السلطان تغير الزمان»[1].

وللشيعي بفطرته صفات وعلامات يتصف بها عن غيره من باقي الناس عامة ولا شكّ أن طبقة عوام الناس من الشيعة لهم خصوصية انتمائهم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ولذا عرفوا بشيعته وقد بيّن الإمام الرضا عليه السلام صفاتهم وعلاماتهم بعدة أحاديث منها:

ما رواه السمهودي عن صاحب (المطالب العالية) عن نوف البكالي[2]، أنّ علياً عليه السلام خرج يوماً من المسجد وقد أقبل إليه جندب

(١) روائع نهج البلاغة: ١٣٥ - ١٣٨.
(٢) الكافي ٢: ٢٢٦، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

بن نصير والربيع بن خيثم وابن أخيه همام بن عباد بن خيثم وكان من أصحاب البرانس المتعبدين فأفضى علي وهم معه إلى نفر فأسرعوا إليه قياماً وسلموا عليه فرد التحية ثمَّ قال: من القوم؟ فقالوا: إنا من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً ثمَّ قال: يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا فأمسك القوم حياءً فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له: ما سمة شيعتكم يا أمير المؤمنين؟ فسكت، فقال همام - وكان عابداً مجتهداً -: أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم قال: فسأنبئكم جميعاً ووضع يديه على منكب همام وقال: شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله أهل الفضائل الناطقون بالصواب مأكولهم القوت وملبوسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع بخعوا لله بطاعته وخضعوا إليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم واقفين أسماعهم على العلم بدينهم نزلت أنفسهم فهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء رضا عن الله تعالى بالقضاء فلولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في جلودهم طرفة عين شوقاً إلى لقاء الله والثواب وخوفاً من أليم العقاب، عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون وهم والنار كمن رآها فهم فيها يعذبون صبروا أياماً قليلة فأعقبهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فهجروها... إلى آخر كلامه عليه السلام [1].

---

(١) جواهر العقدين، العقد الثاني، ومطالب السؤل: ١٤٠، وابن حجر: ٩٢ مع فرق.

ولا شكّ أن هذه الصفات هي صفة خواص أمير المؤمنين عليه السلام ولكن أراد الإمام أن ينبه من ينتسب إليه أن يكون بهذه الصفات حتى وإن كان من عامة الناس ولم يكن لهم نصيب من العلم والمعرفة سوى الفطرة التي فطرهم الله عليها.



فرق الشيعة

فرق الشيعة

لا شكّ أنّ تعدد الفرق وكثرتها ليس مقصوراً على المسلمين بل هو موجود بين أتباع جميع الديانات وهذه حقيقة لا بد من تثبيتها فإنّ من يعيب يعاب ومن يتبع العثرات يقع في فخ من يتتبع عثراته.

والتعدد يشمل كافة المبادئ الوضعية فهو قائم ما دام التناسب طردياً بينه وبين طبيعة النفس الإنسانية.

وبما أنّ الاختلاف سنة كونية فالتعدد محصلة طبيعية من محصلاته فلا غرو أنّ المسلمين في غنى عنها إذا ما قيست بالسلبيات المتراكمة ومخلفاتها فلا يحمد تعدد الفرق بين المسلمين لما تركه من نتائج مذمومة عليهم.

وقد طفق داء التفرقة ينهش في كيان الأُمة الإسلامية من يوم رحيل الرسول الأعظم ﷺ فكانت فرق المسلمين عرضاً من أعراضه الوبيئة وكل منا ينعى ذلك التمزق الذي طرأ على الأُمة الإسلامية دون أن يتخذ موقفاً صارماً حدّياً أو يلتمس حقائق التاريخ بإنصاف فإنّ من أروع روائع حقائق التاريخ هو اتفاق المسلمين على قطعية صدور بعض الأحاديث عن نبيهم الكريم ﷺ ومن هذه الأحاديث:

حديث الثقلين الذي يشكّل عاملاً وقائياً يحصّن المسلمين بمناعة ضد تفشي التفرقة وداء الفرقة.

فبدايات ظهوره تعود إلى عصر الرسالة الأول الذي ينقسم إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وتبدأ بوفاة الرسول ﷺ وتنتهي بخلافة عثمان بن عفان ويمكن أن يعبر عنها بالمرحلة الجنينية وتكمن أهميتها في أنّها مهّدت لظهور الفرق المتأخرة حيث اتخذ منها أصحاب هذه الفرق ذريعة لاختلافاتهم وأهمّ ما تتميز به هو بروز الفريق المهاجري والفريق الأنصاري والفريق الهاشمي مع انحسار دور الفريق الهاشمي الذي يمثل الامتداد الطبيعي للنبوة.

أمّا المرحلة الثانية: فتبدأ بخلافة عثمان وتنتهي بموته وتميزت ببروز الخط الواعي الذي جسّده جمع من المسلمين الذين ثاروا لدينهم وكرامتهم وكذلك تميزت بظهور الفرقة الأُموية وعلا كعبها.

وأمّا المرحلة الثالثة: فتبدأ بخلافة علي بن أبي طالب وتنتهي باستشهاده وتميزت هذه المرحلة بظهور ما يسمى بالناكثين والقاسطين والمارقين الذين جنوا على الإسلام وارتكبوا أبشع الجرائم بإشغالهم الخلافة الإسلامية عن الفتوحات وبث الإسلام في أرجاء المعمورة ووجهوا للرسالة الإسلامية ضربة مؤلمة بتعطيلهم دور الإسلام في الحياة وتوظيف كافة إمكانياتهم لتحقيق ذلك الغرض وجسدوا التزمت والتعنت والجهل والحمق بكلّ ما لهذه الكلمات من معنى والأنكى من ذلك أنّهم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

ثمَّ جاء دور العصر الأُموي والعصر العباسي عصر كثرة الفرق الإسلامية أو المحسوبة على الإسلام وقوتها واستفحال أمرها حيث كانت الأجواء مساعدة على ذلك ففتح الناس عيونهم ورأوا الأُمة الإسلامية الواحدة ممزقة الأوصال تتوزعها فرق وكيانات شتى يرمي بعضهم بعضاً بالكفر والزندقة[١].

هكذا عاشت الفرق الإسلامية مدة مديدة من الازدهار والانتعاش تلتها فترة تذبذب بين الضعف والقوة والنشاط والركود حتى برزت فرقة وانقرضت أُخرى.

وأهمّ الفرق المحسوبة على الشيعة: الإمامية، الزيدية، الإسماعيلية.

أولًا: الإمامية الإثنا عشرية:

أمّا الإمامية الاثنا عشرية وهم الشيعة حقاً، فتمتد جذورهم وأصالتهم إلى زمن الرسالة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ إذ تعد الشيعة أولى الفرق الإسلامية التي ظهرت في التأريخ الإسلامي وكل هذه الفرق تنتمي إلى عنوان الإسلام إلّا أنّها تختلف في المذاهب ولم يلقب أحد من المسلمين بشيء من الألقاب في حياة رسول الله ﷺ ولا اشتهروا به إلّا لقب واحد وهو التشيع وما ظهر من الفرق بعد وفاته ﷺ.

وهذه الفرقة من أكبر فرق الشيعة وتعتقد بالأئمة الاثني عشر بدءً بالإمام علي عليه السلام وختماً بالإمام المهدي (عج) وسميت بهذا الاسم من

(١) موسوعة الفرق الإسلامية، د. محمد جواد مشكور، تعريب علي هاشم.

البداية في مقابل السبعية التي تعتقد بإمامة سبعة أئمة فقط وتستند هذه الفرقة في إثبات صحة عدد الأئمة إلى بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[٣].

وفيما يلي بعض ما يطرحه الإمامية في إمامة العترة الطاهرة:

١ - وجوب العصمة في الإمام؛ لأنّ غير المعصوم لا يُطمأن إليه في تبليغ الأحكام مضافاً إلى إمكانية اتخاذه سلوكاً مخالفاً للعدالة في إمامة المسلمين وزعامتهم.

٢ - تنصيب الإمام لدفع الفتنة والاختلاف ولو ترك للناس تعيين الإمام يشتد هذا الاختلاف.

٣ - وفقاً للروايات الواردة عن النبي ﷺ أنّ الأئمة من بعده ﷺ اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل.

٤ - الإمامة خلافة من الله والرسول فلا بدّ أن يكون تعيين الإمام من قبلهما.

٥ - سيرة الرسول الأعظم ﷺ في استخلافه وتعيينه أحداً مكانه عندما كان يغيب عن المدينة فكيف يترك الناس بعده بدون خليفة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

على أنّ الشيعة يعتقدون بالنص ويقولون أنّ رسول الله عين علياً خليفة له بالنص الجلي يوم غدير خم وصرح بإمامته للأُمة[1].

ويبين الشيعة أدلتهم على إمامة علي عليه السلام وفقاً للقرآن والسنة كما يلي:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿... وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[6].

إن الذي يعتقده الشيعة أنّ مفاد هذه الآيات هو ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) كما جاء في صحيح مسلم وتفسير الثعلبي وسنن أبي داوود وسنن الترمذي وفي الجمع بين الصحيحين ومناقب ابن المغازلي... وغيرها من أمهات مصادر المسلمين.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

وكذلك يستندون إلى الأحاديث الواردة في هذا المجال كقوله ﷺ : «أنت الخليفة من بعدي وأنت وصيي وقاضي ديني».

وقوله ﷺ : «وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين».

وقوله ﷺ : «أقضاكم علي».

وقوله ﷺ : «وتعلّموا منه ولا تعلّموه اسمعوا له وأطيعوه».

وقوله ﷺ : «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وقوله ﷺ : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[1].

وينقسم الشيعة الإمامية إلى قسمين: الأصولية، والإخبارية.

فالأُصولية هم الفقهاء الإمامية الذي يستعملون علم أُصول الفقه في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية مستندين إلى الأدلة التفصيلية مستفيدين من قواعد ذلك العلم مثل أصل البراءة وأصل الاستصحاب والعمل بالظنّ والتمييز بين الأخبار.

ويعتبر الأُصوليين مدارك الأحكام: القرآن، والسنة، والإجماع والعقل. في حين يعتبرها الإخباريون الكتاب والسنة فقط.

ويعتبر الأُصوليون الاجتهاد واجباً كفائياً وفي حالة وجود شخص واحد جامع للشرائط يعتبرونه واجباً عينياً ويرى الأُصوليون كل ما لم يرد

(١) راجع للمزيد قادتنا كيف نعرفهم الجزء ١.

نص على حرمته فهو مباح ويقسمون الأخبار إلى صحيحة وضعيفة وحسنة وموثّقة[١]، وأمّا الإخباريون فيقسمونها إلى صحيحة وضعيفة.

الإخبارية: وهم أصحاب الحديث حيث يتبعون الأخبار ويعتبرون الاجتهاد باطلاً ومؤسس هذه الفرقة هو الملا محمد أمين بن محمد شريف الأسترآبادي المتوفى سنة **١٠٣٣** هـ وهو من الشيعة المتأخرين وكان أول من فتح باب اللوم على المجتهدين حسب ما جاء في (لؤلؤة البحرين)، وبسببه انقسم الشيعة الإثنا عشرية إلى قسمين فكلما يسمعونه من الإمام يعتبرونه دليلاً قطعياً ولا نسبة بين الدليل القطعي والدليل الظنّي ولا يعتبر الإخباريون ظواهر ألفاظ القرآن حجة ويقولون:

بما أنّ في القرآن مطلقات وعموميات خصص وقيد أكثرها مما أدى إلى أن تكون مجملة كذلك فلا يمكن اعتبار الظواهر حجة ومن ثَمَّ العمل بها يكون مشكلاً.

ويقولون أيضاً:

بما أنّ القرآن يحوي على مواضع عالية ومفاهيم رفيعة فهمه غير متيسر لكل أحد، بل هو خاص بالراسخين في العلم ولا يمكن حمل ألفاظه على المعنى الظاهر واعتبرها حجة.

---

(١) تداول هذا الاصطلاح (التقسيم الرباعي) بين محدثي الشيعة وفقهائهم منذ عصر العلامة بيد أن متقدمي الشيعة كانوا يعتبرون الحديث إمّا صحيح أو غير صحيح.

ثانياً: الزيدية:

وهم من فرق الشيعة المعروفة، أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بـ (زيد الشهيد). الذي نشأ في بيت النبوة والإمامة وتربى في أحضان أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام وكان البارز من صفاته فيما يقول المؤرخون الزهد والورع والتحرج في الدين.

لازم منذ نعومة أظفاره أخاه الإمام الباقر عليه السلام الذي هو خليفة أبيه ووصيه ووارث علومه.

كان يعرف عند أهل المدينة بحليف القرآن وقد أثّر السجود بوجهه لكثرة صلاته طوال الليل وكان يسلك كل ما يقربه إلى الله تعالى زلفى.

وكان من علماء عصره البارزين وموسوعة في الحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب وقد سأل جابر الإمام الباقر عليه السلام عن زيد فأجابه عليه السلام: «سألتني عن رجل مليء إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه»[(١)].

وكان من أعلام الفقهاء وكبار رواة الحديث وقد أخذ علومه من أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ومن أخيه الإمام الباقر عليه السلام الذي بقر العلم بقراً حسبما أخبر عنه جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان يحمل حزماً وعزماً وتصميماً على إعلان الثورة ضد هشام بن عبد الملك حتى امتلأت نفسه المقدسة حماساً وإصراراً على مواصلة

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، للشيخ القرشي ١: ٦٤.

الحرب ضدّ الظالمين والفاسقين ليعيش حراً كريماً متألقاً في سماء المجد والكرامة.

وهو الثائر العظيم الذي يريد الإصلاح في أُمة جده ليكون منقذاً ومحرراً للأُمّة من الظلم والجور والاستبداد وليس بظالم ولا باغي فهو كجدّه الحسين عليه السلام حين قال: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لآمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر».

وقد أثنى الإمام الصادق عليه السلام على عمّه ثناءً ومجد ثورته الإصلاحية فكان فيما يقول الرواة قد قال لأصحابه: «لا تقولوا خرج زيد فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه»[1].

لقد ثار زيد الشهيد على الحكم الأُموي بوحي من عقيدته التي تمثل روح الإسلام وهديه ولم يفجر ثورته الكبرى طمعاً بالخلافة والملك وإنّما كان يبغي وجه الله والدار الآخرة وتحقيق الأهداف العظيمة في ربوع الوطن الإسلامي وينقذ الأُمة من عسف الأُمويين وظلمهم وبطشهم.

ولما وصل إلى الكوفة بادر أهلها فخرجوا إليه فرحبوا به ترحيباً حاراً وأسرعوا إليه يبايعونه حتى بلغ عدد المبايعين خمسة عشر ألفاً فكانت صفة البيعة:

---

(١) روضة الكافي ٨: ٢٦٤.

(إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين)[١].

وانطلقت جيوشه من جبانة سالم وهي تهتف بحياة زعيمها زيد وسقوط الحكم الأُموي وبدأت الحرب في ليلة شديدة البرد وجرت مناوشات واصطدام مسلح بين أتباع زيد وبين الجيوش الأُموية ولكن سرعان ما خان أهل الكوفة بزيد وغدروا به بعد ما عاهدوا الله على نصرته فقد أسلموه عند الوثبة وتركوه مع القلة وعندها أيقن بفشل ثورته، وقد خاض أصحابه الحرب في شوارع الكوفة وأبلى زيدٌ في المعركة بلاءً حسناً.

ولقد آثر زيد عز الممات على ذل الحياة كما آثر ذلك آباؤه فلم يخضع للذل والعبودية ومات عزيزاً تحت ظل السيوف والرماح ولم يسلم جثمانه الشريف من الأيدي الآثمة فقد عمدوا إلى صلبه منكوساً في كناسة الكوفة وبعد أن احتزّ رأسه الشريف وأرسلوه هدية إلى طاغية الشام هشام وانطفأت تلك الشعلة الوهّاجة من ذلك النسل الطيب الذي هو قطعة من كبد رسول الله ﷺ.

يقول الشهرستاني: ساق الزيدية الإمامة في أولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ولم يقل الزيدية بعصمة الأئمة والرجعة كما أنّهم يعتقدون بالنص الخفي على عكس الإمامية الذي يعتقدون بالنص الجلي ويقولون أنّ نصّ النبي ﷺ على علي عليه السلام نص خفي

---

(١) حياة الإمام الباقر عليه السلام ١: ٧٤.

وأنّه أعلم خاصة أصحابه فقط بسر الإمامة خفية لمصالح موجبة ولذلك يقولون بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

ويذكرون أنّ خلافة أبي بكر وعمر كانت صحيحة لتسكين نائرة الفتنة وذلك لأنّ علي بن أبي طالب عليه السلام قاتل المشركين في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقتل كثيراً من أقارب الصحابة وآبائهم.

ويقول الزيدية بإمامة المفضول مع وجود الفاضل وهو علي بن أبي طالب عليه السلام ويجوزون تعيين المفضول للإمامة مع وجود الفاضل ولذلك قالوا بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان مع أنّهم كانوا مفضولين، وكان زيد من شيوخ أبي حنيفة وبايعه أبو حنيفة وبعث إليه بثلاثين ألف درهم ودعا الناس إلى مؤازرته.

أقدم كتبهم في الفقه كتابان هما مجموع الحديث ومجموع الفقه ويقال لهما مجموع الكبير ويضم هذا الكتاب الأخبار والفتاوى التي وصلت عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو برواية أبي خالد عمر بن خالد الواسطي.

يشترك الزيدية مع الشيعة في كثير من العقائد إلّا أنّهم لا يقولون (حي على خير في العمل) في الأذان ويجوزون المسح على الخفين والاقتداء بالصالح والفاجر في صلاة الجماعة وأكل ذبائح أهل الكتاب ولا يقبلون زواج المتعة.

ولا يعتقد الزيدية بالمهدوية ولا ينتظرون الإمام الغائب ويقولون أنّ مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار ولكنه يعذب على مقدار ذنبه ولا يعتقد الزيدية بمعجزات أو كرامات لأئمتهم.

ويرى الزيدية أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ولا

يؤمنون بالتقية ويقولون بالقياس كأبي حنيفة ويرون صحة العمل بالاستصحاب ويعتبرون الحسن والقبح عقليين كالمعتزلة ولا يجوزون فتوى المفتي بدون اجتهاد على عكس الكيسانية والإمامية ولا يعتقدون بالبداء والرجعة ويقول الزيدية أنّ صفات الله هي عين ذاته(١).

ثالثاً: الإسماعيلية:

وهو اسم عام للفرق التي تعتقد بإمامة الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام وهو إسماعيل الذي كانت وفاته سنة ١٤٠ هـ قبل وفاة أبيه بخمس سنين ودفن في مقبرة البقيع وقبل دفنه أحضر الإمام الصادق والي المدينة مع جمع من وجهائها وشخصياتها وأشهدهم على موته رفعاً للشبهة.

ومات إسماعيل في قرية العريض على بعد أربعة فراسخ من المدينة وحملت جنازته على أكتاف الناس ثمَّ كتب الإمام عليه السلام محضراً على وفاته موشحاً بخطوط الحاضرين حتى دفنوه في البقيع ولما مات إسماعيل ظنّ الشيعة أنّ موته كان فجأة فقالوا لقد حصل بداء في أمر الإمامة.

وتتحدث المصادر الأُولى للإسماعيلية غالباً عن شخص يدعى أبو الخطاب من موالي بني أسد الذي كان له ضلع في إمامة إسماعيل كان هذا الرجل في بدء أمره من أصحاب الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام وبسبب غلوه لعنه الإمام الصادق عليه السلام وتبرأ منه.

(١) معجم البلدان ٤: ٣٠٧، الملل والنحل: ١٣٧ - ١٤٠.

يقول أبو حاتم الرازي في كتاب الزينة وهو من مؤلفات القرن الرابع أنّ أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي والفرقة الإسماعيلية.

انقسم الإسماعيلية في البداية إلى قسمين هما الإسماعيلية الخاصة والإسماعيلية العامة فكان الإسماعيلية الخاصة يقولون: كان إسماعيل إماماً في حياة أبيه وغاب وهو الإمام السابع للشيعة.

أمّا الإسماعيلية العامة فكانوا يعتقدون أنّ إسماعيل مات في زمن أبيه ونصب نجله محمداً للإمامة بعده قبل أن يموت فالإمام السابع للطائفة هو محمد بن إسماعيل.

لا يعتقد الإسماعيليون بالنعيم الجسماني المادي في الجنة أو العذاب الجسماني في النار بيد أنّهم كانوا يفسرون هذه الكلمات للمبتدئين بمعناها الاعتيادي ويعتقدون أنّ الجنة في الحقيقة هي العقل فيها رسول الله ﷺ في زمانه ووصيه في درجته وإمام العصر في عصره وكلام رسول الله ﷺ هو مفتاح باب الجنة ويقسم الإسماعيلية هذا اليوم إلى طائفتين هما:

الأغاخانية والبهرة وهم بقايا الفرقتين النزارية والمستعلية ويبلغ عدد نفوس الطائفة الأولى زهاء المليون وتنتشر في إيران وآسيا الوسطى وأفريقيا والهند ورئيسها كريم أغا خان.

أمّا الطائفة الثانية فيبلغ عددها زهاء خمسين ألفاً يعيشون في الجزيرة العربية وسواحل الخليج الفارسي وسورية[١].

---

(١) انظر: الأغاخانية والبهرة ورجال الكشي: ٢٤٤ - ٢٤٥، أُصول الإسماعيلية: ٩٨ - ١١٠، تأريخ مذهب الإسلام: ٢٠١ - ٢٢٥.

تاريخ الشيعة

تاريخ الشيعة

يعود تاريخ الشيعة إلى عصر الرسالة المحمدية الغراء في بداية بزوغ فجر الإسلام الحنيف وهو يقترن بتاريخ نص النبي ﷺ على الإمام بالخلافة وهو ﷺ أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام.

ومعنى ذلك أنّ بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء[1].

وقد كان جماعة من الصحابة يرون أنّ علياً عليه السلام أفضل أصحاب الرسول ﷺ على الإطلاق، ذكر ذلك ابن أبي الحديد وعدّ منهم عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وأبا ذر وسلمان الفارسي وجابر بن عبد الله الأنصاري وأُبيّ بن كعب وحذيفة اليماني وبريدة وأبا أيوب الأنصاري وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبا الهيثم بن التيهان وأبا الطفيل وجميع بني هاشم.

ويقول الحسن بن موسى النوبختي عند تحديده للشيعة (فالشيعة فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمن النبي ﷺ)، ثمَّ عدد جماعة منهم وقال: (وهم أول من سمّي باسم التشيع لأنّ اسم التشيع كان قديماً لإبراهيم)[2].

---

(١) أصل الشيعة وأصوليها: ٧٧.

(٢) الفرق والمقالات/ للنوبختي.

وقد برز الدور السياسي للشيعة بفعالية أبان خلافة عثمان بن عفان بالسير على خطّ علي عليه السلام وتطبيق سيرته بمفرداتها المشرقة بالعدل والمساواة على الواقع العملي.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (الشيعة من أقدم المذاهب السياسية الإسلامية وقد ظهروا بمذهبهم في آخر عصر عثمان ونما وترعرع في خلافة علي عليه السلام إذ كلما اختلط بالناس ازداد إعجاباً بمواهبه وقوة دينه وعلمه)[١].

وقال آخر: (إنّ مذهب التشيع ظهر يوم وقفة الجمل).

وقال ثالث: (كان برزوه يوم ظهور الخوارج).

وقال طه حسين: (إنّ فرقة الشيعة أصبحت حزباً سياسياً منظماً لعلي وبنيه في عهد الحسن بن علي)[٢].

والحقيقة: يرجع تاريخ التشيع كمذهب ديني إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله كما عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي عليه السلام كما أسلفنا مثل سلمان الفارسي القائل: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له)، وأمثال أبي سعيد الخدري الذي يقول: (أُمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة).

ولما سُئل عن الأربع قال: (الصلاة والزكاة والصوم والحج) قيل فما الواحدة التي تركوها؟ قال: (ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام).

(١) المذاهب الإسلامية: ٥١.
(٢) علي وبنوه/ طه حسين.

قيل له: وإنّها لمفروضة معهن؟

قال: (نعم مفروضة معهن)[1].

وأمثال بقية الصحابة كعمار بن ياسر وحذيفة وذي الشهادتين وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد وقيس بن سعد بن عبادة.

وقد وضع الرسول محمد ﷺ قواعد الشيعة وأسس أصولها ببيانه خلافة علي عليه السلام من بعده وعلماً لأُمّته وذلك بأمر من الله تعالى بصريح قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[2].

وهناك الكثير من الأدلة على نشأة التشيع في زمن الرسول ﷺ أشار إلى قسم منها الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام ومن تلكم الأدلة:

أولاً: من مكملات دعوته ﷺ وكمال رسالته أن لا يترك الأمر فوضى من بعده ﷺ ويهمل شؤون الخلافة التي تتوقف عليها مصير أُمته.

فلذا أقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علماً لأمّته حرصاً عليها من الاختلاف والفرقة وضماناً لمصالحها وحفظاً على استمرار الرسالة في أداء فعاليتها المشرقة إلى الناس.

ثانياً: من جملة متطلبات قيادة الأُمة أن يختار لها النبي ﷺ قائداً

---

(١) تاريخ الشيعة: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

وإماماً تتوفر فيه جميع الصفات التي لا تتوفر في غيره ليكون أدرى بفلسفتها ودقائقها ومحتوياتها وكيف لا يكون كذلك وهو باب مدينة علم النبي ﷺ وأفضل أُمته من بعده.

ثالثاً: انه قد أثرت عن النبي ﷺ مجموعة ضخمة من الأخبار قد أجمع المسلمون على روايتها والاعتراف بصحتها في حقّ الإمام أمير المؤمنين كحديث الطائر المشوي وحديث المنزلة وحديث الغدير وحديث السفينة وغيرها من الأحاديث التي تشيد بفضل الإمام عليه السلام خلفاً للنبي ﷺ بقيادة الأُمة.

رابعاً: تخلف خيار الصحابة عن بيعة الخليفة الأول كأبي ذر وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وخالد بن سعيد وغيرهم من أعلام الإسلام واحتجاجهم بأنّ علياً أولى من غيره بمقام رسول الله ﷺ.

يقول خالد بن سعيد للإمام: (هلمّ أُبايعك فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك)(١).

مضافاً إلى ما رواه المؤرخون من وصية الزهراء سلام الله عليها للإمام أن يدفنها في غلس الليل البهيم وأن لا يحضر جنازتها الذين خالفوها ولم يطيعوا أمرها.

كل ذلك يدل على أن نشأة التشيع في زمن الرسول ﷺ.

خامساً: إنّ وصية النبي لعلي بأن يكون خليفة من بعده كانت شائعة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٥.

في الأوساط الإسلامية في العصر الأول يقول الصحابي العظيم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين في يوم الجمل مخاطباً الإمام:

يا وصي النبي قد أجلت الحر ... بُ الأعادي وسارت الأضعان

وقال مخاطباً عائشة:

أعائش خلي عن علي وعيبه ... بما ليس فيه إنّما أنت والدُ

وصي رسول الله من دون أهله ... وأنتِ على ما كان من ذاك شاهدُ

وقال الأشعث بن قيس الكندي:

أتانا الرسول رسول الإمام ... فسرّ بمقدمه المسلمونا

رسول الوصي وصي النبي ... له السبق والفضل في المؤمنينا

وقال النعمان بن العجلان شاعر الأنصار وأحد ساداتهم من قصيدة له يخاطب فيها ابن العاص:

كان هواناً في علي وإنّه ... لأهل لها من حيث تدري

فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى ... وينهى عن الفحشاء والبغي

وصي النبي المصطفى وابن عمه ... وقاتل فرسان الضلالة والكفر

وغيرهم الكثير ممن تفوه شعراً في أحقية علي عليه السلام وإنّه الإمام والوصي لرسول الله وخليفته من بعده.

وتمثل هذه النقاط الخمس المرجحات للقائلين بأنّ نشأة التشيع كان في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي وضعها وأقامها بنصب الإمام علي عليه السلام خليفة من بعده.

ولما كان منطلق التشيع هو الإيمان بنص النبي ﷺ على علي عليه السلام بالخلافة من بعده فمن الطبيعي أن يبتدئ تاريخ التشيع من زمان النطق بهذا النص مضافاً إلى ما ذهب إليه جمهور الباحثين والمؤرخين الذين ذهبوا إلى أنّ التشيع ظهر يوم السقيفة وهذا بدوره ينهض دليلاً على وجود التشيع أيام النبي ﷺ لأنّه لا يعقل أن يتبلور التشيع بأُسبوع واحد وهي المدة بين وجود الرسول ﷺ ووفاته بحيث يتخذ جماعة من الناس مواقف معينة ويتضح لهم اتجاه له ميزاته وخواصه فإنّه يحتاج إلى زمن ليس بالقليل.

وقد نحا الاتجاه الشيعي منذ اللحظة الأُولى نحو الاستجابة للنبي ﷺ بالاعتراف بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً من بعده وخليفة على أمّته.

والتشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية وظهور الشيعة استجابة لتلك الظاهرة الطبيعية[1].

والحقيقة أنّ التشيع لم يكن في يوم من الأيام منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت وإنّما ولد التشيع في أحضان الإسلام بوصفه أُطروحة مواصلة الإمام علي عليه السلام للقيادة بعد النبي ﷺ فكرياً واجتماعياً على السواء وعدم انفصال أحدهما عن الآخر في الإسلام بل هو أُطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبي ﷺ.

وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للإمام علي عليه السلام في صفوف

---

(١) بحث حول الولاية: ٦٦.

المسلمين وقد كان يتمتع بولاء روحي وفكري من عدد من كبار الصحابة في عهد أبي بكر وعمر من قبيل سلمان وأبي ذر وعمّار وغيرهم وهذا لا يعني تشيعاً روحياً منفصلاً عن الجانب الاجتماعي بل هو تعبير عن إيمان أولئك الصحابة بقيادة الإمام للدعوة بعد وفاة النبي ﷺ فكرياً واجتماعياً وعقائدياً.

ولكن سرعان ما انقلب الأمر وترك الناس وصية الرسول الأعظم لابن عمّه وأخيه حينما أوصاهم به.



تعداد الشيعة

تعداد الشيعة

إنّ الشيعة طائفة كسائر الفرق والطوائف التي لها كيانها وتأثيرها بغض النظر عن معتقداتها والذين يتجاهلونها إنّما يتجاهلون الحق والواقع.

والذين يريدون القضاء عليها إنّما يريدون القضاء على جميع المسلمين ولا يعبّرون إلّا عن رغباتهم وأحلامهم.

ولذا كان التفاوت في عدد الشيعة والسنة قلة وكثرة حسب الدول القائمة والحاكمة ديناً ومذهباً.

ففي عهد الأُمويين والعباسيين كان السنة أكثر عدداً من الشيعة.

وفي عهد البويهيين والفاطميين كانت الكثرة في جانب الشيعة.

وفي عهد السلجوقيين والأيوبيين والعثمانيين ازداد عدد السنة، حتى أصبحوا على تعاقب الأجيال والقرون أضعاف عدد الشيعة.

قال السيد محسن الأمين في الجزء الأول من أعيان الشيعة: (ما زال التشيع يفشو ويقل ويظهر ويختفي يوجد ويعدم في بلاد الإسلام على التناوب وغيره بحسب تعاقب الدول الغاشمة وغيرها وتشددها وتساهلها حتى أصبح عدد الشيعة اليوم في أنحاء المعمورة الخمسة والسبعين

مليوناً[(١)]، منها اثنين وثلاثين مليوناً في الهند ونحو خمسة عشر مليوناً في إيران وعشرة ملايين في روسيا وتركستان وهكذا بقية بلدان العالم ونحو خمسة ملايين في اليمن ونحو مليونين ونصف في العراق ونحو مليون ونصف في بخارى والأفغان ونحو مليون في سورية ومصر والحجاز ونحو سبعة ملايين في الصين والصومال وجاوى، ونحو مليون في ألبانيا وتركيا ومرادنا بشيعة الهند وسوريا خصوص الإمامية غير الإسماعيلية الأغاخانية وبشيعة اليمن ما يعم الزيدية والاثني عشرية وبشيعة الألبان غير البكتاشية.

ومن نعم الله أن أعدادهم ظلت كثيرة رغم اضطهاد الظالمين لهم وموجات التعصب من قبل إخوانهم السنة في كثير من البلدان والأزمان ولا زالوا يعانون من اضطهاد الحكومات المبغضة لهم حتى وقتنا هذا، في حين أنّ هذه الطائفة التي تستمد أخلاقها وتعاليمها من المصدرين الرئيسين وهما القرآن والسنة اللذان يحثان على كل فضيلة وخلق حسن واحترام الآخرين حتى وإن كانوا لا يدينون بدينهم، ويرفضون أشدّ الرفض التعصب البغيض لأي مذهب أو طائفة تخالفهم في طقوسهم ومعتقداتهم (لأنّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه مذهباً معيناً بل لكل مسلم الحق أن يقلّد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهباً من

(١) يقول الأستاذ حسن الأمين ابن المؤلف معلقاً على قول أبيه: كان هذا يوم تأليف الكتاب أي منذ أكثر من ثلاثين سنة، والعدد اليوم أكثر من ذلك بكثير.

هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ولا حرج عليه في شيء من ذلك)[١].

ورغم ذلك كلّه فإنّهم اليوم منتشرون في طول الأرض وعرضها ويعدّون من الفرق الكبرى، بالتالي فإنّ التشيع قد عم وانتشر في أكثر البلدان الإسلامية وكانت لهم الغلبة في الكثرة والعدد على سائر الفرق؛ لأنّه كالنهر الجاري في الأرض المختلفة الألوان يحمل في سيره ألوانها وأشكالها من غير أن تتغير في الجملة عذوبته، ولا غرو في ذلك أن ينتشر المذهب الجعفري في أقاليم مختلفة كالصين وأوربا وما حولها.

ولم يقتصر انتشار التشيع في الأزمنة الأخيرة على بقعة معينة من الأرض بل كان انتشاره في مختلف البلدان في عهد النبي ﷺ والصحابة في البحرين وبلاد فارس ولا يمكن حصر تعداد الشيعة اليوم بكافة أرجاء المعمورة لصعوبة ذلك خوفاً من الظلم والاضطهاد من الظالمين والمناوئين لهم.

وهناك حجب كثيفة تحجب عن تعداد الشيعة في البلدان العربية والإسلامية وغيرها لأنّ الظرف الذي يعشونه في غاية من الشدة والتشعب ونتيجة لهذا كله لا يتظاهر الشيعي بشيعيته والتمذهب بمذهبه.

واليوم بحمد الله تعالى وبواسطة تطور الإمكانيات العلمية وما توصل إليه الإنسان من التكنولوجيا الحديثة جعلت من الممكن الحصول على إحصائيات دقيقة للشيعة في أنحاء العالم مضافاً إلى إحصائيات منظمة اليونسكو العالمية وهذا جدول أقرته المنظمة لأغلب الدول العالمية وتواجد الشيعة بحسب إحصائية سنة ٢٠٠٤، (لاحظ الملحق).

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام ١ : ٣.

اسم الدولة	آلاف	ملايين	مليارت	النسبة	آلاف	ملايين
الهند	—	٢٠٠	١	٪١٠	—	١٢٠
الصين	—	—	١	٪٢	—	٢٢
إندونيسيا	—	٣٥٠	—	٪٨	—	٢٤
باكستان	—	١٥٠	—	٪٢٦	—	٢٨
إيران	—	٧٥	—	٪٧٤	—	٥٥
العراق	—	٢٤	—	٪٦٨	٥٠٠	١٦
أمريكا وكندا	—	٣٥٠	—	٪٤	—	١٤
بنغلادش	—	١٨٠	—	٪٦	—	١١
السعودية	—	٢٣	—	٪٤٥	٥٠٠	١٠
أذربيجان	—	١٤	—	٧٠	—	١٠
أوروبا الغربية	—	١٥٠	—	٪٥	٥٠٠	٧
القوقاز	—	٧٠	—	٪٧	—	٧
مصر	—	٧٠	—	٪٩	—	٦
اليمن	—	٢٥	—	٪٢٠	—	٥
سورية	—	٢٢	—	٪١٧	٥٠٠	٣
لبنان	—	١٠	—	٪٣٥	٥٠٠	٣
ماليزيا	—	٣٥	—	١٠	٥٠٠	٣
أفغانستان	٥٠٠	١٨	—	٪١٩	٥٠٠	٣
روسيا	—	١٧٠	—	٪٢	٥٠٠	٣
المغرب	—	١٣	—	٪٢٠	٦٠٠	٢
الجزائر	—	١٥	—	٪١٧	٥٠٠	٢
استراليا	—	١٢	—	٪١٦	—	٢
سلطنة عمان	—	٧	—	٪٢٢	٥٥٠	١
تونس	—	٩	—	٪١٧	٥٥٠	١
الكويت	٨٠٠	١	—	٪٣٨	٦٠٠	—
البحرين	٨٥٠	—	—	٪٧٥	٦٥٠	—
الإمارات العربية	٩٥٠	—	—	٪١٨	١٥٠	—

ملاحظة: علماً أنّ هناك شيعة موزعون حول العالم ويبلغ تعدادهم حوالي ١٠٪ من مجموع المذكور أعلاه.

دول الشيعة

دول الشيعة

استناداً إلى المكانة السامية لأئمة أهل البيت في نفوس وضمائر المسلمين، وقوة المذهب الشيعي بعقيدته وأحكامه وأدلته ومنهجه في بناء الإنسان والمجتمع ونظرته إلى الكون والحياة والمجتمع، استناداً لكل ذلك فقد تمكن بعض الدعاة والسياسيين والوجهاء من المحسوبين على الشيعة بالمعنى الأعمّ تأسيس دول لهم في أرجاء العالم الإسلامي وفي عصور متعددة.

ومع كون هذه الدول شيعية بتوجهها العام إلّا أنّها لم تكن في نظامها العام وسياستها الشاملة مطابقة تماماً لمنهج ومذهب أئمة أهل البيت، ولذا نعدها دولاً شيعية بالمعنى العام دون المعنى الدقيق للشيعة، بناءً على قوة وصلابة وأحقية الفكر الشيعي.

ورغم العراقيل التي حاكها الأعداء ضد الشيعة والتشيع إلّا أنّهم استطاعوا أن يقيموا دولاً عديدة على مرّ العصور والأيام بعد أن عجز أعداؤهم من القضاء عليهم كالأمويين والعباسيين لكنه نما وازدهر بأفكاره ومفاهيمه وأحكامه وأخلاقه السامية مجسدين بذلك ما تريده الشريعة السماوية من إقامة الحق والعدل على الأرض فنشأت دولة الأدارسة في المغرب ودولة العلويين في الديلم والبويهيين في العراق والحمدانيين في سورية والفاطميين في مصر والصفويين في إيران.

وكان لكل تلك الدول الأثر البالغ في انتشار التشيع وإعلان الولاء لعلي عليه السلام وأهل بيته - خاصة في عهد الأُمويين - وقد دفع الثمن غالياً أمام ثبات هذا المذهب الحق سنين طوال متعرضاً لموجات من التعصب والحقد حتى كثرت الحروب والفتن فقدمت الشيعة القرابين تلو القرابين من أجل نصرة الحق وتثبيت دعامته وأركانه التي بنيت على الحق وإظهار الحقيقة.

وأنصار الحقّ في كلّ زمان قليلون جداً لا سيما إذا كان هنالك ضعف شديد وعنف عنيف ودماء تسيل أنهاراً.

دولة الأدارسة:

نشأت هذه الدولة في دول المغرب الأقصى وقد وُلد فيها التشيع منذ وصول الإسلام إليها، قال جرجي زيدان في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الإسلامي: (وتلقى الشيعة في المغرب إدريس وبايعوه واجتمعت عليه القبائل من كل وجه ومكان وكان أول من بايعه قبيلة أوربا وهي يومئذ من أعظم القبائل في المغرب العربي وأكثرها عدداً ثمَّ تلتها القبائل فبايعوه ودخلوا في طاعته وعظموه وقدموه على أنفسهم وقد استطاع جلب قبائل البربر المتحصنة في الجبال واستنزلهم من معاقلهم حتى دخلوا في دين الإسلام بعد أن كانوا على النصرانية.

ولما بلغت أخبار إدريس هارون الرشيد ببغداد خاف عاقبة ذلك وأيقن أنّه إذا لم يتدارك أمره الآن عجز عنه في المستقبل فغزاه في عقر داره مع ما يعلم من فضل إدريس ومحبة الناس لأهل البيت عموماً فدس

إليه رجلاً يعرف باسم الشماخ وزوده بالمال والسم وأوصاه أيضاً أن يتظاهر بالتشيع للعلويين ويتقرب إلى إدريس بشتى الطرق ثمَّ يغتاله بالسم ورحل الشماخ إلى إدريس مظهراً الهرب إليه فيمن هرب من جور الرشيد فعطف عليه إدريس ورحمه وكان الشماخ ممتلئاً من الأدب والظرف والبلاغة فأنس به إدريس واطمأنّ إليه وشكا إدريس ذات يوم من علّة في أسنانه فأعطاه الشماخ دواءً مسموماً ثمَّ اختفى فسقطت أسنان إدريس ومات رحمة الله عليه في سنة ١٧٧ هـ.

وكان فاضلاً في ذاته مالكاً لشهواته مؤثراً العدل مقبلاً على أعمال البر.

ثمَّ استقام أمر الغرب لولده إدريس الثاني فكثرت عليه الوفود من سائر البلدان وتسامع به العرب فأقبلوا إلى حضرته من أفريقيا والأندلس ملتفين حوله حتى اجتمع لديه خمسمائة فارس من قيس والأزد ومذحج وغيرهم فأكرم وفادتهم وأجزل صلتهم وأدنى منزلتهم وأسند إليهم الكثير من مناصب الدولة.

فقام بإنشاء المدارس والجوامع والأسواق وأمر الناس بالبناء وقال: من بنى موضعاً أو غرسه فهو له فبنى الناس كثيراً وغرسوا كثيراً ووفد عليه جماعة من الفرس فأكرمهم وأنزلهم بغيضة هناك بنوا فيها واستوطنوا ولما فرغ من بناء المدينة ذهب في الجمعة الأُولى إلى الجامع وصعد المنبر ورفع يده في آخر الخطبة وقال: (اللهم إنّك تعلم أنّي ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة وإنّما أردت أن تعبد بها ويتلى فيها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك

وسنة نبيك ما بقيت الدنيا. اللهم وفّق سكانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤونة أعدائهم وأدرر عليهم الأرزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنّك على كل شيء قدير). فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات في المدينة وظهرت البركات.

ثمَّ تولى من بعده محمد بن إدريس ثمَّ من بعده علي بن محمد ثمَّ يحيى بن محمد حتى جاء الدور إلى يحيى بن يحيى فأساء يحيى السيرة وكثر عبثه ولهوه وتغير عليه أهل فاس ففرَّ إلى الأندلس حيث لاقى حتفه.

فبايع الناس يحيى حفيد إدريس الثاني فنجح إلى حين في نشر سلطاته.

قال السيد مير علي في مختصر تاريخ العرب:

(إنّ سلطان الأدارسة توزع بين الفاطميين والأُمويين بالأندلس فالقسم الشرقي من مراكش سقط في أيدي الفاطميين والقسم الغربي سقط في أيدي الأُمويين وللأدارسة في المغرب أعمال جليلة فبهم انتشر الإسلام هناك حتى بلغ أقاصي البلاد وازدهرت العلوم والحضارة وتحضر أهل البوادي والجبال فلقد أنشوا المدن الواسعة وبنوا المساجد وأقاموا الجامعات والكليات وعمّ في عهدهم العدل والأمن والرخاء).

قال المستشرق سي ديو في كتاب تاريخ العرب العام صفحة ٢٧٨:

(ظلّ الأدارسة قابضين على ما ملكوه من سنة ٨٠٣ - ٩٤٩ مقيمين في البلاد التي هي مدينة لهم بجليل الأعمال فأسسوا مدينة فاس التي

أضحى مسجدها مقدساً لدى جميع الأهالي والمجاورين ونال شهرة عظيمة في زمن قليل.

واشتملت مدينة فاس على مدارس ومكتبات تساوت هي والحركة العلمية التي كان يحمل لواءها بنو العباس في المشرق وغدت مستودعاً تجارياً واسعاً بين أعراب أسبانيا وعرب أفريقيا)[١].

دولة العلويين:

ولي الأمر في الديلم أربعة من العلويين أولهم الحسن بن زيد وكان بالري فشخص إلى الديلم بدعوة من أهلها فاتفقت كلمة الديلم وأهل كلاروشاه لوز والرويان على بيعته فبايعوه كلهم وطردوا عمال بن أوس فلحقوا بسليمان بن عبد الله الطاهري وانظمّ إلى الحسن جبال طبرستان وقادشان واستمر في الحكم ١٩ سنة وبضعة أشهر وقام من بعده أخوه محمد وبقي في الولاية سبعة عشر عاماً وبضعة شهور.

قال السيد الأمين في الجزء الخامس والأربعين من الأعيان الصفحة: ١٤١: (كان محمد هذا إذا افتتح الخراج نظر إلى بيت المال وما فيه من خراج السنة الماضية ففرقه في قبائل قريش ثمَّ في الأنصار وأهل القرآن والفقهاء وسائر طبقات الناس حتى لا يبقى درهم وفي ذات يوم جلس يوزع الأموال فقام إليه رجل فقال له: من أي قبيلة أنت؟

قال: من بني عبد مناف.

(١) الشيعة في الميزان: ١٣٤.

قال محمد: من أي عبد مناف؟

قال الرجل: من بني أُميّة.

قال محمد: من أي رجل منهم؟ فسكت.

قال محمد: لعلك من ولد معاوية.

قال الرجل: نعم.

قال محمد: فمن أي ولده؟ فسكت.

قال محمد: لعلك من ولد يزيد؟

قال الرجل: نعم.

فنظر العلويون إليه شزراً فصاح بهم محمد وقال:

لعلكم تظنون أنّ في قتله إدراكاً لثأر أبي الحسين؟ إنّ الله سبحانه حرّم أن تطالب نفسٌ بغير ما كسبت ثمَّ أن محمداً حدّثَ جلساءه بهذا الحديث).

دولة البويهيين:

آل بويه من الديلم وتنتهي سلسلتهم النسبية إلى الملوك الكسروية وكان ابتداء ملكهم في شيراز ثمَّ سرى نفوذهم إلى إيران والعراق بل وإلى جميع بلاد بني العباس وكانوا من أرباب التدبير في جميع المملكة على عهد دولتهم وليس للخليفة العباسي إلّا مراسيم الخلافة وكان التسنن في عهدهم يغلب على أكثر البلاد من فارس والعراق، وهم على ظهورهم في التشيع لم يحاربوا التسنن كما فعل الكثير من ملوك أهل السنة مع الشيعة ومع قوة شوكتهم وغلبتهم على الخلافة والبلاد أحسنوا السيرة مع الرعية

ولم يتعصبوا للشيعة على السنة بل وقعت في أيامهم حوادث بين الشيعة والسنة كان التحريش فيها من السنة ولم يراعوا في ذلك السلطان ولم يعبأوا بسطوته ولكنهم لم يوقعوا بأهل السنة انتصاراً للشيعة.

طبع آل بويه على خدمة المذهب شأن ملوك وأمراء ذلك العهد إذا تمذهبوا بمذهب، فإنّهم ينتصرون لما انتحلوه جهدهم وقدر ما تصل إليه معارفهم ومداركهم فكانت أيام آل بويه كلها أيام سعي وترويج لمذهب أهل البيت فتجدهم يسلكون كل سبيل لنصرته وإعلاء شأن العترة النبوية.

كانوا في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم غدير خم الذي رقى فيه رسول الله ﷺ منبر صنعه المسلمون له من حدوج الإبل وخطب عليهم مبيناً فضل أهل بيته وفضل المرتضى إلى آخر ما قاله وهو يخطب: «ألست أولى من أنفسكم»؟ فقال المسلمون: بلى، فلما أخذ الإقرار منهم بذلك قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه».

وكانت الشيعة كما يقول ابن الأثير يعملون يوم عاشوراء من المآتم والنوح وإظهار الحزن ما هو مشهور ولكن كان آل بويه عمموه على البلاد كلها وما قصروه على الشيعة فحسب فإنّ معد الدولة أحمد بن بويه أمر الناس في العاشر من المحرم أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة ويلبسوا ثياباً عملوها بالمسوح ففعل الناس ذلك[١].

(١) انظر: ابن الأثير في حوادث عام ٢٥٢.

وما اقتصر آل بويه على خدمة المذهب بمظاهر السرور يوم الغدير وشعائر الحزن يوم عاشوراء من المحرم فحسب بل كانوا يبذلون قصارى جهدهم في خدمة أهل البيت بشتى الوسائل فكانوا يحترمون علماء الشيعة.. بجميع طرق الاحترام من التبجيل والعناية وبذل الأموال الكثيرة حتى أنّ عضد الدولة كان يركب في موكبه العظيم لزيارة الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان.

وكان عضد الدولة محباً للعلوم وأهلها مقرباً لهم محسناً إليهم وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب منها الإيضاح في النحو والحجة في القراءات والملكي في الطبّ والتاجي في التاريخ إلى غير ذلك وأقاموا الأبنية الضخمة وعليها القباب الرفيعة لتلك الضرائح الكريمة حتى أن عضد الدولة استقام في المشهد العلوي لتعمير المرقد الشريف هو وجنده قريباً من سنة فعمره عمارة كانت غاية في العظمة والفخامة والإتقان في ذلك العهد.

دولة الفاطميين:

قامت الدولة الفاطمية بأفريقيا وبثت الدعاة في مصر فاستجاب لهم أهلها بعد موت كافور الأخشيدي. واستطاع القائد جوهر فتح مصر وبنى القاهرة فأعلن التشيع قبل أن يأتي إليها المعز لدين الله الفاطمي الذي نشر آثار التشيع ومنها الأذان في جميع الجوامع بحي على خير العمل والإعلان بتفضيل علي عليه السلام على غيره والجهر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأمر الإمام

بجامع مصر أن يجهر بالبسملة في الصلاة وكانوا لا يفعلون ذلك وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية.

ولقد اهتم الفاطميون بمظاهر التشيع فكان من أقوى الأسباب لنشره في مصر منها يوم عاشوراء وإظهار شعائر الحزن يوم العاشر من المحرم فكانت مصر في دولتهم في اليوم العاشر من المحرم تبطل البيع والشراء ويجتمع أهل النوح والنشيد يطوفون بالأزقة والأسواق ويأتون إلى مشهد كلثوم ونفيسه وغيرهما وهم نائحون باكون ويمضون إلى الجامع الأزهر أو إلى دار الخليفة ولربما حضر الخليفة وهو حاف وعليه شعار الحزن فيقرأ مقتل الحسين عليه السلام ثمَّ ينشد الشعراء ما قالوه في الحسين إلى أن ينتصف النهار فيدعى الناس إلى مائدة الخليفة ولا تكون المائدة كموائد الأعياد من فراش حسن البسط واختيار نفائس الأطعمة وتوفر الألوان وغير ذلك من مظاهر الملوكية وأبهة السلطة بل تفرش الحصر ويمد سماط الحزن ويغير لون الخبز عمداً ويجعلون على السماط ألباناً ساذجة وجبناً وعسلاً وأمثال ذلك ثمَّ يخرجون بعد تناول الطعام على تلك الهيئة التي كانوا عليها من النوح والبكاء ويستمر الحال إلى ما بعد العصر.

ومنها يوم الغدير وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الذي أقام فيه الرسول علياً خليفة من بعده وإماماً وهادياً.

وقد اعتنى الفاطميون بهذا اليوم اعتناءً بالغاً فإنّهم يزوجون الأيامى وينعمون على الفقراء والمساكين ويفرقون الهبات على كبار الدولة والأُمراء والرؤساء والضيوف والأساتذة والمدرسين وغيرهم وينحرون ويعتقون الرقاب إلى أمثال ذلك من أعاظم هذا اليوم.

ومنها أنّهم نصبوا الفقهاء يعلمون الناس فقه أهل البيت عليهم السلام وأجروا لهم الثواب ومخصصات ثمينة وأنفقوا على المتعلمين والحضور لاستماع الحديث الأموال الجليلة فبهذا ومثله جعلوا التشيع يسير في مصر ويستولي على البلاد ويكون مذهب أهل البيت المعروف بين عامة الناس وبلغت الحضارة في عهد الفاطميين أقصى الغايات.

قال الأستاذ غسان في (الحاكم بأمر الله): (إنّ العصر الفاطمي من أسطع عصور مصر الإسلامية إن لم يكن أسطعها جميعاً).

وقال المستشرق (سيد يو) في تاريخ العرب العام صفحة ٢٢٤: (أخذ العرب يلقون أسطع الأنوار من القاهرة لا من بغداد حيث ازدهرت التجارة والصناعة والزراعة والأدب والفنون والعلوم في عهد الفاطميين بمصر).

وقال المستشرق (بروكلمان) في تاريخ الشعوب الإسلامية صفحة ٢٢١: (إنّ آثار الفاطميين مثل جامع الحاكم والجامع الأزهر الذي لا يزال مزدهراً إلى يومنا هذا كأعظم المؤسسات المدرسية في الإسلام لتشهد للمعالم العالمية التي ابتدعها.

وإن كانت هنالك شهرة بأنّ الفاطميين كانوا إسماعيلية في المذهب والرأي وصاروا على مذهب الإمامية أيام الوزير أبي علي الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي الإمامي المذهب في دولة الحافظ لدين الله.

ولما قتل الوزير عام ٥٢٦ عاد المذهب إسماعيلياً وكيف كان فإنّ المذهب الإمامي في دولتهم كان ينتشر ويسرع في سيره من دون أن يجد عثرة في سبيله أو يشاهد حاجزاً دون قصده).

واتفق المؤرخون على أنّ الدولة الفاطمية قامت على أساس الدعوة الشيعية وأنّها قد حرصت جد الحرص على نشرها بمختلف الوسائل وأنّ الفاطميين اتخذوا بناء المساجد ومعاهد العلوم سبيلاً لبثّ عقائد الشيعة.

يقول حسن إبراهيم في تاريخ الدولة الفاطمية صفحة ٣٧٦: (وقد وجدت العقائد الشيعية في مصر مرعى أكثر خصباً ونماء منه في شمال افريقيا وسرعان ما ترعرعت وعمّ أثرها.

ولولا سياسة الضغط والتنكيل التي اتبعها صلاح الدين الأيوبي مع الشيعة لكان لمذهب التشيع في مصر اليوم وبعد اليوم شأن أي شأن).

الدولة الحمدانية:

ينتسب الحمدانيون إلى قبيلة تغلب وهم من أعظم بطون ربيعة بن نزار وكانوا من نصارى العرب في الجاهلية وكان في الإسلام ثلاثة بيوت: آل عمر بن الخطاب العدوي، وآل هارون المغمر، وآل حمدان بن حمدون.

وحمدان هو جد الأمراء الحمدانيين وكان على جانب من الثراء وربّ قبيلة وتنظر إليه بقية القبائل بالتجلّة والاحترام وكان أمير على قلعة ماردين القريبة من الموصل من قبل العباسيين ثمَّ أعلن الاستقلال سنة ٢٨١ هـ وكان ذلك أيام خلافة المعتضد ودارت بين حمدان والخليفة العباسي معارك كانت الغلبة فيها لحمدان.

أمّا تشيع الحمدانيين فلا يختلف فيه اثنان وقد ظهر ذلك جلياً في

هجرة علماء الشيعة إليهم كالشريف أبي إبراهيم جد بني زهرة وفي مدح الشعراء لهم، كالسري والصنوبري وكشاجم والناشي والزاهي وغيرهم.

والحمدانيون لم يكرهوا أحداً على التشيع ولم يغروه بالمال والمناصب ولم يؤلفوا الهيئات والمنظمات للدعاية. بل تركوا الناس يختارون لأنفسهم ما يشاؤون ويعتقدون ما يريدون.

فانبرى الدعاة المخلصين وأعلنوا الحقّ فآمن به من آمن حيث لا ضغط ولا إكراه على عكس العباسيين والأُمويين وصلاح الدين.

وانتشر التشيع وارتفع شأنه في الموصل وحلب وما إليهما في عهد الحمدانيين واشتد بهم أزر الشيعة في العراق.

قال آدم متز في الحضارة الإسلامية: (وكان الحمدانيون أول أسرة تدخل في أُمور بغداد).

وقال الشيخ المظفر في (تاريخ الشيعة): (ارتفع شأن التشيع في سورية أيام سيف الدولة وانتشق أهله الهواء الطلق بعد أن حبسه عنهم أرباب السلطة المعاقبة. فكانت سورية أيام الحمدانيين مكتظة بالشيعة وإذا دخلت المسجد الأُموي الرفيع بناية والمشيد عمارة وتوسطته واقفاً تحت قبته فارفع رأسك لتنظر اسم علي والحسن والحسين في باطن القبة، فأين اسم معاوية ويزيد وملوك آل مروان الذين رفعوا بناء ذلك المسجد)؟

كان عصر الحمدانيين عصراً ذهبياً لأنّه أعطى حرية القول والتفكير مما جعلهم ملجأ وملاذاً للعلماء والفلاسفة والأدباء ورجال الفكر من

جميع الأديان والمذاهب حتى أنّ رجال الفن من الروم كانوا يهربون من مليكهم قيصر إلى سيف الدولة حيث يجدون عنده ما لم يجدوه في بلادهم وعند أبناء دينهم ولغتهم وقد تركوا آثاراً وكنوزاً يعتز بها الشيعي.

واشتهر الحمدانيون العرب في مغالاتهم بالكرم والروح الشفافية في أخلاقهم وتعاملهم.

وكان لحمدان وأولاده شأن كبير في الدولة العباسية ثاروا على الخلافة أكثر من مرة وسجنوا مرات وتولوا كثيراً من المناصب الكبرى في داخل بغداد وخارجها.

فحمدان نفسه كان أميراً في قلعة ماردين وابنه الحسين تولى ديار ربيعة ثمَّ قم وقاشان وأخوه العلاء تولى الموصل ثمَّ تولاها بعده أخوه أبو الهيجاء والد ناصر الدولة وسيف الدولة وبقي والياً عليها إلى أن قتل سنة **٣١٧** وترك عليها ابنه ناصر الدولة.

وظل ناصر الدولة يحكم الموصل بيد من حديد في حين يوطد أخوه سيف الدولة ملكه في حلب وهي آنذاك كانت كالريشة في مهب الريح تخضع تارة للخليفة العباسي في بغداد وتارة للأخشيديين في مصر ودمشق وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة ولاية فقال له: دونك الشام فلا أحد يمنعك عنها.

أمّا سيف الدولة فهو أحد أبطال التاريخ وصاحب شخصية فذة حافلة بالحياة والنشاط وذو نواح متعددة تترافق معها المغامرة، والشعر والسيف والعلم والبطولة والأدب فهو من الشخصيات التي تثير الإعجاب وتستدعي النظر.

الدولة الصفوية:

بدأت الدولة الصفوية عام ٩٠٥ وانتهاؤها عام ١١٤٨ حين قبض نادر شاه على زمام الحكم وأول من أظهر التشيع وجاهر به الشاه إسماعيل الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وكان آباؤه وأجداده من العرفاء وشيخ الصوفية، وما إن أتمّ إسماعيل العام الرابع عشر من عمره حتى ألف جيشاً من أتباع أبيه ومريديه وقاده بنفسه للغزو والفتح وكانت إيران يوم ذاك موزعة الأطراف بين عديد من الملوك والأُمراء ورؤساء القبائل واستطاع السيطرة على بلاد فارس كلها واسترجع العراق واستولى عليه.

ومن آثاره الجليلة في العراق بناء العتبات المقدسة كحرم الكاظمين عليهما السلام والمسجد الكبير الذي خلف الحرم وهو اليوم معروف بمسجد الصفوية.

وهو أول سلطان من الصفوية اهتم بترويج المذهب الإمامي في جميع البلاد التي امتد إليها سلطانه وقوي فيها نفوذه وكان يرسل الدعاة والمبشرين إلى البلاد التي يريد احتلالها فيدعوهم إلى اعتناق مذهب أجداده أهل البيت عليهم السلام قبل فتحها وكان يفتخر بهذا الشأن بترويج مذهب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان محباً للعلماء والعلويين حسن السيرة معهم واتخذ منهم النقباء والصدور فكانت دولته جامعة بين السلطة الزمنية والروحية واستعان بالعلماء في نشر ألوية المذهب وتشييد أركانه وخطب بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام على المنابر وتم له ما أراد من نشر

المذهب الجعفري على جميع ربوع إيران فلم تعترض في طريقه عقبات كأداة تحول دون ما أراد.

ثمَّ تولى السلطة شاه عباس لمدة أربع وعشرين سنة وتوفي سنة ٩٣٠ ودفن في مقبرة جده صفي الدين في أردبيل.

وخلفه ولده الشاه طهماسب وسار على ما خطى عليه أبوه في تأييد المذهب وقد بالغ في إكرام العلماء حتى جعل أمر المملكة بيد عالم العصر المحقق الثاني الشيخ علي عبد العال وقال له فيما قال: أنت أولى مني بالملك لأنّك نائب الإمام حقاً وأنا عامل منفذ وكتب إلى جميع الولاة وأرباب المناصب بإطاعة الشيخ والعمل بأوامره وتعاليمه.

فكان الشيخ يطبق الشرع الشريف ويقيم الحدود كما عين الأئمة للصلاة والمدرسين في المدارس والوعاظ لبث المذهب ونشره ومن آثار الشاه ترميم الحائر الحسيني وإصلاحه وتوسيع الصحن الحيدري وتجديد المنارة وكانت مدة ملكه أربع وخمسين سنة.

وأمّا شاه عباس فإنّه عرف بأصالة الرأي وقوة العزم وحسن التدبير والعدل في الرعية وكانت البلاد الإيرانية حين تولى الملك مجزأة الأطراف موزعة بين الأتراك والتركمان بسوء إدارة أسلافه فاسترجعها ووحدها تحت سلطانه وأنشأ لأول مرة في تاريخ إيران والصفويين العلاقات السياسية والعلمية والعسكرية بين إيران ودول أوروبا كفرنسا وانكلترا وإيطاليا وبالإضافة إلى هذا كان يمتلك عقلاً عمرانياً ويفكر ويعمل ليل نهار لراحة الرعية ورفاهيتها.

وقد وهب نفسه وخزينته وكل ما يملك لصالح الشعب وإصلاحه وجعل العمل للخير العام هدفه الأول ومثله الأعلى ومن اهتماماته البالغة في البلاد شق الطرق وتعبيدها وتسهيل المواصلات بالأساليب المألوفة في عهده حتى أنّه بنى ألف خان يتسع الواحد منها لمئات المسافرين مع دوابهم وحمولتهم وكانوا يأوون فيها بدون أي مقابل.

ومن اهتماماته: عنايته بالرياضيين المعروفين في إيران بالفهلوان فقد خصص لهم جناحاً خاصاً في قصره واعتبرهم من رجال بلاطه ومن اهتماماته تشييده المساجد والمدارس الفخمة على أحدث طراز.

ومن اهتماماته تكريمه للعلماء والفقهاء بشتى أنواع التكريم والتعظيم حتى كثرت في عهده المؤلفات في الفقه والحديث والأُصول والأخلاق.

قال السيد محسن الأمين في الجزء الثاني من معادن الجواهر: (كان سوق العلم في عهده في أصفهان في رواج عظيم وكان يصدر الرأي المحقق الداماد والشيخ بهاء الدين العاملي في خطير الأُمور وحقيرها وألّف البهائي كثيراً من الكتب باسمه كالجامع العباسي وغيره وإلى غير ذلك من الأعمال الجليلة هذا وكان يرفض التضخيم أو التعظيم وأبى أن يطلق عليه الألقاب.

وقد برز علماء كبار في ذلك الدور الصفوي كالمحقق الكركي والسيد الداماد والشيخ حسين عبد الصمد والشيخ البهائي والمجلسي صاحب البحار وصدر المتألهين صاحب الأسفار والمحقق الأردبيلي والفيض الكاشاني وغيرهم.

مراحل تطور الشيعة

مراحل تطور الشيعة

يمكن أنم نقسم مراحل تطور الشيعة إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول: ويبدأ منذ عصر النبي ﷺ وينتهي بانتهاء العصر الأُموي.

الدور الثاني: يبدأ بإمامة الإمام الصادق عليه السلام أي أول العهد العباسي ويمتد إلى عصر الشيخ المفيد.

الدور الثالث: ويبدأ بعصر الشيخ المفيد وتلميذه الشريف المرتضى وينتهي بعصر العلامة الحلي.

الدور الأول:

اهتم دعاة التشيع في هذا الدور بالدعوة إلى الولاء لأهل البيت عليهم السلام واعتمد على نصوص الكتاب والسنة ولم يتجاوز حرفيتها، والدعوة إلى الإيمان بأن أهل البيت عليهم السلام هم أحقّ الناس جميعاً بخلافة النبي ﷺ وميراثه في الحكم والسلطان.

وكانت مظاهر التشيع في هذا الدور غاية في الوضوح والبساطة والتأكيد على أنّ الخلافة بعد الرسول حق لعلي بن أبي طالب عليه السلام وكان من أوائل من أعلن هذا الحق ودعا إليه السيدة فاطمة

الزهراء عليها السلام أمّ الحسنين حيث أعلنت في خطبتها الأُولى بالمسجد الجامع وفي خطبتها الثانية في بيتها على نساء المهاجرين والأنصار وكانت الغاية من كلتا الخطبتين أن تعلن للأجيال حق بعلها في خلافة أبيها، وأنّ المطالبة بفدك كانت وسيلة لهذه الغاية.

ومن الدعاة الأول إلى التشيع جميع بني هاشم وعلى رأسهم العباس عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكثير من الأصحاب ومن بينهم أكثرهم حماساً أربعة سلمان، وأبو ذر، وعمار والمقداد.

فقد أولى هؤلاء الأربعة لعلي عليه السلام اهتماماً بالغاً وعناية خاصة، نظراً إلى أنّ الإيمان بخلافته من ركائز الإسلام لكونه مما ثبت بنص الوحي الإلهي من أركان الإخلاص وشرط لقوة المسلمين واجتماع شملهم وتوحيد كلمتهم ولم يشكوا لحظة في أنّ انصرافها عن علي عليه السلام إلى غيره مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة ومعصية لله ورسوله.

سلمان الفارسي:

كان من رؤوس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي أشار على النبي بحفر الخندق في وقعة الأحزاب وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين في المدائن وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويجعل البعض الآخر غطاء وكان لا يأكل إلّا من عمل يده وإذا خرج عطاؤه وهو خمسة آلاف فرقه بكامله وقال حين توفي الرسول: (أيّها الناس، قدموا من هو أقرب إلى رسول الله وأعلم بكتاب الله وسنة

نبيه ومما قدّمه النبي في حياته وأوصاكم به عند وفاته ألا إنّ لكم منايا تتبعها بلايا وإنّ عند علي بن أبي طالب علم المنايا والبلايا»[(١)].

أبو ذر الغفاري:

هو ذلك الصحابي الجليل الذي قال في حقه النبي ﷺ: «ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، يعيش وحده ويموت وحده ويبعث وحده ويدخل الجنّة وحده»[(٢)].

وكان رابع المسلمين أو خامسهم وقد نفي وشرد ونكل به لإيمانه وإخلاصه وقال حين بويع أبو بكر:

(يا معشر قريش تركتم قرابة رسول الله والله ليرتد جماعة من العرب ولتشكن في هذا الدين ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان والله لقد صارت لمن غلب ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها، وليسفكن في طلبها دماء كثيرة، إنّ علياً هو الصديق الأكبر وهو الفاروق بعد رسول الله يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة)[(٣)].

مات أبو ذر طريداً منفياً.

---

(١) الإمامة وأهل البيت عليهم السلام ١: ٣٥٢.
(٢) الاحتجاج ١: هامش ٢٢٥.
(٣) الشيعة في الميزان: ٩٩.

عمار بن ياسر:

كان من السابقين الأولين هاجر الهجرتين، إلى الحبشة وإلى المدينة، وصلى القبلتين وشهد بدراً وأحداً وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ وأسلم عمار وأخوه عبد الله وأبوه ياسر وأُمّه سمية حين كان المسلمون مستضعفين في مكة وقد وردت أحاديث كثيرة في مدح عمار منها:

قول النبي ﷺ: «عمار جلدة بين عيني»[1].

ومنها: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[2].

وقال يوم البيعة لأبي بكر: (يا معشر قرش ويا معشر المسلمين إنّ أهل بيت نبيكم أولى به - أي بالنبي ﷺ - وأحق بأثره وأقوم بأُمور الدين وأحفظ لملته وأنصح لأمّته فردوا الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم ويطمع فيكم عدوكم فقد علمتم أنّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم وعلي أقرب إلى نبيكم وهو من نبيكم وليكم بعهد رسول الله ورسوله).

وحضر عمار مع الإمام حرب الجمل وصفين وفيها استشهد ومن أقواله يوم صفين:

---

(١) المسترشد: ٦٥٧.

(٢) صحيح البخاري ١: ٩٣.

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي   سيروا فخير الناس أتباع علي
هذا أوان طاب سل المشرفي   وقودنا الخيل وهذا السمهري

المقداد:

كان من السابقين إلى الإسلام وحضر بدر مع رسول الله ﷺ وحين شاور النبي ﷺ أصحابه في وقعة بدر قال له المقداد: (والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضى وشوك الهراس لخضناه معك والله لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون)[(١)].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لم يتغير المقداد منذ قبض رسول الله حتى فارق الدنيا طرفة عين»[(٢)].

وقال لعلي يوم السقيفة: (إن أمرتني لأضربن بسيفي وإن أمرتني كففت)، فقال له: «اكفف»[(٣)].

وقال يوم بويع عثمان: (وا عجباً من قريش واستئثارهم هذا الأمر من أهل البيت معدن الفضيلة ونجوم الأرض ونور البلاد وإنّ منهم رجلاً - أي علياً عليه السلام - ما رأيت بعد رسول الله أولى بالحق ولا أقضى بالعدل والأمر بالمعروف منه)[(٤)].

مات في خلافة عثمان بن عفان وحضر جنازته.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٥: ٢٨٣.
(٢) نشأة التشيع: ١٣٨.
(٣) الشيعة في الميزان: ١٠٠.
(٤) النص على أمير المؤمنين عليه السلام: ٤٢.

ومن رؤوس الدعاة في هذا الدور حجر بن عدي، وميثم التمار، وكميل بن زياد، وعمر بن الحمق، ورشيد الهجري، وجويرية بن مسعد العبدي وجميعهم قتلوا على التشيع وكانت الدعوة إلى التشيع بطيئة جداً في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر وسريعة في عهد الخليفة الثالث.

لأنّ سيرة عثمان أعانت على نجاح الدعوة إلى التشيع ومكنت لها في النفوس ومضى التشيع قدماً في خلافة الإمام علي وفي حكم معاوية ولم تعقه المذابح والفظائع عن التقدم بل بالعكس زادته قوة وانتشاراً بخاصة حادثة كربلاء.

قال الدكتور طه حسين في كتابه (علي وبنوه): (عظم شأن الشيعة في الأعوام الأخيرة من حكم معاوية وانتشرت دعوتهم أي انتشار في شرق البلاد الإسلامية وفي جنوب بلاد العرب ومات معاوية حين مات وكثير من الناس وعامة أهل العراق بنوع خاص يرون بغض بني أُمية وحب أهل البيت لأنفسهم دينا).

وقال السيد محسن الأمين: (إنّ الشيعة في هذا الدور كان يطلق عليهم اسم الشيعة واسم العلويين معاً ثمَّ اختفى اسم العلويين في عهد العباسيين وبقي اسم الشيعة.

وفي عهد عثمان لقب أتباع عثمان بالعثمانية وأتباع علي عليه السلام بالعلوية واستمر ذلك في بني أُمية وفي دولة بني العباس نسخ اسم العلوية والعثمانية وصار في اسم المسلمين اسم الشيعة واسم السنة إلى يومنا هذا).

وفي هذا الدور اعتمد دعاة التشيع على عظمة الإمام علي عليه السلام وفضائله وما ثبت من الأحاديث النبوية في حقه وكانت خصائص الإمام وسجاياه والميزات التي يتمتع بها من جهة، والمحتوى المعرفي لمذهب أهل البيت، ورصانة الأدلة العقلية والنقلية التي استدل بها على صحته والأهداف الاجتماعية السامية التي سعى إلى تحقيقها.

ولم يكن في هذا الدور فقه يعرف بفقه الشيعة وآخر يعرف بفقه السنة ولم يظهر أي فرق بين الشيعة وغيرهم إلّا في مسألة الخلافة وإمارة المؤمنين وكان الشيعة في هذا الدور يعرفون بالتقوى والزهد ومناهضة الظلم والظالمين حتى لاقوا من حكام الجور من لا يعد من التقتيل والتنكيل. وقد حدثت كثير من الوقائع في هذا الدور أغضضنا النظر عنها خوف الإطالة في سرد الحوادث التاريخية، وحتى بدء الدور الثاني.

الدور الثاني:

بدأ هذا الدور بعصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو آخر الدولة الأُموية حيث دب فيها الضعف وأول الدولة العباسية حيث تنفس الشيعة الصعداء بعد الأيام السود التي عاشوها مع الأمويين وأصبحوا بسبب اضطراب الظرف السياسي آنذاك على شيء من الحرية والأمن على أرواحهم وأموالهم وأُتيح لأئمة أهل البيت عليهم السلام أن ينشروا تعاليمهم في هذه الفترة فرواها الأُلوف وتقبلها الملايين إلى أن قام المنصور فوضع في طريقها العراقيل وعاد الأمر أشدّ وأسوأ مما كان في عهد الأُمويين إبان عهدهم وقوتهم.

وازدحم الرواة والعلماء في هذه الفترة حول الإمام الصادق عليه السلام وقصده الناس من كل قطر ينهلون من معينه ويأخذون عنه شتى العلوم والمعارف.

قال السيد محسن الأمين في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام في أعيان الشيعة الجزء الرابع: (ولد الإمام الصادق عليه السلام سنة ٨٠ هجري وتوفي سنة ١٤٨ هجري فمدة حياته ٦٨ سنة أدرك فيه هشام بن عبد الملك إلى آخر دولة بني أُمية وأدرك من دولة بني العباس السفاح وعشر سنين من ملك المنصور ومن مميزات هذا العصر انتشار العلوم الإسلامية فيه من التفسير والفقه والحديث وعلم الكلام والجدل والأنساب والشعر والأدب والكتابة والتاريخ والنجوم وغيرها).

وكان الإمام الصادق عليه السلام أشهر أهل زمانه علماً وفضلاً.

قال مالك بن أنس إمام المذهب المالكي: (ما رأت عين ولا سمعت أُذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد عليه السلام علماً وعبادة وورعاً وكان كثير الحديث طيب المجالسة جم الفوائد)[(١)].

وقال الحسن بن زياد: (سمعت أبا حنيفة وقد سئل عن أفقه من رآه فقال: جعفر بن محمد ولم يقل أحد: سلوني قبل أن تفقدوني إلّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحفيده جعفر بن محمد عليه السلام).

وروى الجنابذي في معالم العترة الطاهرة عن صالح بن الأسود سمعت جعفر الصادق يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنّه لا يحدثكم

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٩٦.

أحد بعدي بمثل حديثي». وكان يقول: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله ﷺ»[١].

وقد انتشر عنه من العلوم الجمة ما يبهر العقول ولم ينقل العلماء عن أحد ما نقل عنه فقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلاف الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل ذكرهم الحافظ بن عقدة الزيدي في كتاب رجاله وذكر مصنفاتهم فضلاً عن غيرهم.

وقال الشيخ المظفر في كتاب تاريخ الشيعة: (أحسن أيام مرت على الشيعة هي الفترة التي امتزجت من أُخريات دولة بني مروان وأوليات دولة العباس في اشتغال الأُمويين بقتل بعضهم البعض وفي انتقاض البلاد عليهم وفي اشتغال بني العباس بالحروب مع المروانيين تارة واستتباب الأمن أُخرى فانتهز الشيعة هذه الفرصة للارتقاء من مناهل علم الإمام الصادق عليه السلام فشدوا الرحال إليه لأخذ أحكام الدين والمعارف عنه وصارت الشيعة في غضون هذه الفترة تنشر الحديث وتجهر بولاء أهل البيت عليهم السلام ولما قامت دعائم السلطان للمنصور ضيق على الإمام الصادق وأراد أن يقطع الأصل ليكون به جفاف الفرع).

لقد وافق عصر الإمام الصادق عليه السلام حركة فكرية بلغت الغاية في نشاطها وانتشارها وظهرت مقالات غريبة وتيارات أجنبية عن الإسلام تفشت بين المسلمين بخاصة بين شبابهم بالنظر لاتساع رقعة الإسلام

(١) الشيعة في الميزان: ١٠٧.

وكثرة الفتوحات التي فتحها العرب واندماجهم بالأُمم العديدة المتباينة في ثقافتها وأديانها فكان الملحدون يلقون الشبهات والمرجئة يساندون حكام الجور والمغالون يدعون مع الله إلها آخر والخوارج يكفرون المسلمين والمتصوفة يضللون ويراؤون والمحدثون يضعون الأحاديث عن رسول الله ﷺ والمؤمنون يريدون إيماناً واعياً فكان الشغل الشاغل بقادة الدين أن يدافعوا عنهم ويثبتوا صحة العقيدة ويفندوا مزاعم المبطلين ويزيفوا أقوالهم.

وكانت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام أول من شعر بهذا الخطر وأهله وحملت لواء الشريعة الإسلامية أصولها وفروعها وقعدت لكل مهاجم ومعاند وأعلنت حرباً لا هوادة فيها على الغلاة والزنادقة والملحدين من جهة وناضلت فكرياً ضد المعتزلة والمتصوفة والمرجئة والخوارج والأشاعرة في الآراء التي شطوا بها من جهة أُخرى.

وكان من نتيجة هذه الفترة ومرافقتها لتلك الحركات الفكرية أن عرف المذهب صافياً على حقيقته في العقائد والتفسير والأخلاق والفقه وأصوله وأخذ التشيع معناه ومجراه في إطاره العلمي أُصولاً وفروعاً وقد كان المذهب في أشدّ الحاجة إلى هذا المتنفس والمنطلق الذي صادف وجود الإمام عليه السلام .

ولو لم تكن تلك الحركات الفكرية لما كان لنا هذا التراث الضخم من شتى العلوم الإسلامية خصوصاً الفقه بل لم يكن هذا التقارب بين الشيعة والسنة في أُصول الدين ومبادئ التشريع والفضل في استقلاله وتربيته يعود للإمام الصادق عليه السلام بعد أن أسعفته الظروف ومهدت له

السبيل ومن هنا أطلق على الشيعة لفظ الجعفريين وعلى فقههم الفقه الجعفري.

أمّا الإمام الباقر عليه السلام فهو المؤسس الأول لمدرسة ولده الصادق فقد كان له أصحاب وتلاميذ من كبار التابعين وأعيان الفقهاء والمحدثين يتحلقون حوله للدرس في مسجد جده الرسول صلى الله عليه وآله ولكن الله قد اختاره إليه قبل أن تبلغ هذه المدرسة النمو والازدهار فقبض في خلافة هشام بن عبد الملك فخلفه ولده الإمام الصادق عليه السلام وتوالت على مدرسته حظوظ وتوفيقات شتى.

وبعد الإمام الصادق عليه السلام عادت الظروف إلى قسوتها والحوادث إلى شدتها على الأئمة وشيعتهم ولكن المذهب كان قد انتشر في كل قطر وعرفت معالمه وتركزت أسسه وحفظ ودون وعمل الناس به منذ أيام الصادق عليه السلام حتى اليوم وإلى آخر يوم.

وبالتالي فإنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام تبلور واتخذ صورته واضحة جلية وثبتت أركانه ودعائمه في عهد الإمام الصادق عليه السلام وأصبح للشيعة فقههم المستقل وعلماؤهم ورواتهم المعروفون وآراؤهم الخاصة بالتوحيد والعدل وعصمة الأنبياء وشفاعتهم وبالجبر والاختيار وما إلى ذلك وتميز مذهب التشيع عن بقية المذاهب تميزاً تاماً كما تميز مذهب الأشاعرة عن مذهب المعتزلة.

أمّا أقوال بقية الأئمة الأطهار منذ الإمام الكاظم عليه السلام إلى نهاية الغيبة الصغرى فهي إمّا تأكيد لأقوال الإمام الصادق عليه السلام وإمّا متممة

لبعض أُصول المذهب أو فروعه وأمّا رجالات الشيعة في عهد الإمام الصادق عليه السلام وبعده فكان همهم واهتمامهم حفظ تعاليمه وتدوينها والدفاع عنها.

الدور الثالث:

وهو دور الدفاع ورد العاديات ويبتدئ بالشيخ المفيد وتلميذه الشريف المرتضى وينتهي بالعلامة الحلي وليس من شك أنّ الأئمة الأطهار وأصحابهم كهشام بن الحكم وغيره قد ذبوا ودافعوا وكان قصدهم الأول تحديد المذهب وإظهاره على حقيقته وتمييزه عن غيره ودعمه بالحجج والبراهين.

وهذا التقسيم لا يمس التشيع في حقيقته وجوهره لأنّه هو هو في جميع المراحل والأدوار لا تبديل فيه ولا تعديل وإنّما هو باعتبار خصائص العصر والظرف الذي مرّ بها التشيع.

ولقد سبق الشيخ المفيد علماء أعلام كان لهم أحسن الأثر في خدمة المذهب كالكليني صاحب الكافي والصدوق صاحب من لا يحضره الفقيه ولكن هذين العظيمين ومن إليهما كانوا امتداداً لرواة الحديث عن الأئمة الأطهار عليهم السلام وآثارهم يحفظونها من الضياع.

أمّا الشيخ المفيد فكان المدافع الأكبر عن هذه الأخبار والآثار وقد تكاثرت في عصره المدارس وحلقات الدرس وبلغ علم الكلام والجدل الغاية ونبغ عدد كبير من العلماء والمتكلمين وكان من أبرز خصائصهم المناقشات والمناظرات حول قضايا الدين والمذهب.

وقد وضع علماء كل طائفة كتباً في الطعن والرد على المذاهب الأُخرى ولكن تظاهروا جميعاً على الشيعة والتشيع غير أن الشيخ المفيد كان لهم بالمرصاد فكان يجيب عن شبهاتهم وطعونهم بنظر دقيق وبصر ثاقب واستخراج عجيب ثمَّ يورد عليهم ما لم يستطيعوا معه إلّا الإذعان والتسليم.

قال الشيخ عبد الله نعمة وهو يترجم له في كتاب فلاسفة الشيعة: (كانت الشيعة القوة الثالثة بين مذهب المعتزلة ومذهب الأشاعرة وقد تزعم هذه القوة في هذا العهد أبو عبد الله المفيد وكان عليه وهو دماغ الشيعة المفكر أن يشترك في هذا الصراع العنيف ويجالد على عدة جبهات ويناظر أهل كل عقيدة كما يقول ابن كثير الشامي وتعرف حيوية المفيد في تفكيره وآرائه حين نأخذ باعتبارنا تأثير طريقة العصر الذي عاش فيه يوم كانت الأخبار والأحاديث هي السند الوحيد لعلماء الشيعة فيما كتبوه حول عقائدهم ومذاهبهم دون محاكمة أو تمحيص).

أمّا المفيد فقد كان يحاكم ويفكر بحرية وتجرد.

وقال السيد الأمين في الجزء السادس والأربعين من كتاب الأعيان: (قال اليافعي في تاريخه (مرآة الجنان): عالم الشيعة وصاحب التآليف الكثيرة شيخهم المعروف بالمفيد البارع في الكلام والفقه والجدل كان ينظر كل عقيدة بالجلال والعظمة)[1].

---

(١) الشيعة في الميزان: ١١٢.

وقد تضاءل أمام عظمة الشيخ المفيد العلماء وتصاغروا حتى شعروا بأنّهم ليسوا بشيء يُذكر ما دام المفيد حياً.

وفي الختام لولا وقوف علماء آل محمد كالسيد شرف الدين والسيد الأمين والسيد المرتضى والشريف الرضي والشيخ كاشف الغطاء والعلامة الحلي لطمست معالم الدين ولطمع فينا السفهاء والمغفلون بافتراءاتهم وأكاذيبهم ومجادلتهم للباطل لكن تلك الأقلام الشريفة المباركة كانت بالمرصاد وتلك العقول الجبارة كانت متصدية للأفكار المنحرفة وتوضيح زيفها ودفع التباساتها ولم يتقاعس في يوم من الأيام عن مجادلة الباطل والتصدي لكل هجمة على هذا المعتقد الحق الذي جاء به الرسول الأكرم ﷺ برسالة من السماء هدىً للأُمة ونوراً لأفكارها لكي تسير بهم سفينة النجاة إلى شاطئ الأمان والرحمة.

ومهما حاول أعداء الشيعة من الطغاة والحكام والظالمين والحاقدين من تشويه وتزوير للحقائق وإبدال الحق بالباطل أو جعل الباطل حقاً لم يستطيعوا ولن يفلحوا أبداً وإن نجحوا في بعض الأوقات لأنّ الزبد يذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ومذهب الشيعة مما يمكث في الأرض لأنّه وجد وعاش وتغذّى في بيت الرسالة حتى غدا لا فرق بينه وبينها لأنّه من المشايعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو نفس النبي ﷺ بمنطوق القرآن الكريم ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

والشيعة هم الفرقة الناجية التي قال عنها الرسول الأعظم محمد ﷺ : «ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، وفرقة ناجية والباقون في النار»(١).

ولا غرو في ذلك لأنّ الشيعة حذوا في تعاملهم وأخلاقياتهم وسيرتهم في ذلك حذو الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام حذو القذة بالقذة، ورائدهم في ذلك طلب الحق والحقيقة والسير على جادة الصواب.

وقد غاض الأعداء ذلك فحقدوا عليهم حقداً لا حدّ له كما غاضهم أكثر فشلهم الواضح وخسرانهم المبين في إثبات مدعياتهم وصحة آرائهم وعقائدهم بالمراء والجدال وتبيان الحق إضافة إلى استبصار الكثير من الأفراد والجماعات والأُمم وتحولهم إلى نهج علي والأئمة المعصومين عليهم السلام إلى يومنا هذا.



(١) السقيفة: ٣٢.

رجحان المذهب الجعفري على غيره

رجحان المذهب الجعفري على غيره

لما كان المذهب الشيعي يمثل الإيمان الكامل في هيكله ومحتواه وهو تطبيق لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية متمثلة بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام حيث تنحصر العصمة بهم.

ولا شكّ أنّ الرجحان مبنيٌّ على أصلين: الأول: الإيمان بالله والذي يحكي التوحيد والثاني: الإيمان بالعترة وهو: النبي وآله الأطهار والذي يحكي الحب لهم والمشايعة بالأقوال والأفعال؛ لأنّهم عدل الثقل الأكبر (القرآن الكريم) وهم الأعرف بخصائصه وخصوصياته والأولى بتطبيق مفرداته كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تستبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»[1].

وقال عليه السلام: «هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق إلى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا

(١) نهج البلاغة ج١/ خطبة: ٩٣.

الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل»[(١)].

وقال عليه السلام: «ونحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً. . .». إلى أن قال في وصف العترة الطاهرة: «فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد أهله وليحضر عقله»[(٢)].

وقال عليه السلام من خطبة له: «واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنّهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم ولا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق»[(٣)].

إلى كثير من النصوص المأثورة عنه في هذا الموضوع نحو قوله عليه السلام: «بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية»[(٤)].

وقال عليه السلام: «نحن الشجرة النبوية ومحط الرسالة ومختلف الملائكة

---

(١) نهج البلاغة خطبة: ٢٣٤.

(٢) نهج البلاغة ج٢/ الخطبة: ١٦٠.

(٣) نهج البلاغة ج٢/ الخطبة: ١٤٣.

(٤) نهج البلاغة ج٢/ الخطبة: ٣.

ومعادن العلم وينابيع الحكم ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة»[١].

وقال عليه السلام: «أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ثمَّ لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم..». إلى أن قال: «آثرونا عاجلاً وأخروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آخياً»[٢].

وقال عليه السلام: «فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام إصلاته لسيفه»[٣].

وقال عليه السلام: «نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء وحزبنا حزب الله والفئة الباغية حزب الشيطان ومن سوّى بيننا وبين عدونا فليس منا»[٤].

وخطب الإمام المجتبى أبو محمد الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة عليه السلام فقال: «اتقوا الله فينا فإنّا أمراؤكم»[٥].

---

(١) نهج البلاغة ج٢/ الخطبة: ١٠٥، ونقلت هذه الحكمة عن جماعة من أهل السنة وهي موجودة في آخر باب خصوصياتهم صفحة: ١٤٢ من الصواعق المحرقة لابن حجر.
(٢) نهج البلاغة ج٢/ الخطبة: ١٤٠.
(٣) نهج البلاغة ج٢/ الخطبة: ١٨٥.
(٤) الصواعق المحرقة: ١٤٢.
(٥) الصواعق المحرقة: ١٣٧، وآخر باب وصية النبي بهم.

وكتب الأحاديث والسير مشحونة بالأدلة والبراهين القاطعة على أنّ تعظيم العترة الطاهرة تعظيم لله وكتابه وللرسول وسنته وهناك دليل يغنينا عن ألف دليل ودليل لأنّ الذين أوردوها هم الآل والعترة بالذات، وهو أنّه كان من عادة المأمون العباسي أن يعقد مجالس للعلماء على اختلاف مذاهبهم وفرقهم ويرغب إليهم أن يتدارسوا ويتناقشوا في الفقه والحديث والفلسفة وغيرها وفي ذات مرة جمعهم بحضور الإمام الرضا عليه السلام وألقى عليهم هذا السؤال: من هم المصطفون المعنيون بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]؟

قال العلماء - غير الإمام عليه السلام - أُمّة محمد بكاملها.

قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟

قال الإمام عليه السلام: «إنّه أراد العترة الطاهرة دون غيرها».

قال المأمون: وما الدليل على ذلك؟

قال الإمام عليه السلام: «لو أراد الله عزّ وجلّ بهذه الآية الكريمة جميع المسلمين كما قال العلماء لحرمت النار على كل مسلم وإن فعل ما فعل لأنّه سبحانه لا يُعذّبُ أحداً ممن اصطفاهم والثابت بضرورة الدين خلاف ذلك، وإن من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره وإنّ من يعمل مثقال ذرة شراً يره». هذا وإنّ آيات القرآن الكريم يفسر بعضها بعضاً كما أنّ الأحاديث النبوية هي تفسير وبيان لكتاب الله وفي الكتاب والحديث

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

دلائل وشواهد على أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هم العترة الطاهرة.

ومن تلك الشواهد والأدلة:

أولاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(١)].

فقد دلّت الآية على أنّ أهل البيت هم المطهرون من الرجس وحيث أنّ المصطفين مطهرون فأهل البيت إذن هم المصطفون دون غيرهم.

ثانياً: قول الرسول الأعظم ﷺ: «إنّي مخلّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وما دام الكتاب ملازماً للعترة الطاهرة ولم يفترق كل منهما عن الآخر بحال إذن هي التي ترثه وهي التي خصها الله بالقرب والاصطفاء.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[(٢)].

فالذين اختارهم الله في هذه الآية واصطفاهم للمباهلة هم بالذات الذين اصطفاهم وعناهم في الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ...﴾، ولا يختلف اثنان أنّ المراد بأنفسنا: علي، وأبناؤنا: الحسن، ونساؤنا: فاطمة،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

وهذه خاصة لا يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم به بشر، وشرف لا سبقهم إليه مخلوق.

رابعاً: إنّ النبي ﷺ سدّ أبواب الصحابة جميعاً التي كانت على مسجده إلّا باب علي حتى تكلموا واحتجوا وقالوا فيما قالوا: يا رسول الله أبقيت علياً وأخرجتنا. فقال ﷺ: «ما أنا أبقيته وأخرجتكم ولكنّ الله سبحانه هو الذي أبقاه وأخرجكم». فكما أخرج الله الناس هناك وأبقى علياً كذلك أخرجهم من الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ...﴾، وأبقى العترة الطاهرة.

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1].

فقد نصّ صراحة على أنّ لأهل البيت حقاً خاصاً بهم لا يشاركهم فيه أحد وما ذاك إلّا لأنّه سبحانه قد اصطفاهم على الأُمّة جمعاء.

سادساً: إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبياً إلّا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً على تبليغ رسالته؛ لأنّ الله سبحانه هو الذي يوفيه أجر الأنبياء إلّا محمداً ﷺ فإنّ الله أمره أن يجعل أجره مودة قرابته بطاعتهم ومعرفة فضلهم فقد حكى عن نوح أنّه قال: ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[2].

وحكى عن هود أنّه قال لقومه: ﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ﴾[3]

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.
(٢) سورة هود، الآية: ٢٩.
(٣) سورة هود، الآية: ٥١.

أمّا النبي محمد ﷺ فقد قال بأمر ربه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١).

وإذا كان وجوب المودة ميزة خاصة بآل الرسول ﷺ دون غيرهم من آل الأنبياء فكذلك إرث الكتاب والاصطفاء ميزة خاصة بهم دون غيرهم.

سابعاً: إنّ الله سبحانه قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾(٤).

ولم يقل: سلامٌ على آل نوح ولا سلام على آل إبراهيم ولا سلامٌ على آل موسى ولكنه قال عز من قائل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾(٥).

وياسين هو النبي محمد ﷺ بالاتفاق وإذا خصهم الله بالسلام فقد خصهم أيضاً بإرث الكتاب والاصطفاء وجاء في الحديث أنّ المسلمين سألوا محمداً ﷺ: كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ قال: «تقولون: اللهم صلّ على محمد وآل محمد».

ثامناً: قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٦).

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٧٩.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

فقد جعل الله سبحانه الآل في حيز والناس في حيز دونهم ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم على الخلق فبدأ بنفسه ثمَّ ثنّى برسوله ثمَّ بذي القربى في كل ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك وهذا فضل للآل دون الأُمّة.

تاسعاً: قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وأهل البيت هم أهل الذكر؛ لأنّهم عِدل القرآن الكريم بنص حديث الثقلين.

عاشراً: قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[2].

قال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ الله تبارك قد أمرنا بإقامة الصلاة في قوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[3]، ثمَّ خصنا من دونهم بهذه الآية الكريمة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله من بعد نزولها يأتي إلى باب علي وفاطمة عند حضور كل صلاة خمس مرات ويقول: الصلاة يرحمكم الله ولم يكرم أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها». وبعد أن انتهى الإمام من حديثه قال العلماء والمأمون للإمام: جزاكم الله خيراً أهل البيت عن أُمّة جدكم فإنّا لا نجد بيان ما اشتبه علينا من الحق إلّا عندكم[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٢.

(٤) عيون الأخبار للشيخ الصدوق بتصرف في التعبير لأجل التوضيح والاختصار مع المحافظة على المعنى.

نستنتج من خلال ما تقدم من الحديث الشريف عدة أبعاد:

البعد الأول: إنّ الشيعة تستند إلى ركن وثيق في مبدئها وعقيدتها.

البعد الثاني: إنّ الكتاب والعترة هما المنبعان الصافيان الذان لا يشوبهما الشكّ والارتياب.

البعد الثالث: إنّ القرآن والعترة هما الأبواب ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها ومن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.

البعد الرابع: إنّ القرآن أمرنا أن نكون مع الصادقين وهم العترة دون غيرهم.

البعد الخامس: إنّ الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام رجوع إلى القرآن هيكلاً وروحاً.

البعد السادس: التمسك بالعترة نورٌ وهداية والابتعاد عنها زيغ وضلالة.

البعد السابع: إنّ الالتحاق والرجوع إلى مذهب التشيع ينجي من السؤال عند الوقوف يوم القيامة.

البعد الثامن: إنّ القدر المتيقن من أهل البيت هم على طريق الهدى والنجاة.

البعد التاسع: إنّ الأدلة الشرعية تفرض مذهب أهل البيت دون غيره.

البعد العاشر: أهل البيت هم أعرف بأسرار القرآن وحقائقه دون غيرهم.

البعد الحادي عشر: إنّ المذهب الجعفري يتصل بالله تعالى عن طريق الرسول والوحي مباشرة.

البعد الثاني عشر: إنّ المذهب الإمامي والعترة الطاهرة عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية كما في غيرهم.

البعد الثالث عشر: لا دليل على وجوب الأخذ بغير مذهب أهل البيت عليهم السلام.

البعد الرابع عشر: إنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام هو منهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلبه وصفائه.



آلية الخطاب الشيعي

آلية الخطاب الشيعي

اتصفت الشيعة بآلية مثالية في المناظرة والتحاور والاحتجاجات مع المجتمعات والأُمم والشعوب بعدة أساليب منوعة بالأدلة العلمية والاستدلالات العقلية والنقلية إضافة إلى العرفية طبقاً لما تقتضيه طبيعة الحوار أو المحاججة بين الأفراد أو الجماعات.

وقد عرف المذهب الشيعي في آلية خطابه بسيره على أساس العقل والمنطق والقلب المفتوح والصب على السلبيات ليحل العقل محل العاطفة انطلاقاً بأُسلوب هادئ وسليم والتعامل على أساس القناعة مع الحفاظ على روح المودة واحترام أفكار الآخرين.

واعتمد على الحكمة التي أودعها الله تعالى في العقل البشري لكي يضع الشيء في موضعه كي لا يخرج السلوك القولي والعملي عن دائرة الواقع في حاجيات الإنسان وتطلعاته ومستواه في الحوارات والمناظرات.

والخطاب الحسن هو الطريق الوحيد الذي ينفذ إلى العقل بسهولة وإلى القلب بسرعة وإلى الحياة بيسر وانسجام وهذا ما يعبّر عنه بالوعي في حركة آلية الخطاب.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ في آلية الخطاب بالحسنى والكلام الطيب بعدة آيات كقوله تعالى:

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾[(٣)].

وقال تعالى أيضاً عن إبراهيم عليه السلام لما احتج على عبدة كوكب الزهرة وعبدة الشمس والقمر حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[(٤)] إلى أن قال بعد عدّة آيات من المجادلة بالتي هي أحسن: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[(٥)].

وأمّا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في آلية التخاطب عندهم فهي كثيرة جداً نذكر شطراً منها:

أولاً: احتجاج الرسول صلى الله عليه وآله على اليهود في جواز نسخ الشرايع وفي غير ذلك.

.... قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا إخوة اليهود إنّ الدعاوى يتساوى فيها المحقون والمبطلون ولكن حجج الله ودلائله تفرّق بينكم فتكشف

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٥ و٨٣.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

عن تمويه المبطلين وتبين عن حقائق المحقين ورسول الله محمد لا يغتم بجهلكم ولا يكلفكم التسليم له بغير حجة ولكن يقيم عليكم حجة الله التي لا يمكنكم دفاعها ولا تطيقون الامتناع عن موجبها ولو ذهب محمد ويريكم آية من عنده لشككتم وقلتم: إنّه متكلف مصنوع محتال فيه معمول أو متواطئ عليه وإذا اقترحتم أنتم فأراكم ما تقترحون لم يكن لكم أن تقولوا معمول أو متواطأ عليه أو متأت بحيلة أو مقدمات فما الذي تقترحون؟ فهذا ربّ العالمين قد وعدني أن يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم ويزيد في بصائر المؤمنين منكم».

قالوا: قد أنصفتنا يا محمد فإن وفيت بما وعدت من نفسك من الإنصاف فأنت أول راجع عن دعواك النبوة وداخل في غمار الأُمة ومسلم لحكم التوراة لعجزك عما نقترحه عليك وظهور باطل دعواك بما ترمه من حجتك... إلى آخر المحاججة[1].

ثانياً: ومن محاججاته ومناظراته ﷺ مع من خالف الإسلام وغيره.

اجتمع يوماً عند رسول الله ﷺ أهل خمسة أديان اليهود، والنصارى، والدهرية، والثنوية، ومشركو العرب، فقالت اليهود نحن نقول عزير بن الله وقد جئناك يا محمد لننظر ما تقول فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت النصارى نحن نقول: إنّ المسيح ابن الله اتحد به وقد جئناك

---

(١) الاحتجاج ١: ٥١.

لننظر ما تقول فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت الدهرية نحن نقول: إنّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة وقد جئناك لننظر فيما تقول فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت الثنوية: نحن نقول: إنّ النور والظلمة هما المدبران وقد جئناك لننظر فيما تقول فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وإن خالفتنا خصمناك.

وقال مشركو العرب: إنّ أوثاننا آلهة وقد جئناك لننظر فيما تقول فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وإن خالفتنا خصمناك.

فقال رسول الله ﷺ: «آمنت بالله وحده لا شريك له وكفرت بالجبت والطاغوت بكل معبود سواه». ثمَّ قال لهم: «إنّ الله تعالى قد بعثني كافة للناس بشيراً ونذيراً وحجة على العالمين وسيرد كيد من يكيد دينه في نحره». ثمَّ قال لليهود: «أجئتموني لأقبل قولكم بغير حجة»؟

قالوا: لا.

قال: «فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيراً ابن الله»؟

قالوا: لأنّه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلّا لأنّه ابنه.

فقال رسول الله ﷺ فكيف صار عزير ابن الله دون موسى وهو الذي جاء لهم بالتوراة ورئي منه من المعجزات ما قد علمتم ولئن كان

عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالنبوة أولى وأحقّ ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب له أنّه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من النبوة لأنّكم إن كنتم إنّما تريدون بالنبوة الدلالة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم من ولادة الأُمهات الأولاد بوطء آبائهم لهنّ فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه وأوجبتم فيه صفات المحدثين فوجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه. . .». الخ[1].

ثالثاً: احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على علماء النجوم.

فعن سعيد بن جبير قال: استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس وقال له بعد التهنئة: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء ويومك هذا يوم صعب قد اتصلت فيه كوكبان وانقدح من برجك النيران وليس لك الحرب بمكان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «ويحك يا دهقان المنبئ بآثار والمحذّر من الأقدار ما قصة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان وكم المطالع من الأسد والساعات في الحركات وكم بين السراري والذراري»؟

قال: سأنظر وأومأ بيده إلى كمه وأخرج منه اصطرلاباً ينظر فيه فتبسم علي عليه السلام وقال: «تدري ما حدث البارحة وقع بيت في الصين وانفرج برج ماجين وسقط سور سرنديب وانهزم بطريق الروم بأرمينية

(١) الاحتجاج ١: ١٧.

وفقد ديان اليهود بأبلة، وهاج النمل بوادي النمل وهلك ملك أفريقيا أكنت عالماً بهذا»؟

قال: لا يا أمير المؤمنين.

فقال: «سعد سبعون ألف عالم وولد في كل عالم سبعون ألفاً والليلة يموت مثلهم وهذا منهم». وأومأ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي لعنه الله - وكان جاسوساً للخوارج في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام - فظنّ الملعون أنّه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات فخر الدهقان ساجداً.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «ألم أروك من عين التوفيق»؟

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا وأصحابي لا شرقيون ولا غربيون نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك.. أمّا قولك انقدح من برجك النيران فكان الواجب عليك أن تحكم لي به لا علي أمّا نوره وضياؤه فعندي أمّا حريقه ولهبه فذاهب عني وهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسباً»[1].

رابعاً: احتجاج الإمام الرضا عليه السلام.

عن ابن سنان قال: كان المأمون يجلس في ديوان المظالم يوم الاثنين ويوم الخميس ويقعد الرضا عليه السلام عن يمينه فرفع إليه أن صوفياً من أهل الكوفة سرق فأمر بإحضاره فرأى عليه سيماء الخير فقال: سوءاً لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح.

---

(١) الاحتجاج ١: ٣٥٧.

فقال الرجل: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً وقال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾(١). قد منعت من الخمس والغنائم.

فقال: وما حقك منها؟

فقال: قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢)، فمنعتني حقي وأنا مسكين وابن السبيل وأنا من حملة القرآن وقد منعت كل سنة مني مائتي دينار لقول النبي.

فقال المأمون: لا أعطل حداً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السارق من أجل أساطيرك هذه.

قال: فابدأ بنفسك أولاً فطهرها ثمَّ طهر غيرك فأقم حدود الله عليها ثمَّ على غيرك.

قال: فالتفت المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام فقال: ما تقول؟

قال: «إنّه يقول سرقت فسرق».

قال: فغضب المأمون ثمَّ قال: والله لأقطعنك.

قال: أتقطعني وأنت عبدي؟

فقال: ويلك أي شيء تقول؟

قال: أليس أُمّك اشتريت من مال الفيء ولا تقسمها بالحق وأنت

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

عبد لمن في المشرق والمغرب من المسلمين حتى يعتقوك وأنا منهم وما أعتقتك... والأُخرى أنّ النجس لا يطهر نجساً إنّما يطهره طاهر ومن في جنبه حد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١].

فالتفت المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال: ما تقول بها.

قال: «إنّ الله عزّ وجلّ قال لنبيه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[٢] وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل».

قال: فأمر بإطلاق الرجل الصوفي وغضب على الرضا في السر[٣].

وأمّا علماء الشيعة ومفكريهم وانطلاقاً من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام فقد كانت آلية خطاباتهم مبنية كذلك على منهج المناظرات والتحاور بالاستدلالات العلمية والعقلية حسبما تقتضي طبيعة الحوار ومن جملة أولئك الأفذاذ الذين أظهروا الحق بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة:

أولاً: السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه: (المراجعات) الذي نطق بالحق ودعا إلى الحقّ وساق الأدلة الدامغة عليه وقد عُرف

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٣) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٦٨.

بمنهجه القائم على أُسلوب الحوار المنطقي والجدال بالتي هي أحسن من أجل الوصول إلى الحقيقة عندما تحاور (قدس سره) مع أحد أبرز علماء الأزهر المرجع السني الشهير الحجة الشيخ سليم البشري فكان حوارهما يمثل أرقى أمثلة الحوار العلمي الرصين في قضية شائكة وخطرة وهي من أهمّ القضايا التي شغلت أبناء الأُمة الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً في العقائد من دون عقد ولا تشنج ولا مؤاربة ولا مخادعة يبدأ الحوار وفي الصميم ويستمر في أطول حوار عقائدي يتخذ من الحجة والبرهان دليلاً للوصول إلى الحقيقة.

ويعتبر السيد شرف الدين أحد العلماء الذين أرسوا الوحدة القائمة على الحق والمنطق والحوار الهادف للوصول إلى الحقيقة وكتاب المراجعات خير دليل على ما نقول[١].

ثانياً: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه: (الدعوة إلى الإسلام).

فقد دعا في كتابه إلى وحدة الصف وعدم التفرقة بين المسلمين قال (قده) وحيث قد بثثت دعواتي لإخواني المسلمين ربط الله قلوبنا بروابط عرى الوحدة والتوحيد وألهمنا لصالحنا الإصابة والتسديد فخليق بنا أن نعطف أعنّة أقلامنا إلى دعوة زملائنا المسيحيين جمعنا الله وإياهم على الهدى وكلمة الحق حيث كانت وأينما وجدت فالله جل شأنه هو الشهيد وأن ليس أقصى قصدنا وبغيتنا سوى ذلك وليس عندنا تعصب ولا عصبية

(١) المراجعات: أ - ب.

لمحمدية أو مسيحية ولكن ما دعونا إلّا إلى ما قادنا البرهان وساقنا إليه الدليل والوجدان والله على ما نقول وكيل.

وقد عرف (قدس سره) بأنّه رجل البلاغة والفقاهة والبيان وكانت له مكانة عظيمة عند علماء العامة من خلال مناظراتهم والحديث معهم فكانوا يجلونه وينظرون إليه بإكبار وتقدير وهذا ديدن علماء الشيعة ومفكريهم عندما يتكلمون مع الآخرين.

ثالثاً: السيد محسن الأمين في كتابه: (الشيعة بين الحقائق والأوهام):

وهو المجتهد الأكبر والمؤلف القدير وصاحب القلب الكبير والصدر الرحب والخلق الحسن الذي تصدّى للمتعصبين وأعداء الإسلام بروحية عالية وموضوعية شاملة لما تحاور مع صاحب الوشيعة وعلى أثر هذه المحاورة قام بهذا الجهد المبارك عندما التقى بصاحب الوشيعة في الكوفة وطهران وسأله عن عدة مسائل فكان السيد يجيب بأدلة قاطعة من القرآن والسنة بكلّ طلاقة وصراحة ويبرهن على دعواه مستدلاً بأعظم دليل وهو القرآن الكريم.

وردّ على صاحب الوشيعة بكل ما يدعيه من كذب وزور على مذهب الشيعة الذي هم منه براء وهذا ديدن مفكري الشيعة وعلمائهم عندما يتحاجون مع بقية المذاهب أو الأشخاص من دون إثارة حساسية أو إظهار غضب ويعتبرون المستشكل صاحب الحق حتى يقتنع بخلاف ما يدّعيه ويطلع على الحقيقة.

رابعاً: الشيخ أسد حيدر في كتابه: (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة):

حينما تناول شخصيات المذاهب الأربعة كان طرحه بكلّ أدب واحترام على أسس علمية رصينة وطرح موضوعي سليم من دون إثارة أي غبار من قريب أو بعيد حتى قال في حقه الدكتور حامد حفني داود أستاذ الأدب العربي في القاهرة ما نصه:

(فالشيعة من هذه الناحية بالذات مؤمنون عقائديون وليس إيمانهم من هذا النوع الذي يقف عند حدّ التقليد والقول باللسان وهذا الإيمان العميق والمسلك العقائدي الذي يحياه الشيعة في كل قرن هو وحده سرّ هذا النشاط المستمر الملحوظ في دعوتهم وهو أيضاً سرّ الانبثاقات المتلاحقة في مؤلفاتهم وهذا النفس الطويل الذي نلمسه في كتاباتهم.

ولو شئنا أنّ ننصف المؤلف في كتابه عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لاستوعب منا ذلك مجلداً فقد أصدر المؤلف هذا الكتاب ستة أجزاء كاملة مهد في أولها للتأريخ الإسلامي والأدوار التي لعبها في خلق الأحداث المؤثرة في كيان المذاهب الفقهية وكيف كانت حياة الإمام الصادق عليه السلام منها وأين كان يقف المذهب الجعفري ثمَّ مدى تأثيره في المذاهب الأُخرى ومدى ما بينه وبينها من خلافات أكثرها في الفروع وقليل منها في الأُصول[١].

خامساً: السيد علي الحسيني السيستاني:

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة ١: ١٥ - ١٦.

فقد عرف بكونه مناظراً في المباحث العلمية ومداركها حتى تميزت مناظراته بمنهج موضوعي أهمّ معالمه كالآتي:

١ - أن تكون المناظرة في مقام البحث العلمي سواء في درس بحثه الخارج أم في آثاره العلمية.

٢ - الإعراض عن الجدل من أجل الجدل والخوض في المناظرة التي تثمر علماً نافعاً وصولاً إلى الصواب في المطلب.

٣ - استخدام الأُسلوب الرفيع في المناظرة وذلك باستعماله الكلمات المهذّبة في مناقشة آراء العلماء وأدلتهم وبما يحفظ مقام العلماء وعظمتهم حتى وإن كان الرأي المطروح واضح الضعف والاندفاع.

٤ - اتصاف سماحته في مقام المحاججة والمناظرة بالإنصاف واحترام الرأي الآخر.

٥ - غالباً ما كان يحث تلامذته على النقاش ويزرع في نفوسهم أُصول المناظرة وآدابها حتى أثر قوله مداعباً إياهم اسألوا وعن رقم الصفحة أو اسم الكتاب.

سادساً: السيد محمد سعيد الحكيم في كتابه: (في رحاب العقيدة):

فقد تميز بالعمق والموضوعية العلمية والنفس الطويل الهادئ البعيد تماماً عن التشنج والمصادرة والمهاترة مضافاً إلى فقاهته المتميزة وقدسيته العالية.

فقد تحاور مع أحد الباحثين الأردنيين الذي شاء عدم ذكر اسمه

لأسباب خاصة وبدأ الحوار وتنوعت مواضيعه في الفكر والعقيدة وبما يساهم في وحدة الصف الإسلامي وتقوية أواصر اللحمة الإسلامية بدلاً من الانغلاق والتعصب الأعمى المقيت الذي يشتت شمل الأُمة ويخدم ضغط أعدائها والمتربصين بها فكان حوار السيد الحكيم حافلاً بالتحقيق والتدقيق وأزال الشبه ونسف الأوهام وأوضح القصد وأرشد الحائر إلى الطريق القويم[1].

والذي يظهر من خلال ما تقدم أن علماء الإمامية ومفكريهم على وجه التحديد على جانب كبير من الصبر وسعة الصدر والروحية المنفتحة والخلق الرفيع واحترام الرأي المضاد لمن يتحاور معهم في الفكر والعقيدة للوصول إلى الحق والحقيقة بالأدلة الدامغة والتأريخ خير شاهد على ذلك في محاوراتهم العلمية والعقائدية حتى شهد العدو لهم بذلك وبإمكان المنصف أن يطلع على تلكم الحقائق.



(١) في رحاب العقيدة: ٨ - ١١.

الفكر الشيعي بين النظرية والتطبيق

الفكر الشيعي بين النظرية والتطبيق

من السمات التي اتصف بها الفكر الشيعي أنّ جميع أفكاره ومفاهيمه قابلة للتطبيق على الواقع العملي لأنّها من جوهر الإسلام فلا يمكن أن يشرّع الله سبحانه وتعالى تشريعاً غير قابل للتطبيق وهذا واضح من يوم جاء الرسول الأعظم بهذه الرسالة الغراء وإلى يومنا هذا.

وإذا كان الإسلام لا يتجاوز حدود النظرية لما تمكّن من كسب زهاء ربع سكان الكرة الأرضية حتى يكونوا مسلمين. وقد عرف الإسلام الحنيف في تشريعاته ومناهجه بأنّه منهاج عمل ودين حياة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي، الإسلام هو التسليم والتسليم هو التصديق والتصديق هو اليقين واليقين هو الأداء والأداء هو العمل...»[١].

ويتميز الإسلام عن غيره أنّه نظري في أفكاره عملي في تطبيقه بينما النظم غير الإسلامي يمكن تطبيقها ولكنها لا تحقق الأهداف المنشودة ولا السعادة الحقيقية؛ لأنّها من المبادئ الوضعية المصاغة من قبل التصورات البشرية والوساوس الشيطانية في حين أنّ الرسالة صادرة عن خالق الكون وتمتاز بالشمولية والواقعية.

---

(١) بحار الأنوار ٦٥: ٣٠٩.

والرسالة الإلهية رسالة الحياة التي تحيي الإنسان في الدنيا وتؤهله لحياة الآخرة كما يؤكد ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[١].

ولا يمكن لنا أن نضيق المفاهيم الإسلامية ونحددها وفق نظرتنا الأحادية الضيقة بل لا بدّ من النظرة إلى الآفاق الواسعة التي تمتاز بها الشريعة الإسلامية.

وعندما يتأمل الإنسان المؤمن في آيات الذكر الحكيم يلاحظ أنّ الإسلام منهج الحياة والرسالة المتكاملة وهو قائم على بصيرة مزج الحقائق مع بعضها فليست هناك مسافات شاسعة بين العقائد والأخلاق وبين الأخلاق والشرائع والوصايا ولا بين الأُصول والفروع والماضي والحاضر، والحاضر والمستقبل، وبالتالي بين الدنيا والآخرة فالحدود والأحكام والوصايا والأخلاق السامية والمبادئ العليا كلها يضعها القرآن الكريم في إطار واحد وبنظرة شمولية من خلال الآيات القرآنية التي تجعلنا نهيمن على الواقع ونراه عند التطبيق.

فالدين هو العمل والحديث عنه هو العمل والتطبيق كما هو حديث النظرية وفي هذا الإطار يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الإيمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل»[٢].

والله سبحانه وتعالى يحدثنا في سورة السجدة عن المؤمنين الذين

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٦٦: ٢٣.

تحولوا إلى أئمة وقادة يدعون إلى الهدى والخير، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

ولذا كان الهيكل الإسلامي يتألف من مجموعة من الأُصول الأخلاقية والمناهج التربوية التي تجعل من الكيان الإنساني عنصراً فاعلاً ومفيداً في الحياة له ولغيره.

ولا شكّ في أنّ هذه النظريات إذا لم تفعّل في الحياة سوف تكون حبراً على ورق وعبثية لا فائدة منها إن لم تطبّق بصورة صحيحة ليرتقي من خلال هذا التطبيق المجتمع الإنساني إلى سلّم السعادة والفوز الأُخروي الذي يتمناه كل إنسان في هذه الحياة.

وأوضح دليل على ذلك ما جاء به الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الكرام من مناهج ونظريات أخلاقية تنظّم الحياة الإنسانية لأنّ الإسلام كلّ لا يتجزأ، فهو عقائد وأخلاق وشرائع ووصايا وآداب وهذه الجوانب يجب أن يلتزم بها الإنسان المؤمن.

فلا يصحّ للمسلم أن ينتمي إلى الإسلام وهو لا يطبق تعاليمه وأول من طبق النظريات الإسلامية والأخلاقية هو الرسول الأعظم ﷺ في قضية مشهورة وهي زواج جويبر.

قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ رجلاً كان من أهل اليمامة يقال له جويبر أتى رسول الله ﷺ منتجعاً للإسلام فأسلم وحسن إسلامه وكان رجلاً قصيراً دميماً محتاجاً عارياً وكان من قباح السودان فضمه رسول الله ﷺ

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

بحال غربته وعراه وكان يجري عليه طعامه صاعاً من تمر وكساه شملتين وأمره أن يلزم المسجد ويرقد فيه في الليل، نظر ﷺ إلى جويبر ذات يوم برحمة ورقة عليه فقال: (يا جويبر لو تزوجت امرأة فعففت بها فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك).

فقال له جويبر: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي من يرغب فيَّ فوالله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال فأي امرأة ترغب فيَّ؟

فقال رسول الله ﷺ: (يا جويبر إنّ الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً وشرّف بالإسلام من كان في الجاهلية وضيعاً).

ثمَّ قال: (انطلق يا جويبر إلى زياد بن لبيد فإنّه من أشرف بني بياضة حسباً فيهم فقل له إنّي رسول رسول الله ﷺ إليك وهو يقول لك زوجني ابنتك الدلفاء).

قال: فانطلق جويبر برسالة رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد وهو في منزله وجماعة من قومه عنده فاستأذن فأعلم فأذن له وسلّم عليه، ثمَّ قال: يا زياد، إنّي رسول رسول الله إليك في حاجة فأبوح بها أم أسرّها إليك؟

فقال له زياد: بل بح بها فإنّ ذلك شرف لي وفخر.

فقال له جويبر: إنّ رسول الله يقول لك: (زوج جويبر ابنتك الدلفاء).

فقال له زياد: أرسول الله أرسلك إليّ بهذا يا جويبر؟

فقال له: نعم. ما كنت لأكذب على رسول الله ﷺ.

فقال له زياد: إنّا لا نزوج فتياتنا إلّا أكفاءنا من الأنصار فانصرف يا جويبر حتى ألقى رسول الله فأخبره بعذري.

فانصرف جويبر وهو يقول: والله ما بهذا أُنزل القرآن وما بهذا ظهرت نبوة محمد ﷺ فسمعت مقالته الدلفاء وهي في خدرها فأرسلت إلى أبيها أدخل إليّ فدخل إليها.

فقالت له: ما هذا الكلام الذي سمعته منك تحاور به جويبراً؟

فقال لها: إنّ رسول الله أرسله وقال: يقول لك رسول الله: زوج جويبراً ابنتك الدلفاء.

فقالت له: والله ما كان جويبر ليكذب على رسول الله بحضرته فابعث الآن رسولاً يرد عليك جويبراً.

فبعث زياد رسولاً فلحق جويبراً.

فقال له زياد: مرحباً بك اطمئن حتى أعود إليك ثمَّ انطلق زياد إلى رسول الله ﷺ.

فقال له: بأبي أنت وأمي إنّ جويبراً أتاني برسالتك وقال إنّ رسول الله يقول زوج جويبراً ابنتك الدلفاء فلم ألن له القول ورأيت لقاءك ونحن لا نزوج إلّا أكفاءنا من الأنصار.

فقال له رسول الله ﷺ: «يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفؤ للمؤمنة والمسلم كفؤ للمسلمة فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه».

قال: فرجع زياد إلى منزله ودخل على ابنته فقال لها ما سمعه من رسول الله ﷺ.

فقالت له: إنّك إن عصيت رسول الله كفرت.

فخرج زياد فأخذ يد جويبر ثمَّ أخرجه إلى قومه فزوجه على سنة الله وسنة رسوله[١].

هذه الرواية تعطينا درساً واضحاً وصريحاً عن تطبيق الرسول الأعظم للنظرية الإسلامية في واقع الحياة ولم يبال بالفوارق الاجتماعية والطبقية حتى يتأس المسلمون بما فعله الرسول ﷺ من تطبيق مبادئ الإسلام النظرية لتكون واقعاً في الحياة العملية ويسير المسلمون على هذا النهج.

وهناك مثال آخر:

وهو أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام زوج المرأة التي قامت بتربيته من عبد له كما كانت له أمة أطلق حريتها في سبيل الله ثمَّ تزوجها بعد ذلك فما كان من الخليفة الأُموي عبد الملك بن مروان إلّا أن بعث إليه برسالة انتقده فيها على تصرفه هذا فرد عليه الإمام عليه السلام بأنّ الله وضع بالإسلام كل عزيز وأعز كل ذليل ولا لوم إلّا لوم الجاهلية وكان مقصود الإمام عليه السلام أنّ الحاكم الأُموي لا يعي من الإسلام شيئاً والإسلام ليس فيه هذه الحمية المفروضة.

وهناك العديد من هذه الأمثلة.

وهكذا استطاع النبي ﷺ والأئمة الأطهار أن يشيدوا مجتمعاً جديداً قائماً على أساس الفضيلة والتقوى والمحبة والإحسان والأُخوة بعيداً عن ظلم البعض للبعض الآخر.

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ١١٧.

ومحور الفكر الشيعي الذي أرست قواعده الرسالة المحمدية هو التطبيق لأقوال قادة الفكر الشيعي وأئمتهم عليهم السلام.

فأداء الأمانة هو تطبيق للفكر الشيعي.

وصدق الحديث هو تطبيق للفكر الشيعي.

وعدم الخيانة هو تطبيق للفكر الشيعي.

والوفاء بالعهد هو تطبيق للفكر الشيعي.

والالتزام بحسن الخلق هو تطبيق للفكر الشيعي.

والإتيان بالواجبات والابتعاد عن المحرمات هو تطبيق للفكر الشيعي.

والالتزام بوصايا الرسول وأحاديثه هو تطبيق للفكر الشيعي.

وعدم التطبيق للفكر الشيعي وما جاء به الرسول الأعظم وأهل بيته النجباء هو الطامة الكبرى وتهديم للمجتمع بعينه وتمزيق لوحدته وشقاء في الدنيا وعذاب في الآخرة.

والفكر الشيعي مبنيٌ على الملازمة بين الأقوال النظرية والتطبيقات العملية فإذا انفصل أحدهما عن الآخر أصبحت الأقوال النظرية لا ثمرة فيها ولا دور لها في واقع الحياة العملية وبذلك لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه ومن القرآن إلّا رسمه ومن السنة إلّا أقوال جوفاء.

وعلى العكس من ذلك لو تبنى العالم الفكر الشيعي بالمنطق من الكتاب والسنة وما فيهما من نظريات أخلاقية وتشريعات حياتية وأحكام

دستورية تخص الفرد والمجتمع لسعد سعادة لا شقاء بعدها فعندها يتمّ الاستقرار وينتهي دور القضاء فلا حاكم ولا محكوم ولا آمر ولا مأمور بل حياة هانئة مملوءة بالسعادة والاستقرار والطمأنينة بعيدة عن الأحقاد والضغائن.



أبرز علماء الشيعة على مدى التاريخ

أبرز علماء الشيعة على مدى التاريخ

أنجب المذهب الشيعي الكثير من العلماء والمفكرين الذين ملئوا الدنيا بأفكارهم ونظرياتهم التي خدموا بها أجيالاً تلو الأجيال وحققوا إنجازات علمية ضخمة في مختلف العلوم والمعارف بأبحاث علمية دقيقة وقد تخرج من مدرسة النجف الأشرف التي هي نفحة من أنفاس أمير المؤمنين عليه السلام الزكية آلاف من كبار العلماء وأثبتوا للعالم أجمع إمكانياتهم العلمية حتى ملئوا المكتبات العامة بالتراث الشيعي الذي تفخر به الشيعة على مدى التاريخ في بناء الصروح العلمية إلى جانب خوفهم من الله تعالى وقدسيتهم وتقواهم واحتياطهم في مسائل الحلال والحرام وسوف نتعرض إلى قسم من أبرز الشخصيات على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً: السيد محمد مهدي بحر العلوم:

ينتهي نسبه الوضاح إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ممن عرف بتبحره في العلم وبلوغه الغاية القصوى في الزهد والتقوى ورياضة النفس حتى ظهرت على يديه الكرامات واستفاض نقلها عنه.

وقد كان أديباً مفلقاً متصفاً بأريحية الأدب وكان يحتكم عنده

الشعراء فيحكم لهم بالشعر[١] رغم انشغاله بالتدريس وتنظيم شؤون مدرسة النجف الأشرف وأُمور النجفيين الفكرية والاجتماعية فقد ألف حوالي ثلاثة عشر كتاباً ورسالة وحاشية وشرحاً منها:

١ - المصابيح في العبادات والمعاملات.

٢ - الفوائد الأُصولية.

٣ - منظومة الدرة النجفية.

٤ - تحفة الكرام في تاريخ مكة والبيت الحرام.

ثانياً: الشيخ جعفر كاشف الغطاء:

وينتهي نسبه الشريف إلى أحد أبرز أعلام قبيلة بني مالك العراقية.

ولد وترعرع وتوفي في النجف الأشرف ودرس وتخرج منها متتلمذاً على أيدي كبار مجتهديها وقد عرف بسليقته الفقهية وقوة استنباط الأحكام الشرعية حتى قيل أنّ الشيخ جعفر عنده دليل زائد وهو دليل الشمّ (شم الفقاهة)[٢]، وكان أُستاذاً بارعاً وكبيراً في الفقه وعلم الكلام واسع المعرفة بالأحكام.

حتى قيل أنّه لو محيت كل كتب الفقه لأعاد كتابتها بأجمعها عن ظهر قلب من أول الطهارة إلى نهاية كتاب الديات[٣].

---

(١) أعيان الشيعة ١٠ : ١٥٨.

(٢) شم الفقاهة: ما يتمتع به الفقيه من حدس فقهي ناتج من خبرته الشخصية وذوقه الفقهي وثقافته العلمية وإحاطته بعلم الفقه ومداركه واجتهادات الفقهاء.

(٣) أعيان الشيعة ٤ : ١٠٠.

وقد تميزت بعض تأليفاته بدقة الأُسلوب وعمق البحث حتى شقّ على الفقهاء استنباط مدارك فروعه وأثر عن الشيخ مرتضى الأنصاري أنّه قال: (إنّ من أتقن أُصول كاشف الغطاء فهو عندي مجتهد)[١].

وقد انتهت إليه الزعامة الدينية لمدرسة النجف الأشرف بعد وفاة أُستاذه السيد مهدي بحر العلوم.

وله الكثير من المآثر منها: شدة تصلبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل موطن ومكان.

ومنها تولي زعامة النجفيين للدفاع عن مدينتهم والتصدي لهجمات الوهابيين وحث الناس على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى والإكثار من إقامة المجالس الحسينية في الوقت العصيب وأمر بوجوب التدريب على السلاح حتى تمكن من دحر المعتدين وهزيمة الغزاة.

ومنها توسطه بين الحكومتين التركية (العثمانية) والفارسية (القاجارية) لإطلاق سراح أسرى الأتراك بعد هزيمة جيشهم أمام الفرس وقد تمكن من إطلاق سراحهم مما مهد السير لعقد معاهدة الصلح بين الدولتين[٢].

ثالثاً: الشيخ مرتضى الأنصاري:

وينتهي نسبه الوضاء إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري.

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٣٩٨.

(٢) ترجمة صاحب الجواهر/للمظفر ١: ١٠.

وُلد في إقليم عربستان وأتمّ دراسته الأولية في بلدته (دزفول) على أيدي علمائها العرب المسلمين وفي مقدمتهم عمه الشيخ حسين ثمَّ هاجر إلى الحواضر العلمية لإكمال دراسته العالية ثمَّ ذهب إلى كربلاء المقدسة وتتلمذ على أيدي كبار علمائها.

وقد تميز منهج الشيخ الأنصاري في مؤلفاته بالمرتكزات الآتية:

١ - سهولة اللفظ وقوة الاستدلال وعمق البحث والإحاطة بجميع جوانب الموضوع واستيعاب فروعه.

٢ - جمع وتتبع أقوال وآراء العلماء المتقدمين عليه خصوصاً أول من أحدث خلافاً في مسألة ما فينقل عبارته بأمانة ثمَّ يناقشها مناقشة نقدية علمية متابعاً ما تبتني عليه أفكاره من المباني والأُصول مميزاً صحيحها من سقيمها ومرجحاً ما يراه راجحاً ومفنداً ما يراه مرجوحاً.

٣ - تحليل كل مسألة من مسائل البحث تحليلاً علمياً ومناقشتها نقاشاً دقيقاً مستدلاً بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ومستشهداً بكلمات الأعلام من الفقهاء واللغويين وغيرهم.

٤ - التفنن في النقض والإبرام.

٥ - مناقشة كل الإشكالات والاحتمالات والأقوال المتعلقة بموضوع البحث سواء كانت مدونة أم مسموعة.

وقد اشتهر الشيخ الأنصاري بالنبوغ الفكري والتفوق العلمي حتى غدا من العلماء المجددين حيث تجدد على يديه علما الفقه والأُصول وطوّر فيه مناهجهما العلمية.

وقد أصبح تنظير الشيخ الأنصاري فيهما مداراً للأبحاث العلمية حتى اليوم رغم تقدم العلمين وتطورهما بسبب عظمة ما قدمه من تراث علمي ورثه عن أعلام الأئمة وأضاف إليه إبداعاته ودقائقه العلمية في منهجية جديدة والتي كان منها على سبيل المثال تحرير أحكام القطع والظنّ وتنقيح مجرى البراءة والاشتغال وتقريره لموقف الدليل الاجتهادي في الأصل العملي واستنتج أنّه لا يمكن أن يحتج بهما معاً.

وقد عكف على دراسة كتبه ومؤلفاته وتحليل تحقيقاته ونظرياته كل من جاء بعده من العلماء والمجتهدين حتى افتخر الأعلام بفهم آرائه ومعرفة دقائق نظرياته.

رابعاً: السيد كاظم اليزدي:

وينتهي نسبه الشريف إلى إبراهيم الغمر ابن الحسن ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

اشتهر السيد الطباطبائي بكونه فقيهاً محققاً وأُصولياً مدققاً ولغوياً فصيحاً وأديباً شاعراً وناثراً جيد النقد قوي التمييز[١]. استقل بالتدريس بعد هجرة أُستاذه السيد محمد بن محمود الحسيني إلى سامراء ولأهمية دراسته العلمية فقد بلغ عدد تلامذته أكثر من مائتين من العلماء والفضلاء.

وقد ألف عدة كتب في المعارف الإسلامية.

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٤٣.

انتهت إليه الرئاسة العلمية فأصبح مرجعاً للتقليد في مدرسة النجف الأشرف بعد وفاة أُستاذه السيد محمد حسن الحسيني حتى وفاته.

وقد تزعّم السيد محمد كاظم الطباطبائي الفريق القائل بالمستبدة (الحركة المضادة للمطالبين بالدستور)، لأنّ الدستور بدعة لا يؤيدها نص شريف)[١].

ولم يكن مؤيداً لثورة أبناء النجف الأشرف ضد الاحتلال البريطاني في آذار ١٩١٧م لأنّه كما يبدو من التأمّل في مواقفه أنّ الثورة لا يمكن أن تحقق أهدافها بسبب التفوق الهائل للقوات البريطانية في العدة والعتاد وما قد ينجم عن ذلك من دمار لمدينة النجف وخسائر جسيمة في صفوف النجفيين والزائرين من غيرهم.

كان السيد من جملة العلماء والفضلاء والمجتهدين الذين أثروا الصروح العلمية بالتحقيق وتأليف الكتب والموسوعات وإيجاد الحلول الشرعية للإشكاليات والمسائل المستجدة ومع انهماكهم في مسؤولياتهم العلمية إلّا أنّهم كانوا على تواصل دائم مع أفراد المجتمع الإسلامي مدافعين عن الإسلام عقيدة شريفة وعن المسلمين فكراً والتزاماً وعن وحدة بلاد المسلمين.

خامساً: الشيخ محمد حسن النجفي:

وينتهي نسبه إلى عبد الرحيم الشريف الكبير النجفي وهو عميد أُسرة آل الجواهر النجفية وباني أمجادها تتلمذ على يد كبار علماء مدرسة

(١) لمحات اجتماعية/للوردي ١ : ١٠٣، وما بعدها.

النجف الأشرف وتخرج على أيدي مجتهديها حتى أصبح من نوابغ العلماء في القرن الثالث عشر الهجري وقد اجتذب طلاب العلم إلى مجلس بحثه في مدرسة النجف الأشرف بفضل قوة عارضته وبراعته في البيان وحسن تدريسه وغزارة علمه وثاقب فكره وبحثه الدؤوب وانكبابه على التدريس والتأليف

فكان درسه ملتقى النوابغ والمجتهدين حتى تخرج على يديه أكثر من ستين مجتهداً والمئات من العلماء حتى قيل أنّه لم تبق بلدة شيعية إمامية ليس فيها مرجع للناس من تلاميذه.

ألّف عدة كتب ورسائل في علمي الفقه وأُصوله، ومن أهمها:

موسوعة جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: وهي أكبر موسوعة فقهية عند الإمامية ويشتمل الجواهر على عمدة ما يحتاجه الفقيه في مقام الاستنباط فلم يتخل عن مراجعته فقيه بل يرى فقهاء الإمامية توقف استكمال الفحص الواجب في مقام الاستنباط على الاطلاع على ما فيه من جواهر[1].

رسالة في الزكاة ورسالة في الخمس ورسالة في أحكام الأموات ورسالة في المواريث وللشيخ الجواهري مآثر منها:

١ - فتح النهر المعروف باسمه رغم تكاليفه الباهظة لإرواء مدينة النجف التي كانت تعاني من العطش.

---

(١) تاريخ وتطور الفقه والأُصول: ١٣٥.

٢ - بناء مئذنة مسجد الكوفة وروضة مسلم بن عقيل وصحنه وسورها وتم إنجاز ذلك عام ١٢٦٠هـ - ١٨٣٣م.

انتهت إليه الزعامة الدينية فأصبح مرجعاً عاماً لمدرسة النجف الأشرف بعد وفاة أُستاذه الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء وعندما حضرته الوفاة رشّح الشيخ مرتضى الأنصاري ليكون مرجعاً عاماً لمدرسة النجف الأشرف بعد وفاته[١].

سادساً: أبو القاسم نجم الدين الحلي:

ينتهي نسبه المبارك إلى أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي.

قال صاحب الأعيان: (كفاه من جلالة قدره اشتهاره بالمحقق فلم يشتهر من علماء الإمامية على كثرتهم في كل عصر بهذا اللقب).

ولد في زمن الغزو المغولي وحكم التتار في عصرٍ كان متأزماً فكرياً وروحياً واقتصادياً. فكانت نشأته العلمية في وسط عائلي جُلّ أفراده أفاضل فعاش في بيت علمي لا يتنفس إلّا عبير التقى ولا ينهل إلّا من رواء العلم ولا يُطعم إلّا من رياض الأدب.

يقول عنه صاحب أعلام العرب بانّه: (أحد أفراد أُسرة اشتهرت بالمنزلة العلمية والزعامة الدينية ونشأ مولعاً بنظم الشعر وتعاطي الأدب

---

(١) ترجمة صاحب الجواهر/للمظفر ١: ١٩.

والإنشاء فكان مجلياً في ذلك ولكنه ترك ذلك وعكف على الاشتغال في علوم الدين وكانت تمتاز شخصية المحقق بمجموعة من المؤهلات النادرة التي له طواعية بفضل تربيته الإسلامية العامرة بالمفاهيم الصحيحة والمثل السامية والقيم الحقّة خاصة في مجاله الأُسري).

ومن أبرز مؤهلاته:

الشاعرية:

فقد كان امتاز بأدب جمّ وامتلاك ثرّ للمفردات اللغوية وسرعة الخاطر فقال عنه ابن داود في رجاله: (كان ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجة وأسرعهم استحضاراً والفقاهة).

يقول صاحب الأعيان بهذا الخصوص ما نصه: (قال العلامة في إجازته لأبناء زهرة: كان أفضل أهل عصره في الفقه).

وجاء في قاموس الرجال للتستري: (أقول هو أول من جعل الكتب الفقهية بترتيب المتأخرين فجمع في شرائعه لب ما في نهاية الشيخ الذي كان مضامين الأخبار).

وأمّا التنقيح والتحقيق:

فقيل عنه هو أول من نبغ منه التحقيق في الفقه وعنه أُخذ وعليه تخرج ابن اخته العلامة الحلي.

وأمّا التدريس: فإنّه خرج على يده نخبة من الفطاحل الذين جمعوا

في دنياهم بين الورع والعلم وقد تتلمذ على يديه جماعة كبيرة من العلماء والفقهاء المبرزين وكانت الحركة العلمية في عصره بلغت شأناً عظيماً حتى صارت الحلة من المراكز العلمية في البلاد الإسلامية.

ميزاته:

كثيرة منها وأبرزها كتاب الشرائع حيث يمتاز هذا الكتاب بالأُسلوب السلس والعبارة المشرقة والدقة في تأدية المعنى والإيجاز في الألفاظ المنهجية الفذة في البحث والموضوعية الأمينة في عرض الآراء وهناك الكثير من حياته المفعمة بالتقوى والإبداع.

سابعاً: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي:

انحدر الشيخ الطوسي من مدينة طوس وهي إحدى مدن خراسان وهي من أقدم بلاد فارس وأشهرها وكانت ولا تزال من مراكز العلم ومعاهد الثقافة لأنّ فيها قبر الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ثامن أئمة الشيعة الاثني عشرية.

ولد شيخ الطائفة في طوس في شهر رمضان سنة ٣٥٨هـ بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق وهاجر إلى العراق فهبط بغداد وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت زعامة المذهب الجعفري يومذاك لشيخ الأمة وعلم الشيعة محمد بن محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد فلازمه ملازمة الظل وعكف على الاستفادة منه وأدرك شيخه ابن الغضائري وبقي على اتصاله بشيخه حتى اختار الله للأستاذ دار لقائه فانتقلت زعامة

الدين ورياسة المذهب إلى أبرز تلاميذه علم الهدى السيد المرتضى فانتقل شيخ الطائفة إليه ولازم الحضور تحت منبره وعني به المرتضى وبالغ في توجيهه وتلقينه واهتم له أكثر من سائر تلاميذه وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة حتى توفي السيد المعظم فاستقل شيخ الطائفة بالإمامة وظهر على منصّة الزعامة وأصبح علماً للشيعة ومناراً للشريعة وكانت داره في الكرخ مأوى الأُمة ومقصد الوفاد يأتونها لحلّ المشاكل وإيضاح المسائل وقد تقاطر إليه العلماء والفضلاء للتلمذة على يديه والحضور تحت منبره وقصدوه من كل بلد ومكان وبلغ عدد تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة ومن العامة ما لا يحصى كثرة.

وقد اعترف كل فرد من هؤلاء بعظمته ونبوغه وكبر شخصيته وتقدمه على من سواه وبلغ الأمر بالاعتناء به والإكبار له أن جعل له خليفة الوقت القائم بأمر الله.

ولم يفتأ شيخ الطائفة إمام عصره وعزيز مصره حتى ثارت القلاقل وحدثت الفتن بين الشيعة والسنة ولم تزل تنجم وتخبو بين الفينة والأُخرى.

ولمّا رأى الشيخ الأخطار محدقة به هاجر بنفسه إلى النجف الأشرف لائذاً بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصيرها مركزاً للعلم وجامعة كبرى للشيعة الإمامية وعاصمة للدين الإسلامي والمذهب الجعفري وأخذت تشد إليها الرحال وتعلق بها الآمال وأصبحت مهبط رجال العلم ومهوى أفئدتهم وقام فيها بناء صرح الإسلام وكان الفضل

في ذلك لشيخ الطائفة نفسه فقد بث في أعلام حوزته الروح العلمية وغرس في قلوبهم بذور المعارف الإلهية فأول من شيد جامعة النجف شيخ الطائفة ووضع ركنها الأساسي ووضع حجرها الأول وقد تخرج فيها آلاف مؤلفة من أساطين الدين وأعاظم الفقهاء وكبار الفلاسفة ونوابغ المتكلمين وأفاضل المفسّرين وأجلاء اللغويين وغيرهم ممن خبروا العلوم الإسلامية بأنواعها وبرعوا فيها أي براعة.

وليس أدلّ على ذلك من آثارهم المهمة التي هي في طليعة التراث الإسلامي ولم تزل زاهية حتى هذا اليوم يرتحل إليها رواد العلوم والمعارف من سائر الأقطار والقارات فيرتوون من مناهلها العذبة وعيونها الصافية (والمنهل العذب كثير الزحام).

وأمّا مكانة الشيخ العلمية:

فإنّ ثروته العلمية الغزيرة في غنىً عن البيان والإطراء وهو شيخ مجتهدي المسلمين والقدوة لجميع المؤسسين وفي طليعة فقهاء الاثني عشرية وقد أسس طريقة الاجتهاد المطلق في الفقه وأُصوله وانتهى إليه أمر الاستنباط على الطريقة الجعفرية المثلى وقد اشتهر بالشيخ فهو المراد به إذا أطلق في كلمات الأصحاب من عصره إلى عصر زعيم الشيعة كانت تعتبر أحاديثه أصلاً مسلماً ويعدُّ إصدار الفتوى مع وجودها تجاسراً على الشيخ وإهانة له واستمر الحال على ذلك حتى عصر الشيخ ابن إدريس فكان عصرهم يسمى بالمقلدة فكان ابن إدريس أول من خالف بعض آراء الشيخ وفتاواه وفتح باب الرد على نظرياته.

وأمّا مؤلفات الشيخ فهي تحتل المكانة السامية بين آلاف الأسفار الجليلة التي أنتجتها عقول علماء الشيعة الجبارة وما كان حصول الشيخ على هذه المرتبة الجليلة إلّا نتيجة الإخلاص وتبلوره الواقعي فلم يؤلف طلباً للشهرة أو حباً للرياسة أو استمالة لقلوب الناس وجلباً لهم أو مباهاة لعالم من معاصريه وإنّما كان في ذلك كلّه قاصداً وجه الله تعالى شأنه راغباً في حسن جزائه طالباً لجزيل ثوابه حريصاً على حماية الدين وإحياء شريعة سيد المرسلين ومحو آثار المفسدين ومن نفائس ثماره كتابيه التهذيب والاستبصار وهما من الأُصول المسلمة في مدارك الفقه ومنو الكتب الأربعة التي عليها المدار على مرور الأعصار في استنباط أحكام الدين بعد كتاب الله المبين(١).

ثامناً: السيد علي بن الحسين الملقب بالمرتضى:

ينتهي نسبه الطاهر إلى الإمام علي بن الحسين السجاد بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد السيد المرتضى وفي فمه - كما يقولون - ملعقة من ذهب حيث اكتنفه المجد والفخار وحفت به العظمة من شتى نواحيه من أبوين كريمين ماجدين يرفل كل منهما بأثواب العز والسيادة وقد ارتضع لبان العزّ والسؤدد والشرف المؤثل من أُمّه الكريمة الشريفة السيدة فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير وكفاها بذلك فخراً حين تفخر وقد

---

(١) حياة الشيخ الطوسي/للمحقق الكبير الشيخ أغا بزرك الطهراني.

كان جدها الناصر الكبير كما يقول ابن أبي الحديد عنه شيخ الطالبيين وعالمهم وزاهدهم وأديبهم وشاعرهم ملك بلاد الديلم والجبل ويلقب بالناصر للحق وقد أقام بأرض الديلم يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أربع عشرة سنة.

ولقد عنيت هذه السيدة الجليلة بتربية ولديها الشريفين المرتضى والرضي وحرصت بالغ الحرص على تهيئة المناخ المناسب الذي يضمن لها نقاوة المسلك وطيب المشرب حتى توفيت هذه السيدة الجليلة بعد أن اطمأنّت على ولديها وقرت عينها بهما ولمعا في سماء عاصمة الخلافة العباسية وحتى انتهت الرئاسة ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم وكان إماماً في التشيع والكلام والشعر والبلاغة كثير التصانيف متبحراً في فنون العلم بلغت تأليفاته ٢٢ كتاباً في مختلف العلوم، هذه لمحة خاطفة عن سيرة السيد المرتضى[١].

تاسعاً: الشيخ أحمد بن محمد النجفي الملقب بـ (المقدّس):

لقّب بهذا اللقب لاشتهاره بالورع والقداسة والتقى حتى ظهرت على يديه الكرامات التي استفاض نقلها وقد عرف بتضلعه في علوم عصره العقلية والنقلية واشتهر بكونه متكلماً محققاً وفقيهاً مدققاً ومجتهداً صرفاً كالعلامة الحلي ذا عبقرية علمية ونظرة فاحصة لأمهات المطالب وأدق المسائل قد عُدّ ظهوره نقطة انعطاف في استرجاع مدرسة النجف

(١) تقديم كتاب الانتصار/ لآية الله المحقق السيد محمد رضا الخرسان.

الأشرف لدورها العلمي كأهمّ مركز للدراسات العلمية عند الإمامية ومرجعيتهم العامة.

فقده العلماء وطلاب العلم الذين استقطبهم مجلس درسه فتتلمذ على يديه ثلة من العلماء وبلغت كتبه أكثر من ثمانية عشر كتاباً ورسالة وحاشية في علوم فقه القرآن وتفسيره والفقه وأُصوله والفلسفة وأُصول الدين والعقيدة وتأريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام مضافاً إلى ذلك فقد كان ذا شخصية قوية لا يهاب الملوك حتى بلغ الأمر أن وبّخ الشاه (عباس الصفوي) بشأن رجل غضب عليه الشاه فالتجأ إلى الشيخ فكتب الشيخ إلى الشاه قائلاً:

(ليعلم الملك المستعار عباس أنّ هذا الرجل وإن كان ظالماً أول أمره فهو اليوم مظلوم فإذا عفوت عن تقصيره فلعل الله يغفر لك بعض ذنوبك)[1].

ورفض كل إغراءات الشاه (عباس الصفوي) ليهاجر من النجف الأشرف ويستوطن بلاد فارس معلناً أنّ الإقامة في مدينة النجف الأشرف من نعم الله تعالى عليه[2].

ونصّ في رسالته الخراجية الشيخ إبراهيم القطيفي النجفي الذي حكم بحرمة جباية الخراج للشاه الصفوي وغيره فأيد رأي القطيفي وذبّ عنه بالأدلة والبراهين[3].

---

(1) روضات الجنات/ للخوانساري ١: ٨٢.

(2) نفس المصدر: ٨٣.

(3) الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ للطهراني ٧: ١٤٤.

عاشراً: الشيخ فخر الدين الطريحي:

وينتهي نسبه الشريف إلى الشيخ أحمد آل طريح الرماحي الأسدي النجفي.

ولد في النجف الأشرف وتربى في أحضان علمائها الربانيين وتخرج من مدرستها بعد أن تتلمذ على يد أعلامها الكرام.

كان الشيخ الطريحي زاهداً تقياً عالماً متقناً في علم اللغة العربية والفقه والرجال أديباً شاعراً اشتهر بتضلعه في العلوم النقلية مع إحاطة بالعلوم العقلية وعرف بقوة ملكته في استنباط الأحكام و بيانها وكونه إماماً في اللغة لا يكاد يفوته شيء منها سواء في ذلك أصيلها ودخيلها.

وهو من كبار العلماء في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف واسع الرواية دقيق المعرفة في نقد الأخبار وتمييزها شاعر أديب واضح العبارة جزل اللفظ حسن الأُسلوب مرهف الشعور مترسلاً في التعبير في أغراضه ومقاصده.

كرس الشيخ فخر الدين الطريحي نشاطه العلمي في اتجاهين:

الأول: تدريس العلوم وتوضيح مطالب المعارف في مدرسة النجف الأشرف وفي مدارس المدن الإسلامية التي أقام فيها للتدريس ردحاً من الزمن وهي مكة المكرمة، كربلاء المقدسة، الكاظمية، الكوفة، طوس، أصفهان، والرماحية.

وتتلمذ على يديه وحضر مجلس درسه جمع غفير من العلماء المجتهدين والأُدباء والمحدثين فأجاز بعضهم ورووا عنه.

الثاني: البحث والتأليف: حيث ألف الشيخ الطريحي أكثر من أربعين كتاباً في مختلف العلوم وشتى صنوف المعارف حتى بلغ ٢٨ مؤلفاً في مختلف العلوم وتميزت مؤلفات الشيخ بحسن الترتيب والتبويب وبتنسيق موضوعات مباحثها والابتكار في بعض مسائل البحث وكان منهج البحث فيها منهجاً نقلياً مشوباً بالاستدلالات العقلية ولا سيما في ردوده على الآراء التي لا يرتضيها كما في رده على محمد أمين الأسترآبادي القائل بمنع العمل بالظنّ وعلى بعض الفقهاء القائلين بجواز تقليد المجتهد الميت (الإخباريين) كما يبدو ذلك جلياً من الاطلاع على كتابيه اللذين بحث فيهما ذلك[1].



(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ للطهراني ٢: ٤٩٣.

الشيعة في رأي المنصفين

الشيعة في رأي المصنفين

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١].

إنّ رسالة القلم رسالة مقدسة وعظيمة ولها دور كبير في الحياة البشرية وفي حفظ ما يختزنه التأريخ من وقائع وأحداث عقائدية كانت أو مذهبية أو اجتماعية وعلى من يتصدى لرسالة القلم تقع مسؤوليات جسيمة وهو على محك بين الحق والباطل فأمّا الزيغ أو الثبات على الحق.

ويعتبر القلم من نعم الله الكبرى التي وهبها الباري عز وجلّ للإنسانية ومنحها إياهم لكي يحفظوا علومهم ومعارفهم وعقائدهم من الضياع.

وينبغي أن يكون القلم شريفاً ونزيهاً بعيداً عن الكذب والأباطيل وتزوير الحقائق وأن لا يكون مستأجراً لكسب المطامع الدنيوية أو مستخدماً للأغراض الشخصية والمنافع الآنية.

وصاحب القلم مسؤول أمام الله سبحانه عما يسطره من حقائق أو أكاذيب وقد صرّح القرآن الكريم بذلك قائلاً: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة القلم، الآية: ١.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

وتكون المسؤولية أكبر عندما يسطّر القلم عن المذاهب والعقائد لأنّ هذين المحورين هما الأساس في الحياة الإنسانية وعليهما يدور مدار الشقاء والسعادة وبعبارة أُخرى أنّهما يحددان مصير الإنسان في الحياتين الدنيوية والأُخروية وبالتالي تكون النتيجة إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار وكما قيل: (المرء مع من أحب).

والقلم حينما ينحرف عن المسار الصحيح يسبب تمزيق الأُمة ووحدتها وانشقاقها إضافة إلى طمس الحقائق وقلب الباطل حقاً وجعل الحقّ باطلاً طمعاً في حطام الدنيا والثمن البخس.

ومن واجبات القلم الشريف أن يميز بين الحق والباطل وأن لا يبدل الحق بالباطل كما أنّ رسالة القلم لا تقل أهمية عن رسالة اللسان التي كانت رسالة الأنبياء وأولي العزم والصالحين من العباد لأنّ كلاً من رسالة اللسان والقلم على حدّ سواء في عظيم الأجر والثواب فإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أهمّية القلم وما يسطره من لئالئ ودرر.

ولذا نرى أقلاماً شريفة منصفة كتبت للحق ولا تبالي لومة لائم وخير شاهد على ذلك أنّنا نرى بعضاً من علماء إخواننا السنة أو من مفكري الطائفة المسيحية قد كتبوا عن علي عليه السلام وشيعته كتابات أكّدوا فيها أنّ علياً وشيعته ومن والاه وسار على نهجه هم الفائزون والناجون يوم القيامة وأنّ خط علي عليه السلام هو خطّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخط الرسول هو الخط الذي رسمه الله سبحانه وتعالى.

ومن بين هؤلاء المنصفين الذين كتبوا في حقّ علي عليه السلام وشيعته:

أولاً: جبران خليل جبران فيلسوف لبنان وقد رسم صورة رائعة للإمام عليه السلام بريشته منها قوله:

(في عقيدتي أنّ ابن أبي طالب هو أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها فرددها على مسمع قوم لم يسمعوا بمثلها من ذي قبل فتاهوا بين مفاهيم بلاغته وظلمات ماضيهم فمن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية.

مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته مات والصلاة بين شفتيه مات وفي قلبه الشوق إلى ربّه ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام أُناس من جيرانهم الفرس أناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى.

مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة ووافية غير أنّني أتمثله مبتسماً قبل أن يغمض عينيه عن هذه الأرض.

مات شأن جميع الأنبياء والباصرين الذين يأتون إلى بلد ليس ببلدهم وإلى قوم ليسوا بقومهم في زمن ليس بزمنهم ولكن لربك شأن في ذلك وهو أعلم).

إنّ تعبير الفيلسوف أصاب في بعض ما قاله في حقّ الرسالات السابقة ولكن أخطأ فيما يخص رسالة الإسلام والدين الحنيف الذي هو مكمل لجميع الرسالات والأديان وأمّا عن تعبيره للقرآن الناطق وهو علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أتمّ ما أوكل به عليه السلام والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]، إلى آخره. ويبقى الإسلام ديناً متكاملاً

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

على مرّ العصور إلى ما شاء الله للأسباب التالية وهي القرآن والأئمة المعصومين والمنبر الحسيني الشريف الذي هو مدرسة لجميع العصور والأزمان.

ثانياً: توماس كارليل قال في أبطاله:

(أمّا علي فلا يسعنا إلّا أن نحبه ونتعشقه فإنّه فتىً كبير النفس جليل القدر يفيض وجدانه رحمةً وبراً يتلظى فؤاده نجدة وحماسة وكان أشجع من ليث ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان جدير بها الفرسان.

وقد قتل بالكوفة غيلة وإنّه لشدة عدله حسب كل إنسان عادلاً مثله وقال حينما أومر في قاتله: «إنّ أعش فأنا وليُّ دمي، وإن أمت فاضربوه ضربة وأن تعفوا أقرب للتقوى»).

ثالثاً: الأديب اللبناني بولس سلامة المسيحي قال ما نصه:

(إنّ هذا الإمام يذكره المسلمون فيقولون كرّم الله وجهه وعليه السلام ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه به الزهاد في صوامعهم فيزدادون زهداً وفنوناً وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء ويتطلع إليه الكاتب الألمعي فيأتي ببيانه ويعتمده الفقيه المدره فيسترشد بأحكامه. أمّا الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ويرفع الرأس إلى هذا الطود الشامخ لتنهل عليه الآيات من عمل وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسخ قواعده أبو الحسن. ويقرأ الجبان سيرة علي فتنهدر في صدره النخوة وتستهويه البطولة إذ لم تشهد

الغبراء ولم تظل السماء أشجع من ابن ابن أبي طالب فعلى ذلك الساعد الأجدل اعتمد الإسلام يوم كان وليداً فعلي هو بطل بدر وخيبر والخندق وحنين.

وأعطب من بطولته الجسدية بطولته النفسية فلم ير أصبر منه على المكاره إذ كانت حياة موصولة الإسلام منذ فتح عينيه على النور في الكعبة حتى أغمضها على الحقّ في مسجد الكوفة.

وبعد فلم تجادلني في أبي حسن أولم تقم خلال العصور فئات من الناس تؤله البطل.

ولا ريب أنّها الضلالة الكبرى ولكنها ضلالة تدلك على الحقّ أو تدلّك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصية العظمى).

رابعاً: الشيخ محمد عبدة وهو يذكر نهج البلاغة قال ما نصه:

(فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة والطامعين في التدرج لمراقيها أن يجعلوا هذا الكتاب من أهمّ محفوظهم وأفضل مأثورهم مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها وتأمّل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها ليصيبوا بذلك أفضل غاية وينتهوا إلى خير نهاية).

خامساً: الشيخ الرئيس ابن سينا قال ما نصه:

(كان علي من العلوم في المحل الذي لا تلحق إليه البشر) أي أنّه عظيم سبق عصره. وهذه شهادة معلم وفيلسوف حكيم في معلم أعظم سبق عصره، فهم عصره ولم يفهمه عصره فتألم وليس في الحياة ما يؤلم النفس الكبيرة والقلب الطيب أكثر من أن يعيش بين قوم لا يفهمونه.

وهو القائل عليه السلام: «اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة».

وكان يقول: «غداً ترون أيامي ويكشف الله عز وجلّ عن سرائري).

وأمّا المنصفين من علماء أهل السنة فقد سجلوا كلمات جريئة حول الطائفة الشيعية وقد عدّها بعضهم مذهباً خامساً وجعلها آخر مرآة الإسلام الصافية ومما يلي تظهر بعض أقوالهم في ذلك:

سادساً: الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت قال:

(إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة)[١].

سابعاً: شيخ الأزهر الدكتور محمد محمد الفحام قال:

(الشيخ محمود شلتوت أنا كنت من المعجبين به وبخلقه وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة العربية وتفسير القرآن ومن دراسته لأُصول الفقه وقد أفتى بذلك - أي جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية - فلا أشكّ أنّه أفتى فتوى مبنية على أساس في اعتقادي)[٢].

ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكريم فخلّد في فتواه الصريحة الشجاعة حيث قال ما مضمونه: يجوز العمل بمذهب الشيعة الإمامية.

ثامناً: الداعية الشيخ محمد الغزالي قال:

(١) إسلامنا/للرافعي: ٥٩.
(٢) في سبيل الوحدة الإسلامية/للرضوي: ٨.

وأعتقد أنّ فتوى الأُستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قطعت شوطاً واسعاً في هذا السبيل واستئناف لجهد المخلصين من أهل السنة وأهل العلم جميعاً وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون من أنّ الأحقاد سوف تأكل الأُمة الإسلامية قبل أن تلتقي صفوفها تحت راية واحدة... وهذه الفتوى في نظري بداية الطريق وأول العمل.

إنّ الشيعة يؤمنون برسالة محمد ﷺ ويرون شرف علي في انتمائه إلى هذا الرسول وفي استمساكه بسنته وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين)[١].

تاسعاً: عبد الرحمن النجار مدير المساجد في القاهرة قال:

(فتوى الشيخ شلتوت نفتي بها الآن حينما نسأل بلا تقييد بالمذاهب الأربعة والشيخ شلتوت إمام مجتهد رأيه صادف عين الحق، لماذا نقتصر في تفكيرنا وفتاوانا على مذاهب معينة وكلّهم مجتهدون)[٢].

عاشراً: حسن البنا قال:

(اعلموا أنّ أهل السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وهذا أصل العقيدة والسنة والشيعة فيه سواء وعليه التقاؤهم أمّا الخلاف بينهما فهو في أُمور من الممكن التقريب فيما بينها)[٣].

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة: ٢٥٧.
(٢) في سبيل الوحدة: ٦٦.
(٣) ذكريات لا مذكرات/لعمر التلمساني: ٢٤٩.

الحادي عشر: الأُستاذ أحمد بك المصري قال:

(والشيعة الإمامية مسلمون يؤمنون بالله ورسوله وبالقرآن وبكل ما جاء به محمد ﷺ وفي الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً فقهاء عظام جداً وعلماء في كل علم وفن وهم عميقو التفكير واسعو الاطلاع ومؤلفاتهم تعدّ بمئات الألوف وقد اطلعت على الكثير منها)[١].

الثاني عشر: الأُستاذ محمود السرطاوي عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية وأحد كبار المفتين قال:

(إنّني أقول ما قاله سلفنا الصالح إنّ الشيعة الإمامية إخواننا في الدين لهم علينا حق الأُخوّة ولنا عليهم مثل ما لهم علينا ما بيننا وبينهم من اختلاف وجهات النظر إنّما هي في الفروع).

الثالث عشر: الأُستاذ عبد الفتاح عبد المقصود قال:

(إنّ في عقيدتي أنّ الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحة ومرآته الصافية ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم والتأريخ خير شاهد على ما قدّمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

وإنّ علماء الشيعة الأفاضل لعبوا دوراً لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة فكافحوا وناضلوا وقدّموا أكبر التضحيات من أجل إعلاء الإسلام ونشر تعاليمه القيمة وتوعية الناس وسوقهم إلى القرآن)[٢].

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي.

(٢) في سبيل الوحدة الإسلامية.

وفي الختام

نرى أنّ الأولى بالمسلم المنصف أن يترك ما كتبه خصوم الشيعة عنهم وأن يباشروا ببصيرة البحث عن الحقيقة فكتب الإمامية متوفرة في كل مكان ويمكن الاتصال بمؤسساتهم ومراكزهم وعلمائهم وفّق الله الجميع لما فيه الخير.



الدعوة الشيعية إلى إصلاح النفوس

الدعوة الشيعية إلى إصلاح النفوس

إنّ أول هدف من أهداف بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام هو إصلاح النفوس البشرية وتهذيبها باعتباره الأساس المتين لهيكلية مجتمع التوحيد وهذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى تقبّل الناس للدعوة الإسلامية والسير على منهج الأنبياء والرسل.

وإذا كان على العكس من ذلك فإنّ التأثير سيكون ضعيفاً ويعود بالسلب على الرسالات السماوية ومن هنا فإنّ الشيعة الذين هم أتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشيعة علي عليه السلام الامتداد الطبيعي لرسالته الغراء فإنّهم حذوا حذو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في دعوتهم لإصلاح النفوس البشرية من الأمراض النفسية كالكفر والحقد والبغض وما أشبه.

ولا يتم الإصلاح إلّا وفق أساسين مهمين:

الأول: البناء الذاتي.

الثاني: إصلاح المجتمعات والشعوب.

أمّا بالنسبة للأول: فهو يرتكز بالتحديد على تطهير النفوس وتهذيبها وتنزيهها عن الأدناس والأرجاس لكي تتخلص من الأدران العالقة بها وانتشالها عن كل ما يشوبها ويعيبها والبناء يتحقق بشرطين أحدهما مكمل للآخر.

الأول: التطهير، ولا يتمّ إلّا عن طريق التوبة إلى الله وترك الذنوب وهي من أهمّ الدعائم الخلقية والمنجيات الأبدية وقد أولاها القرآن أهمية كبيرة وعناية فائقة ورددها كثيراً في آياته كقوله تعالى:

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٢].

وهاتان الآيتان تدعوان إلى وجوب مبادرة العبد إلى التوبة مما احتطبه الإنسان من ذنوب وموبقات لينال مغفرة الله ورضاه.

والتوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد أنفسهم وهي سلاح خلقي على الإنسان والتوبة هي المدخل إلى استقامة النفس وأُسلوب من أساليب التكفير كما أنّا أشرنا إلى أنها من أساليب تطهير النفس والآثار والذنوب وقد أوجبها القرآن والعقل والنقل والإجماع وهي حبل الله ومدد عنايته ولطفه بعباده ومحبته لهم ورجوع من عالم المادة إلى روحانية النفس.

والإقدام على التوبة ليس عملاً بالميسور دائماً فهو يتطلب رياضة روحية وعملية لأنّها رجوع إلى الله تعالى مع العزم على عدم العودة إلى

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

الذنب وهذا هو الذي نعبر عنه بالتطهير وكذلك الاستغفار فإنّ له آثار عظيمة على الإنسان ويؤثر على مجريات حياته.

والذنوب بمثابة المرض وبحاجة إلى العلاج ولا يصلحها إلّا الدواء وهو الندم والاستغفار وهو خير علاج ناجع لمرض نفسي خطير.

قال رسول الله ﷺ: «إنّ للذنوب صداء كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار»[١].

وقال ﷺ أيضاً: «لكلّ داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب»[٢].

فإذا طهر الإنسان نفسه عليه أن يجنبها من الأمراض الأخلاقية كالحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب وقول الزور وما شاكل ذلك.

ولذا فقد عمدت التربية الإسلامية إلى تنمية النزعات الخيرة والعادات الطيبة ليكون الإنسان فريداً في سلوكه واتجاهاته وميوله وعواطفه فلا يطغى أي جانب من الدوافع النفسية على جوانب الروح[٣].

وقد طهرت العقيدة الإسلامية الضمير الإنساني من الوقوع في حمأة الرذائل والحرام وليتوجه الإنسان إلى ميدان مشرق يسوده رضا الله

---

(١) عدّة الداعي.
(٢) أمالي الطوسي ١ : ٣٨٢.
(٣) النظام التربوي في الإسلام: ٢١.

ورضاء الضمير والأخذ بأحسن الآراء لأنّ في ذلك إخلاصاً للحق وتهذيباً للفكر.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

والرقابة النفسية في الإسلام لا تأتي من شخص على شخص ولا من هيئة على هيئة وإنّما هو انضباط عقائدي وهذا هو السر الكامن في عظمة الإسلام وخلوده.

الثاني: إصلاح المجتمعات والشعوب:

يعتمد صلاح المجتمعات والشعوب على صلاح أفرادها وإذا فسدت الأفراد فسدت الشعوب والمجتمعات ولذا اهتم الإسلام بتربية الفرد المسلم لكي يكون المجتمع مجتمعاً مثالياً في تعامله وعلاقاته وسلوكه وصفاته.

ولا يكون المجتمع مثالياً بخصائصه ومميزاته إلّا أن تسود فيه أسس الإصلاح والبناء الحضارية والأخلاقية والشرعية ومن جملة تلكم الأُسس ما يلي:

أولًا: احترام كرامة الإنسان:

فإنّها من أهمّ الأُمور التي تشيع الود في المجتمع وتحفظ وحدته كما أنّ امتهان كرامة الإنسان يؤدي إلى البغضاء والتفرقة وفقدان التعاون.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.

وقد اعتبر الإسلام كل ما يمس كرامة الإنسان من الآثام التي يجتنبها المؤمن كالسخرية بالغير والتجسس وسوء الظن والغيبة.

وقد نهى القرآن الكريم عن هذه الآثام بعد أن بدأ برابطة الإيمان التي تجمعهم، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[1].

ثانياً: عدم أكل أموال الناس بالباطل:

فإنّه من الآفات التي تدمر المجتمعات وقد نهى الإسلام عن أكل أموال الناس ظلماً وعدواناً وشرّع العقوبات للمتعمّدين على حقوق الغير ليستثير فيها الضمير والخوف من الله لتسلك سبيل الخير مع الغير وتتجنب أكل ماله بالباطل.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠ - ١٢.

كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾(١).

إنّ ما سنته القوانين المدنية الحديثة للقضاء على الخلاف بين الأفراد لم يُعط ثمارهُ المنشودة بسبب ضعف الوازع الديني وسوء التربية وجعل الحقّ باطلاً والباطل حقاً بإعطاء صاحب المنصب مالاً أو متاعاً ليسهل إليه أخذ شيء لا حقّ له فيه فيكون كل من الراشي والمرتشي أخذ ما ليس به حق ولذلك نهى الله المؤمنين عن أكل أموال الناس عن طريق الرشوة، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

وروي عن رسول الله أنّه لعن الراشي والمرتشي في الحكم(٣). ولقد حرم الإسلام الرشوة للحفاظ على ترابط المجتمع وعدم ظلم الإنسانية فيما بينهم.

ثالثاً: عدم الفساد في الأرض:

من الأهداف الإسلامية إقامة المجتمع الصالح والقضاء على الفساد في الأرض لأنّه من كبائر الإثم ويؤدي إلى عذاب الله في الدنيا والآخرة والطرد من رحمته وقد تحدث القرآن الكريم عن أقوام استحقوا عذاب

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩ - ٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٣) رواه الترمذي وابن ماجة.

الله بسبب فسادهم في الأرض بقوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[(١)].

وكثيراً ما يصيب الناس ويلات ومحن مرجعها إلى انتشار الفساد فيهم وقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(٢)].

فإنّ نزول العقاب على الناس إنّما هو بسبب جرائمهم وآثامهم وظهور الفساد في البر والبحر لعلهم يرجعون عن المعاصي ويمتثلون أوامر الله تعالى وينتهون عما نهاهم عنه ومن أشدّ أنواع الفساد ضرراً على الأُمّة ما يجري على أيدي الحكام أو الزعماء الفاسدين الذين يجعلون من الحكم أداة لتحقيق مآربهم وتحقيق مكاسبهم وقد فضحهم القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[(٣)].

وقد وقف الإسلام موقفاً صارماً أمام الفساد والمفسدين وحذر أتباعه من إفساد ما تمّ إصلاحه في المجتمع لافتاً أنظارهم إلى أنّ المحسنين هم أقرب الناس إلى رحمة الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الفجر، الآية: ١٣

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٤، ٢٠٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٦

رابعاً: اهتمام الإسلام بإيجاد الأمن:

حرص الإسلام على توفير أسباب الأمن والطمأنينة للأفراد والجماعات وبناء المجتمع على أسس سليمة وسن أفضل الطرق لمكافحة الجريمة والضرب على أيدي العابثين بالأمن والمنحرفين في سلوكهم كي يأمن الناس من أذاهم وجعل الإسلام لكل جريمة عقاباً يتكافأ مع نوعها وإضرارها بالأُمّة وأمر المسلمين بعدم التهاون في تنفيذ العقوبات بحق العابثين والمفسدين وأن لا تأخذهم بالجاني شفقة ولا رحمة.

ولقد حدد القرآن الكريم العقوبات لأُمّهات الجرائم وكبائر المعاصي التي يضطرب لها حبل الأمن ويفسد بها المجتمع.

وإذا طبق المجتمع المسلم أحكام الإسلام في حقّ المجرمين سوف يصبح في طليعة دول العالم التي تنعم بالأمن والاستقرار.

خامساً: عدم قطع الطرق والإفساد في الأرض:

من الأساليب التي اعتمدها الإسلام في محاربة قطاع الطرق والمفسدين في الأرض إنزال أقصى العقوبات بحقهم للحفاظ على المجتمع من فسادهم وجرائمهم وهذا ما صرّح به القرآن الكريم بقوله:

﴿إِنَّمَا جَزَآؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

والمجتمع الذي يتهاون مع المجرمين والمخربين ويتقاعس عن إنزال العقوبة الشديدة بهم هو مجتمع حكم على نفسه بالهلاك. ومن عظمة الإسلام أنّه دين تصدّى للمجرمين والفاسدين بعدم الرأفة معهم بتطبيق حكم الله في الأرض.

سادساً: عدم شرب الخمر:

حارب الإسلام شاربي الخمر ومتعاطي المخدرات وساوى بينهما في العقوبة لما فيهما من أضرار بليغة على الفرد والمجتمع. وبالأخص على جوهرة الإنسان وهو العقل الذي هو مناط التكليف في الإسلام وهو الذي يميّز به الإنسان الشرّ من الخير والفعل الحسن من القبيح وبما أنّ الخمر عدو للعقل ويصيبه بالخلل ومن يُصب في عقله تكن أفعاله شراً على الجماعة التي يعيش فيها.

ولقد أدركت القوانين الوضعية الأخطار التي يمكن أن تحصل من جرّاء الاعتداء على العقل وإصابته بالخلل فعاقبت كل من يتناول المخدرات.

وأمّا الإسلام فقد قرر إقامة الحدّ على شاربي الخمر سواء كان الخمر قليلاً أم كثيراً.

سابعاً: عدم السرقة:

لقد توعد سبحانه وتعالى السارق والسارقة بقطع أيديهما نكالاً لهما وقد حددها الله بقوله تعالى:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وجرائم السرقات لا يحسم شرها إلّا بتطبيق شريعة الإسلام بقطع يد السارق وعدم تأجيل العقوبة وتطبيقها تطبيقاً عاماً يخضع له الناس جميعاً خواصهم وعوامهم أغنياؤهم وفقراؤهم وكل من ثبتت عليه جريمة السرقة تقطع يده أياً كانت مكانته في المجتمع ولقد طبقت بعض الدول الإسلامية هذه العقوبة فكانت النتيجة أن استتب الأمن بين ربوعها.

ثامناً: عدم قتل الأبرياء:

إنّ جريمة القتل العمد من أخطر الجرائم وأشدّها إخلالاً بالأمن وهي في مقدمة الآثام التي يحاسب الله الناس عليها يوم القيامة. يقول النبي ﷺ: «إنّ أوّل ما يحكم بين العباد في الدماء»(٢).

وقد جعل الإسلام قتل النفس الواحدة بمثابة قتل البشرية جميعها فقال سبحانه وتعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾(٣).

وهذه النظرية الشمولية للمشروع الإسلامي تعجز دونها كل النظريات والفلسفات لإنقاذ النفس البشرية من الموت. والإسلام بريء من كلّ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

معتدٍ على الآمنين والأبرياء بالقتل وإن كانوا من أتباع الأديان الأُخرى كاليهود والنصارى.

ويرى الإسلام أنّ مطلق الاعتداء بغير حقّ من كبائر الإثم التي يستحق فاعلها الخلود في العذاب يوم القيامة قال تعالى:

﴿... وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾[1].

وهذا المفهوم الإسلامي يجعل متبعيه يحترمون الحياة الإنسانية ولا يتركون مجالاً لأحد أن يعتدي عليها أو يصيبها بسوء.

تاسعاً: شكر النعم:

من جملة الأسباب التي تؤدي إلى دوام النعم على المجتمعات والشعوب هو عدم كفرانها بالنعم والشكر لله تعالى على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2].

وأمّا الذي لا يشكر الله على نعمه ويجحد فضله فهو كافر بنعمة الله ومن بليغ آيات القرآن حينما يتحدث عن الجوع والخوف ويبين أسبابهما يصوّر تلك الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة إبراهيم عليه السلام، الآية: ٣٤.

مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[١].

وهناك الكثير من الأدلة والبراهين التي تؤكّد على أنّ المجتمع إذا التزم بالجادة المستقيمة ونهج منهج القرآن والسنة الشريفة وطبقهما في واقع الحياة سوف يكون ذلك المجتمع مجتمعاً متقدّماً تسوده المحبة والوئام.



(١) سورة النحل، الآية: ١١٢.

الخُلُق الشيعي وأصالته الروحية

الخُلُق الشيعي وأصالته الروحية

الخُلق - بالضمّ - عبارة عن الصورة الباطلة كما أنّ الخَلق - بالفتح - عبارة عن الصورة الظاهرة. (يقال: فلانٌ حسن الخَلق والخُلق) أي: الظاهر والباطن ولكل منهما هيئة وصورة واضحة إمّا قبيحة وإمّا جميلة.

فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كان الصادر عن تلك الهيئة أفعالاً جميلة محمودة عقلاً وممدوحة شرعاً سمّيت تلك الهيئة (خُلقاً حسناً) وإن كان الصادر منها أفعالاً قبيحة سمّيت (خُلقاً سيئاً)[1].

وللأخلاق مفهومين: مفهوم ضيق وواسع.

أمّا المفهوم الضيق فهو يشمل الصدق والوفاء والإصلاح بين الناس وعدم الغيبة والتهمة والنميمة وتجنب سائر الصفات الرذيلة.

وأمّا المفهوم الواسع فهو يشمل الخلفيات الروحية للأخلاق.

فالصدق نابع من الاستقامة في النفس والوفاء منبثق من الشجاعة النفسية والإصلاح ناتج عن رؤية صافية إلى الحياة.

أمّا الكذب والتهمة والنميمة والغيبة فإنّ هذه الصفات السلبية نابعة من الانحرافات النفسية وفقدان البصيرة في الحياة.

---

(١) الأخلاق/للسيد عبد الله شبر: ١٠.

ولا شكّ أنّ أصالة الأخلاق وعمقها الروحي لدى الشيعة بالتحديد منشأها الرسالة الإلهية والمواعظ القرآنية والخلق النبوي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرون عليهم السلام ولما كانت الأخلاق مبعث الإيمان فهي أهمّ شاخص لبيان شخصية الإنسان وتكامله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضلكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً»[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حسن الخلق نصف الدين»[(٢)].

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «حسن الخلق خير قرين وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه»[(٣)].

فالأخلاق عنوان الإيمان المطلق ومنطلق التقدم وهو قاعدة الانطلاق لتنمية الروح واتصافها بالصفات الحسنة وهذا لا يتمّ إلّا بفترة ليست بالقصيرة لتكون ملكة أخلاقية تقوده نحو رقي النفس الإنسانية في ساحة الفضيلة وهذا يحتاج إلى جهد ووقت لكي يكون أنموذجاً يقتدي بنهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٤)].

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام مجموعة من روائع الكلم في أهمية الأخلاق وتجسيدها في الواقع الحياتي على الفرد والمجتمع، منها:

---

(١) تحف العقول: ٣٨.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٩٩.
(٣) تحف العقول: ١٢١.
(٤) سورة القلم، الآية: ٤.

أولاً: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم».

ثانياً: قال رسول الله ﷺ: «إنّ صاحب الخُلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم».

ثالثاً: قال رسول الله ﷺ: «أكثر ما تلج به أُمّتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق».

رابعاً: قال رسول الله ﷺ: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخُلق».

خامساً: قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «البرّ وحُسن الخُلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار».

سادساً: قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد».

سابعاً: قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

ثامناً: قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى ليعطي عبده من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح».

تاسعاً: عن عطية العابد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «ما يقدم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من أن يسمع الناس بخلقه».

عاشراً: عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الخلق الرفيع منحة يمنحها الله عزّ وجلّ لخلقه فمنه سجية ومنه نية».

فقلت: فأيهما أفضل؟.

فقال: «صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبراً فهو أفضلهما»(١).

الحادي عشر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وإنّ أشبهكم بي أحسنكم خلقاً»(٢).

الثاني عشر: الحديث الشريف: «وعليكم بحسن الخلق فإنّ حسن الخلق في الجنة لا محالة وإياكم وسوء الخلق فإنّ سوء الخلق في النار لا محالة»(٣).

نستنتج من هذه الروايات المباركة أنّ لحسن الخلق تأثيراً كبيراً في حياة الفرد والمجتمع وله آثار دنيوية وأخروية أمّا الدنيوية فإنّها تطيل الأعمار وتعمر الديار وتبسط الأرزاق وأمّا الآثار الأُخروية فإنّها تثقل ميزان الحسنات ويعطي لصاحب الخلق الحسن أجر المجاهد في سبيل الله بل أجر الصائم القائم وإنها مقياس التمايز في درجات الإيمان.

وإنّ حسن الخلق هو علامة دالة على كمال الإيمان بين المؤمنين كما أنّه يذيب الخطايا كما تذيب الشمس قطع الجليد. ومن اتصف

---

(١) هذه الروايات في الكافي ٢: ٩٩، باب حسن الخلق.
(٢) وسائل الشيعة من عيون الأخبار: ٢٣.
(٣) الوسائل ٨: ٥٠٦.

بحسن الخلق شارك النبي محمداً ﷺ في إحدى صفاته التي وصفه الله تعالى بها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

ولا يخفى أنّ لحسن الخلق حدوداً وسمات كتليين الجانب وحسن المنطق وملاقاة الأخوان بوجه طلق. كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام.

قيل للإمام عليه السلام ما حدُّ حسن الخلق؟

قال: «تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقي أخاك ببشر حسن».

ويقسم العلماء الأخلاق إلى: نظري وعملي.

أمّا النظري: فهو الذي يبحث عن أسس الخير المطلق وفكرة الفضيلة من حيث هي بغض النظر عن المصاديق والأفراد كالبحث عن العبادة من حيث هي عبادة لا من حيث هي صوم وصلاة فقط. ويسمى العالم النظري للأخلاق بفلسفة الأخلاق.

أمّا العملي: فلا يبحث فيه عن الخير المطلق والفضيلة كفكرة ومبدأ بل يبحث عن مصاديق الخير التي تقع تحت الحواس والفضائل الخارجية كالوفاء والأمانة والإحسان إلى المعوزين تماماً كما يقول الفقيه: يجب ردّ التحية وتحرم السرقة.

وهذا العلم من المصاديق المحسوسة التي تظهر للعيان كالكرم والشجاعة.

والأخلاق النظرية ليست غاية في ذاتها بل هي خطوة مرحلية ينتقل

منها الباحث إلى التطبيق والعمل وهذه المرحلة التطبيقية العملية هي الهدف الأسمى لعلم الأخلاق بل لكل علم على الإطلاق[١].

والخلاصة:

إنّ العلم النظري للأخلاق مجرد معرفة والعلم العملي سلوك والصلة بينهما تماماً كالصلة بين اليد والعمل وبين العين ورؤية الطريق.

فالخلق الشيعي يستمد أصالته الروحية من علم الأخلاق بقسميه النظري والعملي فما يراه الرائي أحياناً في بعض النماذج الشيعية من عدم اتصافهم بأحد القسمين فهو تقصير بعدم التطبيق الذي سنّه المشرّع الإسلامي.

ومن المعلوم أنّ الأخلاق هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأُمّة بأجمعها ولذا نرى الباحثين والفلاسفة قد اتفقت كلمتهم على ضرورتها للفرد لصالح نفسه وللمجتمع فكما أنّ الفرد يضيره ويفسد من أعماله أن يكون كاذباً مرائياً حسوداً شريراً ماكراً كذلك تفسد المجتمعات بشيوع هذه الصفات في آحادها ولهذا أول ما توجهت إليه عناية الفلاسفة والمشرعين العاملين على إنهاض الجماعات البشرية إلى الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة لأنّها الدعامة الأُولى في بناء كل مجتمع سليم ولم يبالغ (شاتوبريان) حين قال: الأخلاق أساس كل مجتمع.

قال الشاعر:

وإنّما الأُمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١) فلسفة الأخلاق في الإسلام: ٥٣ - ٥٤.

ولا ريب أنّ الأُمم لا تتقدم إلّا بمقدار ما تملكه من رصيد خلقي وتتأخر بقدر رفضها لذلك الرصيد كما حصل في بعض الأُمم الأُوروبية عندما فقدت مركزها العالمي بسبب فقدانها لرصيدها الأخلاقي.

فالأخلاق هي بحث دعامة أساسية لكل تقدم وتطور وبناء وتحضّر بل تعكس عراقة وإشراقة تاريخ تلك الأُمم.

وعلم الأخلاق مجموعة من المبادئ التي ينبغي أن يجري السلوك البشري على مقتضاها أي: أنّ مبادئ الأخلاق ترسم طريق السلوك الحميد وتحدد أهدافه وبواعثه.

ولا شكّ أنّ علم الأخلاق مصدره كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام والعقل والمشاهدة والفطرة. ويعبّر بعض الكتاب عنه بالجهاز الدقيق الموجود في داخل الإنسان، يدرك تلقائياً ما يصلحه ويسعده.

وعلم الأخلاق يتوخى إصلاح الفرد والجماعة بملازمة الصراط المستقيم في السلوك، وعلماء الأخلاق يرسمون ويرسون هذا المنهج والنظام الذي يسترشد به الإنسان إلى الغاية المثلى.

والأخلاق في حدّ ذاتها كلها سلوك وعمل وأنّ مبادئها وقيمها تكون بوحي من الله سبحانه وتعالى وبوحي من الفطرة النقية وجوهر الإنسانية وهذه المبادئ لا تخضع لأحد بل يخضع لها الكبير والصغير على السواء بل وبها يكون الإنسان كبيراً ومهماً وشيئاً مذكوراً.

والمعيار الذي يستند عليه علم الأخلاق هو الإيمان والتربية الحسنة

بغضّ النظر عن المذهب والعقيدة. وهي ثابتة ومستقرة في الفعل والسلوك الخارجي ومتجسّدة في دنيا الواقع وما الرسالة التي جاء بها النبي الأكرم محمد ﷺ إلّا متممة لمكارم الأخلاق.

قال النبي محمد ﷺ في حديث: «إنّما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق».

وعن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: (عليكم بمكارم الأخلاق فإنّ ربّي بعثني بها إنّ من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه وأن يعود من لا يعوده»[1].

وهذا كلّه يعود إلى الإيمان بالله الخالق العالم بالسرائر والضمائر والاعتقاد بالثواب والعقاب وبالأفكار والمفاهيم الطاهرة السليمة ليمكّن للإنسان من انطلاقه لإقامة الشخصية الخيرة والمجتمع السليم بعيداً عن الدوافع الشريرة المضرة.

ومن هنا كانت بعثة الأنبياء عليهم السلام لا سيما رسول الله ﷺ من أجل تربية الإنسان وتعليمه للوصول به إلى الأهداف العالية وتزكية فكره من الدنس والأرجاس بدءاً من إصلاح النفس ووصولاً إلى تكامل النوع الإنساني، وإصلاح المجتمع إنّما هو ثمرة تكامل أفراده.

والثورة الأخلاقية في الإسلام التي قامت على يد الرسول الكريم ﷺ كانت ثورة لوحدها لا نظير لها من حيث البناء والعمق

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٢١ - ٥٢٢.

والأصالة وقد كان الأثر الذي أنتجته هذه البعثة الأخلاقية على النفس الإنسانية وواقع الحياة هو انتشال تلك الأُمّة الذليلة التي لم يكن لها أية قيمة من حضيض المذلّة إلى أوج السماوات وبلغت بذلك المجتمع المنحط إلى أن حمل بيده مشعل الهداية إلى الإيمان وبه أسس حياة جديدة في العالم وأخذ يخطو في طريق الرقي والكمال حتى أصبح الأنموذج الأخلاقي للإنسان المسلم أنموذجاً لم نجد في طول التاريخ له مثيلاً، بخلاف القوانين والأنظمة الوضعية في العالم والتي لا تتمكن من أن تنفذ إلى أعماق ضمير الإنسان والذي هو مصدر كل حركاته ومساعيه لتعبئ طاقاته لبناء مجتمع سالم.



الانفتاح الحضاري على الآخرين

الانفتاح الحضاري على الآخرين

إنّ من جملة وسائل التخاطب في المجتمعات الحوار الفكري الموضوعي القائم على الأُسس العقلية السليمة والأدلة القاطعة التي تثبت دعوى المستدل على صحة مدّعاه.

ولذا فإنّ النظريات والأفكار القائمة على الوهم والتضليل لا تنهض أمام الأفكار الصحيحة المستندة على العقل والواقع.

والمحاورة لغةً: الجواب ومراجعة النطق، وتحاوروا أي: تراجعوا الكلام بينهم[١].

والمحاورة: المجاوبة والتحاور التجاوب[٢].

والمحاورة اصطلاحاً: هي المراجعة في الكلام ومنه التحاور أي: التجاوب وهي ضربٌ من الأدب الرفيع المستوى وأسلوب من أساليبه[٣].

وقد علمنا القرآن الكريم كيفية التحاور مع أهل الكتاب وغيرهم على أن لا نتعدى حدود الأدب والأخلاق الرفيعة التي أكّد الإسلام الحنيف على التحاور بها ولنأخذ من القرآن شاهداً على ذلك.

---

(١) أساس البلاغة/للزمخشري: ١٤٦، القاموس المحيط ٢: ١٥.

(٢) الصحاح/للجوهري: ٢٣٨.

(٣) مناهج الجدل في القرآن الكريم: ٣٠.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[(٢)].

فالآية تحكي تجويز القرآن محاورة الناس كافة على اختلاف مللهم ونحلهم شريطة أن تكون بالتي هي أحسن لإثبات الحقّ وقد حظر كل مجادلة بالباطل كأنّ تقوم على الادعاءات والظنون أو تؤدي إلى الباطل لزعزعة العقائد الحقة ونشر المذاهب الفاسدة.

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[(٣)].

ومنطوق الآية يدل على جواز المجادلة بالعدل والإنصاف وصولاً إلى الحقّ والهدى في مختلف القضايا عقيدة كانت أم غيرها مع كل الناس من أي ملة أو نحلة كانوا.

والشيعة على مدى السنين والأيام عندما يتحاورون فإنّما يتحاورون معهم على أساس الحوار الهادئ والمنطق السليم. أمّا عن طريق الدليل العلمي أو الحكم الأدبية والآثار المنطقية شريطة عدم إثارة الحساسية

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

والانفعالات النفسية وهذا الأُسلوب من مقومات الانفتاح الحضاري الذي بلغ بهذا الطائر الميمون المبارك (الإسلام) من الفخامة والعظمة في أقلّ من قرن ونصف ما لم تبلغه أكبر دول العالم في عدة قرون لا قبله ولا بعده إعجازاً باهراً وشأناً عظيماً[١].

والواجب يحتم علينا في هذا الظرف العصيب أن نرتفع من أرض الحساسيات والحميات والذاتيات التي هي منبت الصراعات إلى سماء الوحدة بعملية العقل وبقيمة التقوى وبأريحية الإحسان لأنّ الأنانية وميراثها النكد والتعصب المتمثل في الحساسية هي مطية الشيطان التي تثير فينا دفائن الحقد والحسد والطمع وسائر الفواحش الباطنة وبالتالي فإنّها تشل الحركة الحضارية والانفتاح المحوري بين أفراد الأُمّة.

والإسلام دين يدعو إلى التطور الفكري والتألّق في سماء الفضيلة والسماحة والاجتماع على بساط الأُخوة والمحبة والنقاش الهادف والنقد البناء الذي يدفع عجلة الانفتاح الحضاري إلى الأمام بكل رصانة وتماسك.

وما هو موجود الآن من شبكات الاتصال والفضائيات والانترنيت والانفتاح الفكري والسياسي والاقتصادي وغيره سبيل للإصلاح ووسائل للهداية وكل هذه الوسائل طرق توصلنا إلى أبواب المعرفة والثقافة والتفاهم بين الأُمم وقلوب العالمين وأفكارهم.

والذي يرفع رايات البغض والعداء وعدم الانفتاح الحضاري فهو

---

(١) الدعوة الإسلامية/ لمحمد حسين كاشف الغطاء ١: ١٠.

يحمل معول الهدم بين أفراد الأُمّة الإسلامية وغيرها، والإسلام لا يفرق بين المتحاورين فعنده سواء أن يكون مسلماً أو غير مسلم لأنّه يحترم الجميع. وهذا ما أكّده الإسلام في كل زمان ومكان حرصاً منه على حبّ الخير والتقارب بين المذاهب والأُمم.

وقد قسم الباحثون الحوار الفكري إلى ثلاثة أقسام هي:

أولاً/ المحاورة القولية: وهو الحوار الذي يقوم على تردد الكلام بين المتحاورين من خلال سعي كل منهما إلى إثبات دعواه عن طريق البحث والمناقشة إظهاراً للصواب.

ثانياً/ المحاورة العملية: وهو الحوار الذي يُقوّم الدليل لإثبات الدعوى فيها على إجراء أعمال تشهد على صحتها أو تؤدي إلى تحقيقها فعلاً لإثبات الدعاوى العلمية.

ثالثاً/ المحاورة ذات الدعوى المنتصرة: وهو الحوار الذي يقوم على المبادرة بالدعوى مقرونة بدليلها الذي يستحيل أو يتعسر على الخصم دفعه لأنّه من الواقع وعين الحقيقة التي يُسلّم بها الخصم فهو محجوج من أول الأمر وفاشل في زعمه ومفحم في مناظرته.

وليس من المبالغة أن يُقال أنّ الإسلام هو أول من دعا إلى التطور الحضاري والانفتاح على كافة بني البشر دون تمييز بالتشاور والتفاهم والتعاون.

ولا شكّ أنّ التحاور والمجادلة بالتي هي أحسن من مبادئ الأدب في الفكر الشيعي.

وقد ذكر المؤرخون أنّ النبي ﷺ قد حاور الناس سواء كانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم في جميع مراحل الدعوة في مكة أم في المدينة أم في غيرها مقيماً الحجة عليهم وهادياً إياهم إلى سواء السبيل[١].

وكان النبي يقر حوار الصحابة في شتى القضايا ولا ينكره عليهم إلّا إذا خشي منه الضرر وقد خاض المسلمون من مختلف المدارس الإسلامية في قضية خلق القرآن منذ العصر العباسي الأول، فالانفتاح الحضاري والتفاعل مع الآخرين يحافظ على صفاء نفوس المسلمين ونقاء أفكارهم لأنّ حملة الحضارة سواء كانت الإسلامية أم الإنسانية في دوران مستمر وأنّ فكر الإنسان في نمو دؤوب ومتنور تحت تأثير التطور الحضاري والثقافي الذي يترك بصماته واضحة على تفكير الإنسان.

إنّ قمع التساؤلات التي تظهر وسط تفكير الإنسان المسلم وسد المنافذ أمام الحوار بشأنها يؤدي إلى خلق هوة مفتعلة بين مُسلّمات الإنسان المسلم الدينية وبين مستوى تفكيره المتأثر بما يدور حوله من ثقافات ونتاج عقول غير سوية وموقف الإسلام واضح صريح من قضية الحوار والانفتاح بين المذاهب والأديان ومطلق القضايا لأنّه اتسم بالمعالجة العلمية الفنية الدقيقة ولذا أقرّ الإسلام حوارية الأفكار إذا كانت تهدف إلى إحقاق الحق وإزهاق الباطل لإنقاذ الناس من الظلمات

---

(١) جامع بيان العلم/ لابن عبد الله يوسف النحري القرطبي ٢: ١٢٢، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: ٣٤٢ د. رؤوف شلبي، منهج الدعوة الإسلامية/ د. حسن عبد الحميد حين: ١٣ و٣٧ و١٤٩.

إلى النور شريطة أن تسير وفق المنهج الذي يرسمه الإسلام إليها والمتمثل بانطلاقها من أحد ثلاث أُسس هي العلم والهدى والكتاب المنير في الأُمور التي لها ثمار علمية أو عملية ورفض الإسلام الجدال الفاسد الذي لا ثمرة من خلاله ولا يهدي إلى الحقيقة. وقد جرت عدة حوارات ومناظرات عقائدية بين المسلمين واليهود كمناظرة الرسول مع اليهود في شأن تحويل القبلة.

ومناظرته ﷺ مع اليهود في شأن ادعائهم أن العزير ابن الله.

ومناظرة الإمام علي بن أبي طالب مع يهودي في شأن البرزخ.

ومناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع رأس الجالوت في شأت إثبات نبوة الرسول من نصوص توراة اليهود وغيرها.



استخدام مبدأ التقية لأجل التعايش السلمي

استخدام مبدأ التقية لأجل التعايش السلمي

للتقية مفهومان: لغوي واصطلاحي:

مفهومها اللغوي: هو الخشية والخوف والحذر.

مفهومها الاصطلاحي: هو التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق.

والتقية في المفهوم الإسلامي حق من حقوق المكرَه الذي تلجئه الضرورة للدفاع عن نفسه وماله وعرضه. وهذا المبدأ عمل به المسلمون ومن ضمنهم الشيعة في مواقف عدة من زمان الأئمة وإلى يومنا هذا وهو نصّ إسلامي نطق به القرآن الكريم وأقره الرسول الأمين ﷺ.

أمّا القرآن ففيه جملة من الآيات الكريمة منها:

قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(١)

وقوله تعالى: ح خ د ذ ة ت ث ج﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾(٢)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[١].

وأمّا ما نطق به الرسول وعترته الطاهرة فهو:

أولاً: قال الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالتقية فإنّه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره»[٢].

ثانياً: عن المعلى بن خنيس قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا معلى إنّ التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له»[٣].

ثالثاً: عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ما عبد الله بشيء أحبّ إليه من الخبء»، قلت: وما الخبء؟ قال: «التقية»[٤].

رابعاً: عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «التقية ترس المؤمن والتقية حرز المؤمن ولا إيمان لمن لا تقية له»[٥].

خامساً: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا والله ما على وجه الأرض شيء أحبّ إليّ من التقية، يا حبيب إنّه من كانت له تقية رفعه الله، يا

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٢) الأمالي/للطوسي: ٢٩٩.
(٣) مختصر بصائر الدرجات: ١٠١.
(٤) معاني الأخبار: ٣٦٩.
(٥) الكافي ٢: ٢٧٥.

حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، يا حبيب إنّ الناس إنّما هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا»[١].

سادساً: عن المفضل بن عمر قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٢] قال: «التقية، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[٣].

قال: عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة وهو الحصن الحصين وصار بينكم وبين أعداء الله سدّاً لا يستطيعون له نقباً»[٤].

وقال الرازي في تفسير آية: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٥]: روي عن الحسن أنّه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان.

ويقول مصطفى الرافعي: (والتقية عمل مشروع في الإسلام كما كان مشروعاً من قديم الزمان لدى جميع الشعوب والأُمم والأديان ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة والعقل فدليلها في القرآن قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٦]، وهذا يعني أنّه يجوز مداراتهم من قبيل التقية دفعاً لأذاهم)[٧].

---

(١) الكافي ٢: ٢٧٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٧.
(٤) تفسير العياشي ٢: ٣٥١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
(٧) إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة: ١٣٥.

وقد مارس الصحابة التقية التي يمارسها الشيعة فهذا عمار بن ياسر (رض) أظهر بلسانه الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، وقال له رسول الله ﷺ: «إنّ عادوا فعد فقد أنزل الله فيك قرآناً وأمرك أن تعود إن عادوا إليك.

فالتقية ليست خداع ومراوغة ونفاق كما يسميها البعض ولكنها إخفاء الاعتقاد في بعض الظروف دفعاً لأذى الآخرين وإنّما لجأ الشيعة إلى التقية من أجل حفظ حياتهم وحقن دمائهم وهي مشروعة مستمرة من زمن نبي الله نوح إلى مؤمن آل فرعون إلى كليم الله موسى الذي خرج من مصر خائفاً يترقب حيث قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[1] إلى أخيه هارون الذي قال: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[2] إلى لوط حين قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[3] إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ.

فهل يجسر أحد على اتهام هؤلاء الأنبياء وجلّهم من أولي العزم بركونهم إلى الخداع ونكولهم عن الجهاد مثلما يتهم المغرضون الشيعة الإمامية.

وقد التزم أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاؤهم بمبدأ التقية في المجال السياسي والفكري عندما أصابهم الظلم والاضطهاد والتقتيل والتعذيب

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.
(٤) سورة هود، الآية: ٨٠.

والتشريد الذي أخبرهم به رسول الله ﷺ بقوله: «إنّا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وأنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءاً وتشريداً وتطريداً»[(١)]، دفاعاً عن النفس وحماية لذلك الكيان الفكري الأصيل الذي تبناه أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد أوضح علماء الشيعة ومفكريهم مجال التقية وتوظيفها طبقاً لما جاء به القرآن والسنة النبوية المقدّسة وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في ذلك جملة من الأحاديث منها:

١ - «التقية في كلّ ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به»[(٢)].

٢ - «إنّما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فليس تقية»[(٣)].

٣ - «التقية في كلّ شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحلّه الله له»[(٤)].

فالتقية هي موقف دفاعي في حالة الضرورة والاضطراب وضعف النفس.

يقول الشيخ المفيد: (التقية كتمان الحقّ وستر الاعتقاد فيه ومكافحة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضراراً في الدين والدنيا وهي تجب كل بحسبه ويسقط فرضاً في موارد معينة.

ولولا مبدأ التقية الذي كان تشريعه لإنقاذ أتباع أهل البيت عليهم السلام ومن تحتم عليه الضرورة لقضي على الشيعة منذ الصدر الأول حين كان الإسلام ضعيفاً.

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٦.
(٢) الكليني ٢: ٢١٩.
(٣) الكليني ٢: ٢٢٠.
(٤) المصدر السابق.

ومنذ أن استلم الحزب الأُمويّ دفة الحكم كان الشغل الشاغل لهم القضاء على من يوالي علياً عليه السلام واستمرّ الحزب الأُمويّ في الإرهاب وسفك الدماء على امتداد مراحل وجوده في السلطة وقد سجل لنا التاريخ حوادث تحكي أبشع صور الإرهاب والاستخفاف بقيم الحقّ والعدل أيام عبد الملك بن مروان وقتله لسعيد بن جبير حتى جاء في كتاب عبد الملك الذي ولّى فيه خالد القسري فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلنّ امرؤ على نفسه سبيلاً فإنّما هو القتل لا غير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام ثمَّ التفت إليهم خالد وقال: والذي نحلف به ونحج إليه لا أجده في دار أحد إلّا قتلتهم جميعاً وهدمت داره ودار كل واحد من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام..[1].

ثمَّ يلقى القبض على سعيد بن جبير الذي كان من طلائع الموالين لآل البيت النبوي عليهم السلام ويسلم إلى الحجاج السفاح الشهير في تاريخ الإسلام الذي قتل عشرات الآلاف من معارضي السلطة فيقتله.

وأمّا في العهد العباسي فقد لاقى أهل البيت وأتباعهم ألوان المآسي والقتل والتشريد الذي تصاغر أمامه الإرهاب الأُموي.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يوضع تحت المراقبة والرصد والملاحقة وتحسب عليه أنفاسه وفي عهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام اضطرت الشيعة إلى التقية نظراً للممارسات السلطوية والإرهاب العباسي ضد آل

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٤٢.

البيت عليهم السلام وأتباعهم كالحسين بن علي بن الحسين حينما انطلق في ناحية فخ في ثورة عارمة ضد الحاكم العباسي موسى الهادي وتحلّ الفاجعة بآل البيت النبوي ويقتل الحسين الثائر ويقتل معه نفرٌ من أصحابه فيصف الإمام الجواد عليه السلام هذه المأساة بقوله: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ»(١).

ثمَّ يزجّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في سجن الرشيد سنين عديدة حتى يستشهد في سجن السندي بن شاهك مدير شرطة الرشيد مسموماً معذباً في الخامس والعشرين من رجب ببغداد ويحمل جنازته أربعة من الحمالين ولم تقف معاناة أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من الحكام العباسيين عند هذا الحدّ بل تستمر بأشد صورها فيلاقي الإمامان علي الهادي وولده الحسن العسكري عليه السلام من بعده أشدّ المعاناة من الحكام العباسيين الذين عاصروهما.

وإذا أردنا أن نلقي نظرة تحليلية على تلك النصوص لانكشف لنا بوضوح أنّ ما التزم به أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم بمبدأ التقية والكتمان وإخفاء الموقف الفكري السياسي كان خير علاج للحفاظ على هذا المذهب من الضياع والاندثار ولكي نفهم أنّ التقية وسيلة دفاعية ضدّ الظلم والإرهاب يمكن تلخيص سبب تمسك الشيعة بها بعدة نقاط:

١ - لأجل حماية الحقّ والحفاظ على الموقف الشرعي الأصيل.

٢ - الحفاظ على مبدأ التشيع من الضياع.

---

(١) حياة الإمام الجواد عليه السلام.

٣ - الحفاظ على أعلام ومفكري الطائفة الشيعية.

٤ - تدعيم أُسس السلام والابتعاد عن التخاصم والمجادلة.

٥ - هو حقنّ دماء المسلمين.

٦ - هو قبر الفتنة والمخططات المعادية.

٧ - هو الحفاظ على وحدة المسلمين واتحاد كلمتهم.

٨ - التخلّص بإحسان من المواقف الاضطرارية.

٩ - التقية لطف من الله في تشريعه على عباده.

١٠ - من خصائص الطائفة الشيعية الالتزام بمبدأ التقية للتعايش السلمي بين أفراد الأُمّة على اختلاف طبقاتها ومذاهبها لتسير الحياة بصورة هادئة وطبيعية.



الشيعة واحترامها لمعتقدات الآخرين

الشيعة واحترامها لمعتقدات الآخرين

من أساسيات المبدأ الشيعي وأفكاره هو احترام إنسانية الإنسان وحسن التخاطب مع الآخرين لأنّ التقاء الإنسانية بالإنسانية الأُخرى في حركة المشاعر والأحاسيس هي التي تهيئ الجو النفسي للانفتاح على ما تريد أن تطرحه عليه بينما يكون العكس وسيلة من وسائل الانغلاق.

وهذا الاحترام ناشئ من الأخلاق الإسلامية التي لها واقعيتها وتحمي الناس من استغلال الآخرين للقيم الروحية والأخلاقية.

وإذا لاحظنا ما جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نرى أنّهم كانوا من خلال ما يؤكد القرآن يرون أنّ من أولى عناصر الدعوة إلى الله هو احترام إنسانية الإنسان ومشاعره ومعتقداته وعدم الاستهانة والنظرة إليها بالازدراء.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسع الناس كلهم بأخلاقه. ويسع أعداءه كما يسع أصدقاءه وكانت أخلاقه إحدى الدعائم التي ركزت قواعد دعوته المباركة على أساس هذه الحقائق الكبيرة في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك يقول الله تعالى موجّهاً خطابه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

ويقول سبحانه موجهاً خطابه للمسلمين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١)

فالأخلاق أساس مهم في عقيدة الشيعة وعلمائهم وهكذا قال رسول الله ﷺ: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وقد سئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن.

ولذا أراد الله تعالى أن نتحرك إلى الناس من أجل أن ندخل إلى قلوبهم وعقولهم ولهذا أراد للمؤمنين أن يتحركوا بالأساليب التي يمكن أن تفتح قلوب الناس على الحق.

ومن جملة الحريات التي أقرها الإسلام وأعطاها أهمية هي حرية العقيدة وعدم التدخل في خصوصياتها ومفرداتها وأوضح دليل على ذلك أنّك ترى في البلاد الإسلامية مجموعة من العقائد والديانات والشيعة يحترمون هذه المبادئ ويرفضون رفضاً قاطعاً كلّ أنواع الاحتقار والعنف والازدراء بالآخرين ما لم تسبب تلك العقيدة أذى لغيرها أو على حساب الغير فهذا ما يرفضه الإسلام رفضاً قاطعاً.

وهذا الأُسلوب كان أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم يجسدّونه لأنّه الأُسلوب القرآني الحركي بالدعوة إلى الله في خطّ هذه العقيدة أو في الخطّ الأخلاقي وحتى في المجالات الحياتية.

يقول الإمام الباقر عليه السلام في وصية له: «قولوا للناس أحسن ما

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

تحبون أن يقال لكم فإنّ الله تعالى يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين. . . »[١].

وأول ما يبدأ الإسلام بتحرير الناس في حرية الفكر والعقيدة واختيار الدين فإنّ الإسلام لا يجبر الناس على دين معين أبداً ولو كانوا في بلاد الإسلام وتحت رعايته وحمايته وقد أعلن القرآن الحكيم هذه الحرية الفكرية بقوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[٢].

وقد نفّذ ذلك رسول الله ﷺ في كلّ حروبه الدفاعية وغزواته لنشر الإسلام وإنقاذ الناس من الظلمات.

فكانت الانتصارات التي يحققها الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ لا تحمله على إجبار الناس باعتناقه الإسلام بل يعرض عليه الإسلام فمن قبله فهو ومن لم يقبله فلا جبر عليه بالقبول.

والحريات التي سنّها الإسلام للمسلمين ولعامة الناس بمثابة لم ير التأريخ الطويل للعالم لها نظيراً ولا مثيلاً وحتى هذا اليوم الذي يحبّ الغربيون أن يسموه بـ (عصر الحرية).

فالإسلام يعطي قانوناً عاماً لكل فرد من المسلمين بل وحتى لغير المسلمين من سائر البشر فلهم كامل الحرية في جميع المجالات المشروعة ما دام لا يضرّ بحرية غيره.

وهذا ما عرف من سيرة قادته على مدى التاريخ، فقد كان الإمام

---

(١) بحار الأنوار ٦٨: ١٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

الرضا عليه السلام يجلس إلى النصارى واليهود والصابئة والملاحدة ليحاورهم ويدخل معهم في حديث الإسلام مناقشاً أديانهم وأفكارهم وكانوا لا يملكون جواباً أمامه بل يسكتون سكوت الإنسان الذي لا يجد لديه حجّة في الردّ عليه.

وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن الفضل بن العباس عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام ولا رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي أحد منهم إلّا أقرّ له بالفضل وأقرّ على نفسه بالقصور.

ولقد سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «كنت أجلس في الروضة بجوار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عنها»[١].

وقد واجه الإمام الرضا عليه السلام الكثيرين من أهل الفلسفات ومن المتصوفة وكان يخاطب كل واحد منهم بالمستوى العلمي الذي يملكه ورأى فيه كل هؤلاء الإمام الموسوعي الذي لا يتعقد من سؤال ولا يتوقف أمام أية مشكلة بل كان يفيض بالعلم وكان القرآن هو القاعدة التي انطلق منها عليه السلام وارتكز عليها في كل ذلك.

---

(١) بحار الأنوار ٤٩: ١٠٠.

أمّا إنسانية الرسالة في خلافة الإمام الرضا عليه السلام فهي صورة مشرقة في أخلاقه مع الناس وسيرته وتهذيبه الأخلاقي وتواضعه لمن هو أدنى منه وأقل، روي عن إبراهيم بن العباس قال: ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلام قط.

وكان من سيرته العطرة عليه السلام أنّه يملك تهذيب الكلمة لأنّه يقرأ القرآن قراءة تنفتح على الإنسان في سلوكه وكان يقرأ قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

فالكلمة تمثل الروح والعقل والقلب فإذا كان الإنسان طيباً كانت كلمته طيبة وإذا كان الإنسان خبيثاً كانت كلمته خبيثة.

وعلى هذا المنوال سار شيعة أهل البيت وأتباعهم في احترام معتقدات البشرية والتعامل معهم بالتي هي أحسن وهذا ما يتعايش مع سلوك القرآن وطبيعته.

يقول الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

وسيرة أهل البيت عليهم السلام مملوءة بالشواهد على ذلك والمناظرات التي حدثت مع الأئمة عليهم السلام وكذلك علماء الشيعة ومفكريهم حينما يتكلمون مع الآخرين في الحوارات العقائدية لم يكن فيها أي مساس بهم من قريب أو بعيد وإنّما الحكم الفصل هو للدليل القاطع والبرهان الواضح.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

الشيعة رواد الفكر والثقافة

الشيعة رواد الفكر والثقافة

من منطلقات الفكر الشيعي وأصالته التاريخية على مدى الأحقاب الزمنية هو رفده للعلم والعلماء بكل طاقاته ويسعى جاهداً بين الأصالة والتطوير بكل فنون العلم والحضارات وكان سباقاً إلى الدعوة إلى تعلم العلم والعمل به وأكد على طلبه ولو كان في أقصى الأرض أو في الثريا وهذا دليل على اهتمام الفكر الشيعي بالعلم والفكر والثقافة.

وينطلق الشيعة في فكرهم وثقافتهم من القرآن الكريم والسنة الشريفة فالقرآن يصرّح والسنة تنطق بفضل تعليمه وتعلمه وتنوير الفكر به لأنّ الحياة لا بدّ لها من العلم والمعرفة لأنّهما عنوان تقدّم الأمم والشعوب وبدونهما تسقط الأُمم عن الاعتبار والمقاييس الصحيحة.

وقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء بما توصل إليه المسلمون الأوائل من تقدّم علمي وباع طويل في فنون المعارف والعلوم وقد استقوا تلك الكنوز المعرفية من معلم الإنسانية الأول الرسول الأعظم ومن ثمَّ أهل البيت الأطهار الذين علمهم علم النبي ﷺ وعلم النبي جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى.

وكلّما نشاهده اليوم من تقدّم علمي في الشرق والغرب إن كان على المستوى التكنولوجي أو البايولوجي أو الطبي وبقية العلوم الأُخرى فهو

مستقى من مائدة الحضارة الإسلامية ولو رجع المسلمون إلى دينهم وتمسكوا بثقافتهم التي ليس بعدها ثقافة من ثقافات العالم المتحضر في عصرنا الحاضر لأصبحوا قادة الأُمم في مضمار العلم والتقدّم والمدنية ولذا أثنى القرآن الكريم على تحصيل العلم والعمل به وأشاد بالعلماء العاملين ومن تلكم الآيات الشريفة الدالة على ذلك ما يأتي:

١ - في وصف العلم بالحياة ووصف الجهل بالممات بقوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(١).

٢ - ومن دلالات شرف العلم قوله سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٢).

٣ - ومن الأدلة على شرف العلم وعظمته أن أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بزيادة طلب العلم مع ما أعطاه من العلم والحكمة فقال مخاطباً رسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.
(٣) سورة طه (ص)، الآية: ١١٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٥) سورة يوسف عليه السلام، الآية: ٧٦.

وقد أعطى الله داوود وسليمان طائفة من العلم وشكراه على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ولما بلغ موسى بن عمران أشدّه أعطاه الله النبوة والعلم بالدين بقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

ومن جملة النصوص القرآنية على شرف العلم وشرف أهله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾[4].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[5].

وقوله سبحانه: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[6].

وقوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[7].

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٥.
(٢) سورة القصص، الآية: ١٤.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٤٣.
(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

وقوله سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[1].

وأول ما نزل على النبي محمد ﷺ بعد نعمة الإيجاد أنّه أتبعها بنعمة العلم بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[2].

ويظهر من خلال هذا النص القرآني أنّ نعمة العلم هي النعمة الكبرى بعد الخلق وبه يعرف الإنسان أنّه المخلوق من صنعة خالق منعم مبدع في خلقه متفرد في إنعامه متكرم على خلقه متفضل على موجوداته بلطفه وآلائه.

والعلم من الإنسان بمنزلة الروح من الجسد فكما يحيى الجسد بالروح كذلك العلم يحيي صاحبه بعلمه ويعظّم قدره بين الناس وتلحظه العيون بوقار.

ونصوص السنة الشريفة التي أثنت على طلب العلم وفضل العلم والمتعلم كثيرة نذكر قسماً منها:

١ - عن تفسير الإمام عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الرجل في طلب العلم ناداه الله من فوق العرش: مرحباً بك يا عبدي أتدري أي منزلة تطلب وأي درجة تروم تضاهي ملائكتي المقربين لتكون لهم قريباً»[3].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٢) سورة العلق، الآية: ١ - ٥.

(٣) الأخلاق في حديث واحد: ٢١.

٢ - قال الرسول الأكرم ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم»[١].

٣ - قال النبي ﷺ: «طوبى للعالم والمتعلم والعامل به»، فقال رجل: يا رسول الله هذا للعالم فما للمتعلم؟ فقال ﷺ: «العالم والمتعلم في الأجر سواء»[٢].

٤ - وقال ﷺ: «من احتقر صاحب العلم فقد احتقرني ومن احتقرني فهو كافر»[٣].

٥ - وقال ﷺ: «العالم بين جهال كالحي بين الأموات وإنّ طالب العلم يستغفر له كل شيء فاطلبوا العلم فإنّه السبب بينكم وبين الله عز وجلّ وإنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٤].

٦ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أيّها الناس اعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إنّ المال مقسوم بينكم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه، سيفي به لكم والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه واعلموا أنّ كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب وأنّ كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين سبب إلى الجنة والنفقات تنقص المال

---

(١) الكافي ١: ٣٠.
(٢) الأخلاق في حديث واحد: ٢٣.
(٣) الأخلاق في حديث واحد: ٢٢.
(٤) الكافي/ باب فضل العلم.

والعلم يزكو على إنفاقه وإنفاقه بثه إلى حفظته ورواته واعلموا أنّ صحبة العالم واتباعه دين يدان الله به وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيئات وذخيرة للمؤمنين ورفعة في حياتهم وجميل الأحدوثة عنهم بعد موتهم إن العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع وعينه البراءة من الحسد وأُذنه الفهم ولسانه الصدق وحفظه الفحص وقلبه حسن النية وعقله معرفة الأسباب بالأُمور ويده الرحمة وهمته السلامة ورجله زيارة العلماء وحكمته الورع ومستقره النجاة وفائدته العافية ومركبه الوفاء وسلاحه لين الكلام وسيفه الرضا وقوسه المداراة وجيشه محاورة العلماء وماله الأدب وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف ومأواه الموادعة ودليله الهدى ورفيقه صحبة الأخيار»(١).

هذا كلّه في فضل علم الفقه باعتباره أشرف العلوم وأقدسها وبه قوام الإنسان المؤمن ولا يعني هذا أنّ بقية العلوم ليس فيها من الفضل والثواب بل لها كما لعلم الفقه إلّا أنّه أقلّ مرتبة.

وحتى أنّ العلماء الكفار إذا خدموا الإنسانية بعلم نافع كمخترع الكهرباء وعلماء الطب والصناعات المهمة لا يحرمون من الثواب وإن كانوا كفاراً وقد تكفل العدل الإلهي أن لا يضيع أجر من أحسن عملاً وإن كان كافراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾(٢).

---

(١) بحار الأنوار ١: ١٧٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

فقد ورد عن الباقر عليه السلام أنّ مؤمناً كان في مملكة جبار فولغ به فهرب منه إلى دار الشرك فنزل برجل من أهل الشرك فأظله وأرفقه وأضافه فلما حضره الموت أوحى الله عز وجلّ إليه وعزتي وجلالي لو كان في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه ويؤتى برزقه طرفي النهار قلت: من الجنة؟ قال: من حيث شاء الله(١).

وروى الصدوق عن الكاظم عليه السلام قال: «كان في بني إسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر وكان يرفق بالمؤمن ويريه المعروف في الدنيا فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين وكان يقيه حرّها ويأتيه الرزق من غيرها وقيل له هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا»(٢).

وفي هذين الخبرين المباركين عدة دلالات:

الدلالة الأولى: أنّ الله لا يضيع اجر عمل عامل ولو كان كافراً.

الدلالة الثانية: ارتفاع العذاب عن بعض الكفار الذين عملوا عملاً حسناً.

الدلالة الثالثة: عدله سبحانه حتى في الذين لم يؤمنوا به ولم يطيعوه.

---

(١) حق اليقين في معرفة أُصول الدين ٢: ١٧٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

الدلالة الرابعة: إنّ عمل البرّ والإحسان له منزلة كبيرة عند الله سبحانه.

الدلالة الخامسة: إنّ المؤمن له منزلة رفيعة عند الله تعالى.

الدلالة السادسة: إنّ هذا العمل يعطينا درساً مهماً من دروس الأخلاق السامية.

الدلالة السابعة: إنّ الله تعالى يثيب حتّى الكافر إذا عمل عملاً حسناً.

الدلالة الثامنة: إنّ في هذين الخبرين تشجيع وحثّ على عمل الخير والإحسان.

الدلالة التاسعة: إنّه ليس من الصعب على الله سبحانه أن يدخل الكافر النار ولا تؤذيه بحرارتها.

الدلالة العاشرة: في هذين الخبرين تشجيع للكافر على المزيد من الأفعال الحسنة واللطف ببني البشر وخاصة أهل الإيمان.



الشيعة والعلاقات البشرية

الشيعة والعلاقات البشرية

اتّبعت الشيعة أُسلوباً إسلامياً في علاقاتها مع بني الإنسانية عموماً منذ زمن الرسالة وإلى يومنا هذا في كافة مجالات الحياة وأهمها الاجتماعية؛ لأنّها لولب البناء الذي من خلاله تتآلف القلوب ويتوحد السلوك الإنساني ومن أهمّ معالم الأُسلوب الإسلامي المتمثل في الشيعة هو استثارة جانب الخير في الإنسان والعمل على تقويته إلى أبعد حد:

ولا غرو إذ أنّ طبيعة أُسلوب الشيعة الذي اقتبسوه عن أئمة الهدى والحقّ سلام الله عليهم يتسم بالمسالمة والوداعة وإذا سارت المجتمعات البشرية على هذا النهج سوف تطمئن إلى مستقبلها ويتجه نظامها نحو التوازن والتكامل دونما خشية الانهيار والانحراف.

وقد وضع الإسلام قواعد أساسية ثابتة للعلاقات الاجتماعية المختلفة لكي لا تنحرف عن الطريق الواضح ولا تزيغ عن الحق الظاهر ولا تتأثّر بالقرب والبعد ولا تتضاءل للقوة ولا ترتفع على الضعف بل تزن القضايا بميزانها السوي العادل الذي لا يختلف ولا يتبدل مهما اختلفت الظروف والأحوال وعند السلوك والتطبيق تزول العاطفة ويسري حكم الله وعند تطبيق الأحكام تصان حرمات الكتابي والمشرك على حدّ سواء.

ومن أهمّ المعالم التي بني عليها الفكر الشيعي في أُسلوب علاقاته مع البشرية هو العدل والتسامح تعبيراً عن شمولية المبدأ الذي يستوعب دقائق التشريع بما تحتويه هاتان الكلمتان من عمق في أُسلوبها مع الخطّ العريض الإسلامي وغير ذلك من المعاني التي تلتقي بالتسامح وتنطلق منه.

وفي القرآن الكريم الكثير من المعاني التي تلتقي بالتسامح والعدل منها:

قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ...﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿... فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ...﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿... فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾[6].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٢.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٤ - ٣٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

وقوله تعالى: ﴿... وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ...﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿... وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ...﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[4].

تبيّن لنا هذه الآيات البينات صورة عن مفهوم الصفح ومدى اهتمام القرآن بالمعاني التي تلتقي بالتسامح والعفو لتنظم العلاقات الإنسانية مع بني البشر ولتدبّ الرحمة في قلوب الناس جميعاً متآلفين متحابين بعيدين عن العداوة والبغضاء وهذا ما يريده الإسلام من المسلمين وغيرهم لكي تبقى الكرامة والعزة الشخصية لكل شرائح المجتمع على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم.

ولا يمكن تحقيق الخدمة الإنسانية إلّا بالالتزام بالصفات الكريمة كالتسامح والتراحم والتعاطف ولا يمكن تحقيق ذلك إلّا عن طريق تربية النفس تربية قويمة حتى يكون صاحبها عطوفاً رحيماً مندفعاً بجميع جوارحه مستشعراً الرحمة والشفقة وبما أنّ هذه الصفات من مكارم

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

الأخلاق الفاضلة فقد جعل الله تعالى تلك الصفات في قلوب النبيين والصالحين بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

فإنّ هذه الآيات الثلاث تؤكّد على التوادد والتعاطف والتسامح بين المؤمنين وغيرهم من مختلف الأديان والجنسيات البشرية وما ذاك إلّا خلق القرآن الكريم والمبعوث به وهي التي أراد الله تحقيقها على أرض الواقع البشري باصطناع الخير إلى كل أحد براً كان أو فاجراً ولها آثار وضعية بين أفراد المجتمع وهذا من أهمّ بواعث الخير للخدمة الإنسانية بغضّ النظر عما يدين به الطرف الآخر من دين.

ومن المعلوم أنّ الشريعة الإسلامية لم تشأ لهذا التشريع أن يكون جافاً قاسياً بل حاولت أن تلطّف من حدّته وتخفف من قسوته فلاحظت فيه جانب المرونة التي تحفظ للحق قدسيته وللحقيقة هيبتها فانطلقت تفسح المجال أمام العضو وتشجع على الصفح والمغفرة حتى كاد

---

(١) سورة الأنبياء عليه السلام، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

الإنسان يشعر لما يقرأ ويتلو الآيات المتعلقة بالعدل أنّ جانب العفو أقرب إلى الله من جانب القصاص.

قال تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[(١)].

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام مجموعة من النصوص التي تؤكّد على التسامح والعطف والبر والإحسان بالآخرين ومن تلك النصوص ما يأتي:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه»[(٢)].

٢ - وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يحلّ للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه»[(٣)].

٣ - وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ردّ عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار وجبت له الجنة»[(٤)].

٤ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته عند وفاته: «عليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع»[(٥)].

٥ - وعن أبي عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا»[(٦)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.
(٢) جامع السعادات ٢: ٢٢١.
(٣) جامع السعادات ٢: ٢٢١.
(٤) جامع السعادات ٢: ٢٢٢.
(٥) الأخلاق: ١٣٨.
(٦) الكافي.

٦ - قال رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كلّ أحد برّ وفاجر»(١).

٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عزّ وجلّ»(٢).

٨ - قال رسول الله ﷺ: «المؤمن ألف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف»(٣).

وإلى جانب القرآن الكريم تؤكّد السنة النبوية المتمثلة بالنبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام على التعاون الفعلي وتطبيقه العملي وما فيه من الثواب العظيم والتطبيق لما جاء في الدستور الإسلامي من أخلاق ومفاهيم ومعاني سامية على الإنسانية أن تأخذ بها وتجسدها على أرض الواقع لأنّ السرد النظري لا يغني عن التطبيق العملي.

ولذلك ترى الأُمم والشعوب إذا التزموا بهذه المعاني سوف يتفادون التنازع والتخاصم بين أفراد الإنسان وتبعد روح الحقد والبغضاء والعداوة عن نفوسهم لتحل محلها روح المحبة والتآلف والتعاطف وهذا هو أحد الأهداف الرئيسية للتشريع الإسلامي.

والرسول الأكرم ﷺ إنّما انقادت له الجزيرة العربية لأنّه ملك قلوب أهلها من المسلمين وغيرهم إلّا النفر اليسير ممن أعرض عن

(١) سفينة البحار، عيون أخبار الرضا.
(٢) الأخلاق: ٣١٦.
(٣) جامع السعادات ٢: ٢٦٣.

الحق بعفوه وصفحه وتسامحه فمن المعروف أن قبيلة قريش شنّت حروباً عديدة ضده ﷺ وكانت هذه الحروب حروباً شرسة وقاسية وكانت ممارساتهم ضدّ النبي ﷺ قبل الهجرة ممارسات وحشية غير إنسانية.

وقد بلغت هذه الممارسات ذروتها من القسوة والوحشية عندما عمدوا إلى قتل عمه حمزة بطريقة تقشعر لها الجلود ولكنه مع ذلك عفا عن قريش عندما فتح مكة متناسياً تلك الأعمال التي مارسوها معه ومع أقاربه وأصحابه قائلاً: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١).

في حين كان بإمكانه أن ينتقم منهم ويقتص لعمه ومع ذلك فقد عفا عنهم عند مقدرته انطلاقاً من سمو التشريع وتناغماً مع سمو أخلاقه الكريمة ﷺ ونفسه الزكية.

وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الأخلاق الرفيعة السامية ونحن نعيش ظروفاً قاسية وحياة صعبة وإذا لم نتبع صفة العفو عن بعضنا البعض فإنّ قسوة الحياة سوف تؤثر فينا سلبياً ويتحول الواحد منا إلى عبوة ناسفة بسبب المصائب والمشاكل التي يواجهها والحالات التي يصادفها من المجتمعات المحيطة به.

فلا بدّ لنا أن نربي في أنفسنا الصفات الإيجابية وفي مقدمتها صفة العفو والتسامح وكظم الغيظ وهذا يحتاج إلى إرادة وعزيمة واستعداد نفسي لكي نكون بالمستوى المطلوب وهذا يحتاج إلى استعداد وتدريب

---

(١) بحار الأنوار ١٩: ١٨١.

طويل ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(١).

فإنّه من الأُمور التي لا يمكن أن تصدر من الإنسان إلّا إذا كان ذا إرادة قوية وعزم لا يلين على كظم عواطفه ومشاعر غضبه أزاء الأشخاص الذين يسيئون إليه وبالإضافة إلى ذلك فإنّ العفو يكون موجباً لعزة الإنسان كما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليكم بالعفو فإنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزّاً فتعافوا يعزّكم الله»(٢).

أي إذا عملت الإنسانية بذلك فسوف يتحول المجتمع إلى مجتمع عزيز متماسك أما على العكس فسوف يكون المجتمع منشقاً على نفسه تسوده الصراعات الداخلية وتنخر في كيانه ولا يلبث أن يتحول إلى مجتمع ذليل وهذا لا يتلاءم مع أصالة الفكر الشيعي ومنهجه الإسلامي الذي سنّه رسول الله وأهل بيته الأطهار.

على أنّ العفو والتسامح هو الطابع العام للسياسة الإسلامية شريطة أن لا يخل بحقوق الناس والأمن العام وقد طبق ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حينما عفا عن أهل البصرة وفي رسالته إلى الأشتر النخعي قال: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان أمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

(٢) مشكاة الأنوار: ٢٢٨، والبحار ٦٨: ٤٠١.

وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليكم فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنّه لا يدلك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو»(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى باليهودية التي سمّت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: ما حملك على ما صنعت»؟

فقالت: قلت إن كان نبياً لم يضره وإن كان ملكاً أرحت الناس منه.

قال: فعفا رسول الله عنها(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء المسلم إلّا عزاً: الصفح عن الظلم، وإعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه»(٣).

والنتيجة: أنّ الخطوط العريضة التي يسلكها الشيعة في أُسلوبهم مع العلاقات الإنسانية عموماً والأساس الذي يستندون عليه هو القرآن الكريم والسنة المحمدية والأئمة الطاهرون عليهم السلام الذين مثّلوا معالم العفو والرحمة والعطف والصفح بأجلى صورها واقتدت الشيعة بسيرتهم عليهم السلام فحذوا حذوهم ونسجوا على منوالهم وذلك باتباعهم والسير على خطاهم.

---

(١) نهج البلاغة/ الرسائل، ٥٣، لما ولاه مصر.

(٢) وسائل الشيعة ١٢: ١٧٠.

(٣) الكافي ٢: ١٠٨.

المنظور الشيعي لاحترام حقوق الإنسان

المنظور الشيعي لاحترام حقوق الإنسان

أول من سنّ قانون حقوق الإنسان هو الإسلام العظيم قبل غيره من النظم الوضعية والمبادئ الأرضية بألف وأربعمائة عام وقد منح الإنسان حقوقاً رفيعة ولائقة به وبكرامته الإنسانية وقد جعل الإسلام الإنسان وحقوقه المرتكز والمحور من أولوياته واهتماماته وان الدفاع عن حقوق الإنسان أمر حقيقي لا يمكن لأحد أن يتجاوزه.

ولا يمكن حصر حقوق الإنسان في جانب واحد من جوانب حياته وإنّما في جوانب متعددة وأنّ مسألة الحق الإنساني قد اتسعت اتساعاً كبيراً حتى استوعبت معظم الكرة الأرضية لتحقيق السلام الذي يحتاج إلى جهد كبير على نطاق واسع من قبل الدول المتنازعة والأطراف المتخاصمة وأنّ الذي يطالب به الإسلام من حقوق الإنسان بما هو إنسان لكي يستطيع التقدم في جميع مجالات الحياة.

وأمّا ما تدّعيه الجمعيات والمنظمات المطالبة بحقوق الإنسان في العالم فقد استطاعت بقدر أن توصل صوت الإنسان إلى أخيه وأوجدت بعض الضغوط الدولية على من لا يحترم حقوق الإنسان علماً أنّه من اللازم استقلال هذه الجمعيات اقتصادياً وإعلامياً وسياسياً حتى لا تخضع في عملها للدول الكبرى أو ما أشبه.

ولا بدّ أن تكون حقوق الإنسان جزءً من القانون الدولي حتى تصبح من اهتمامات المجتمع الدولي ككل ولا شكّ أنّ حقوق الشعوب المضطهدة على عاتق المنظمات العالمية تجاه حكوماتهم الغاشمة وحكامهم الظالمين.

وأول قائمة منظمة جامعة ومكتملة للحقوق الإنسانية هي الخطبة التي ألقاها النبي ﷺ في التاسع من شهر ذي الحجة عام ١٠ من الهجرة النبوية المصادف ٦ مارس عام **٦٣٢** ميلادية بمناسبة حجة الوداع في عرفة وقد تناولت الخطبة من الحقوق الإنسانية الآتي:

١ - حق حفظ الأموال والأرواح والأعراض والأولاد.

٢ - حق حفظ الممتلكات وأداء الأمانات والودائع.

٣ - القضاء على استغلال الفقراء والمساكين عن طريق تحريم الربا.

٤ - حق التعايش والمعاشرة بالمسالمة والتعاون المتبادل.

٥ - حق حفظ المناصب وكرامة النفس والتمليك والتملك.

٦ - المساواة في الدية والقصاص.

٧ - حق حفظ حقوق النساء ورعايتها.

٨ - حق حفظ حقوق الموالي.

٩ - المساواة والمعادلة بين كافة الطبقات.

١٠ - حق التعليم والتعلم والمدارسة.

١١ - الضمان الاجتماعي[١].

ومما يدل على اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى الأشتر النخعي لما ولّاه ولاية مصر وأعمالها حيث قال:

«. . . وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين وإمّا نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليكم فوقك، والله فوق من ولّاك. وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم.

ولا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنّه لا بدّ لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تندمن على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة، ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولنّ إنّي مؤمر آمر فأُطاع فإنّ ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة أو مخيلة فانظر إلى عظمة ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإنّ الله يذلّ كل جبار ويهين كلّ مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن

---

(١) عالمية الإسلام والعولمة: ٢٧ - ٢٨.

خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنّك إلّا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوى المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحبّ الأُمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية، فإنّ سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقلّ معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند العطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة وإنّما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأُمّة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإنّ في الناس عيوباً الوالي أحقّ من سترها. فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك.

فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيتك.

أطلق عن الناس عقدة كل حقد. واقطع عنك سبب كل وتر. وتغاب عن كل ما لا يصح لك، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع فإنّ الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأُمور، ولا حريصاً يزين

لك الشره بالجور، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظنّ بالله.

إنّ شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنّهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه، أولئك أخفّ عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقلّ لغيرك إلفاً فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك.

ثمَّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، والصف بأهل الورع والصدق، ثمَّ رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإنّ كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيتك، فإنّ حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده»[١].

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل/ ٥٣.

والذي يظهر من خلال هذا العهد المبارك من أمير المؤمنين عليه السلام إلى واليه الأشتر النخعي أنّه يشتمل على قواعد وأُصول الحقوق الإنسانية وكيف يتعامل بها خصوصاً الوالي مع رعيته لأنّه الآمر والناهي عليهم وهذا العهد بمثابة الدستور الأخلاقي الذي يطبق من خلاله نظرية احترام حقوق الإنسان ويكشف لنا هذا العهد عن أصالة وتأريخ اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان منذ عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام .

ولو يتصفح القارئ الكريم نهج البلاغة المبارك لرآه يتضمن مجموعة من المبادئ الأخلاقية والقواعد الأُصولية التي تعمم الحقّ الإنساني وغيره.

وقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق في أهل الملّة والذمة قال:

وأمّا حقّ أهل ملتك عامة فإضمار السلامة ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم وتألفهم وإصلاحهم وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذ كفّ عنك أذاه وكفاك مؤونته وحبس عنك نفسه فيعمّهم جميعاً بدعوتك وانصرهم جميعاً بنصرتك وأنزلتهم جميعاً منك منازلهم كبيرهم بمنزلة الوالد وصغيرهم بمنزلة الولد وأوسطهم بمنزلة الأخ فمن أتاك تعهدته بلطف ورحمة وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه.

وأمّا حقّ أهل الذمة فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله وتفي بما

جعل الله فيه من ذمته وعهده وتكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم وأجبروا عليه وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملة وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسوله ﷺ حائل فإنّه بلغنا أنّه قال: من ظلم معاهداً كنت خصمه فاتق الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله»[1].

والذي يستفاد من هذه الكلمات الذهبية للإمام زين العابدين عليه السلام أنّها تؤكّد على حقوق الناس حتى إذا كانوا من أهل الملة أو الذمة والمعاملة معهم على حدّ سواء وكف الأذى عنهم ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم وتقوية أواصر الصلة بما يجب للأخ على أخيه وتأكيده عليه السلام على عدم ظلم المعاهد إذا كان خصماً فإنّ الإسلام يرفض ظلم أهل الذمة أو الاعتداء على حقوقهم ولا بدّ من رعاية الذمم والوفاء بالعهد. ويحرص الإمام عليه السلام على أن يحترم صغيرهم كبيرهم ويعطف على صغيرهم وجعل أوسطهم أخاً لهم ينبغي على الوالي أن يعمّ الرعية جميعهم من دون تفضيل برحمته وعدله وعطفه وهذا هو المعيار في نظر الرسول الأعظم وعترته الطاهرة لأنّهم يمثلون جوهر القرآن ومناهجه ومبادئ الإسلام وقواعده.

ولم تكن الحقوق الإنسانية منحصرة في دائرة ضيقة بل شملت جميع الجوانب الحياتية.

فللإنسان حقّ التمسك بثقافته الخاصة.

---

(١) تحف العقول: ١٩٥.

وللإنسان حقّ التمسك بمعتقده الخاص.

وللإنسان حقّ التمسك بمذهبه الخاص.

وللإنسان حقّ التمسك باقتصاده ما لم يضرّ بالآخرين ويصطدم بالثوابت الإسلامية.

وللإنسان حقّ التمسك بحريته بشرط عدم الإضرار بحرمات الآخرين.

وللإنسان حقّ التمسك بمبادئه السياسية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «السرور في ثلاث خلال: في الوفاء ورعاية الحقوق والنهوض في النوائب»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثمَّ جعل من حقوقه فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق حقّ الوالي على الضعيف وحقّ الرعية على الوالي فريضة فرضها الله عزّ وجلّ لكلّ على كل فجعلها نظام ألفتهم وعزاً لدينهم وقواماً لسنن الحقّ فيهم فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية فإذا أدّت الرعية من الوالي حقّه وأدى إليها الوالي كذلك عزّ الحقّ بينهم فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن وصلح بذلك الزمان وطاب بها العيش وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء»[٢].

(١) تحف العقول: ٣٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٧٤: ٣٥٦.

هذه هي النظرة الشمولية للإسلام من خلال القرآن والسنة.

وأمّا نظرة المجتمعات الدولية والأنظمة الوضعية في مجال حقوق الإنسان فتنصّ على الالتزام بالمفاهيم التي أقرّها المجتمع الدولي من خلال أكثر من مائة اتفاقية ومعاهدة وإعلان رسمي وبيان دولي وأنّه وحدة متكاملة ولا شك أنّ هذه المنظمات لحقوق الإنسان لها دور واضح في الإصلاح.

ولا شكّ أنّ الساعين في هذه المجالات ينالون من الله عظيم الأجر والثواب إذا كان العمل خالصاً لوجه الله تعالى.

وفي القرآن ورد كما وردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات كثيرة في إعانة الناس وإنقاذهم مما يحلُّ بهم من مرديات الزمان ونوائب الدهر منها:

أولاً: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

ثانياً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصبح ولم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم»[٢].

ثالثاً: قال النبي صلى الله عليه وآله: «من أصبح ولا يهتمّ بأُمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»[٣].

رابعاً: قال الصادق عليه السلام «المؤمنون في تبارّهم وتراحمهم

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

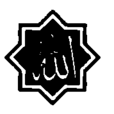
(٢) جامع السعادات ٢: ٢٢٩.

(٣) لألئ الأخبار ٣: ١٢٣.

وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائرهُ بالسهر والحمى»[١].

خامساً: عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهره»[٢].

ومقتضى الأخوّة المواساة بينهم والإعانة لهم كما في المنظمات الدولية التي فيها تمام معنى الإعانة والأخوة الصادقة التي أشار إليها الله تعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم.



(١) بحار الأنوار ٧١: ٢٧٤.

(٢) الوسائل ١: ٧٩.

العقلية الشيعية والتطور

العقلية الشيعية والتطور

العقل لغة: الحجى واللب، وقال بعض اللغويين: هو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب[١].

ومنها العقل: أي: التثبت في الأُمور وسمّي عقلاً لأنّه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك[٢].

والعقل أي الفهم والعلم يقال: عقل الشيء أي فهمه وتدبره[٣].

وهو المدرك الفاهم الحكيم الجامع لأمره وهو مأخوذ من عقلت البعير أي: جمعت قوائمه[٤].

والعامة تصف به كل ذي فضل سديد الحكم[٥].

وأمّا مكانة العقل في القرآن فإنّ الله شرفه وأعلى مكانه ودعا إلى تعظيمه وإجلاله وأمر بالرجوع إليه بعدة آيات من الكتاب الكريم منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٦].

---

(١) المصباح المنير، مادة: عقل.
(٢) لسان العرب. والمنجد.
(٣) لسان العرب.
(٤) لسان العرب.
(٥) محاضرات في الفلسفة الإسلامية.
(٦) سورة لقمان، الآية: ١٢.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢).

٤ - قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣).

وقد دعا القرآن إلى إيقاظ العقل وحسن النظر وإعمال الفكر في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾(٥).

ومن جملة المميزات التي تميز بها العقل الشيعي أنّها عقل متفتح وناضج وقابل للتطور وقائم على أسس ذهنية قوامها المعرفة والعلم لا الجمود والانغلاق بل القوة والقدرة على التأمّل والتفكير والفضل يعود في إعمال العقل وشحذ التفكير إلى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(٦).

وقد عرّف الفلاسفة العقل بأنّه ذو مقام رفيع وخطر جليل وفضل عظيم فهو القائد الحاكم وهو الآمر الناهي.

وقد عرّفه الاثنا عشرية الجعفرية الأُصولية بأنّه هو حجّة الله الواجب

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٩، وسورة الزمر، الآية: ٩.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٢١.
(٣) سورة الروم، الآية: ٢٨.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.
(٦) سورة إبراهيم عليه السلام، الآية: ١.

امتثاله والحاكم العدل الذي تطابق أحكامه الواقع ونفس الأمر فلا يرد حكمه ولولاه لما عرف الشرع ولذا ورد: «ما أدّى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل»[١].

والطائفة الشيعية تحترم العقل وتقيم وزناً لإدراكاته وتستعين به في أُمور الدين إلّا أنّ اللجوء إليه والاعتداد والاعتماد عليه متفاوت بتفاوت فعاليات الحياة الفكرية والشرعية.

وقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا خلق الله العقل استنطقه ثمَّ قال له: أقبل فأقبل ثمَّ قال له أدبر فأدبر ثمَّ قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحبّ أما أنّي إياك آمر وإياك أنهى وإياك أُعاقب وإياك أُثيب».

فالعقل هو المحور الرئيسي للكيان الإنساني ومن خلاله ينظر إلى الآفاق العلمية والتطورات المادية في عالم الدنيا الرحيب وهو الحجة على هذا الكائن بكل خصوصياته، ويختص بذوي العقل الفاعلة الرشيدة وأصحاب الألباب الرفيعة لا العقول التي ليس لها تفكير أو أهداف فاعلة تحرّك العقل لكي ينتج ويبدع وبالعقل تميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية التي تحركها الغرائز.

ولذا يحاسب الله سبحانه وتعالى البشر في يوم القيامة على قدر عقولهم.

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا

---

(١) جامع السعادات ٢: ١١٧.

بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله، فإنّما يجازى بعقله».

وعن عبد الله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة فقلت: هو رجل عاقل.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «وأي عقل له وهو يطيع الشيطان»؟

فقلت: وكيف يطيع الشيطان؟

فقال: «سله الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فإنّه يقول لك من عمل الشيطان».

والعقل ليس مجرد قوة تتصل بالكليات العامة في حياة الإنسان بل تحوّل إلى قاعدة للوعي التفصيلي الذي يحدد للإنسان مواقع الحكمة ويضع فيها الأشياء في مواضعها.

ولذا اعتبر أئمة أهل البيت عليهم السلام العقل أساساً للقاعدة الفكرية الإسلامية في ما يأخذ به المسلم أو يَدَعَهُ ليملك من خلاله الميزان الذي يزن به الأُمور فلا يقع في قبضة الخرافة ولا يتحرك في أجواء الوهم والخيال.

ومن هنا فقد كانت نظرة الإمام الكاظم عليه السلام إلى العقل مع هشام وسيلة من وسائل تقوية المنهج العقلي الذي كان يتحرك فيه هشام في حواره الفكري الذي كان يحرّكه في ساحة الصراع في جوانب العقيدة المتنوعة.

وهذه صورة موجزة عن الوصية في مضمار العقل للإمام الكاظم التي أوصى بها هشام بن الحكم ففي الحديث عن أبي عبد الله الأشعري

عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «يا هشام: إنّ الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾[1].

يا هشام: إنّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلّهم على ربوبيته بالأدلة فقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾[2].

يا هشام: ثمَّ وعظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

يا هشام: ثمَّ خوّف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝١٣٦ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾[4].

يا هشام: إنّ العقل مع العلم فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان ١٧، ١٨.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٣، ١٦٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.
(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٣٦ - ١٣٨.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

يا هشام: ثمَّ ذمّ الله الكثرة فقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

يا هشام: ثمَّ مدح الله القلة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(٢).

يا هشام: ثمَّ ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلّاهم بأحسن الحلية فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٣).

يا هشام: إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾(٤).

قال الفهم والعقل.

يا هشام: إنّ لكلّ شيء دليلاً ودليل العقل التفكر ودليل التفكر الصمت.

يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلّا ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً وأكملهم عقلاً وأرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام: إنّ لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام وأمّا الباطنة فالعقول.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٤) سورة لقمان، الآية: ١٢.

كما ورد أنّ العقل رسول من داخل والرسول عقل من خارج فكلاهما عقل وكلاهما رسول.

يا هشام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل وما تمّ عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر مأمونان والرشد والخير منه مأمولان وفضل ماله مبذول وفضل قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت والتواضع أحبّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلّهم خيراً منه وأنّه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر.

يا هشام: إنّ أمير المؤمنين كان يقول: إنّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال يجيب إذا سئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله فمن لم يكن فيه هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق»[1].

هذه الرسالة الذهبية من الإمام الكاظم عليه السلام تعطينا صورة واضحة عن أهمية العقل عند أهل البيت عليهم السلام وتقييمهم لدوره في واقع الحياة العملية وأنّه أساس الإيمان وهو الذي يعطي الحجة على الحقّ وقمة العقل أن يقف مع الحقيقة إذا وعاها وعي الحجة للفكرة وأراد الله تعالى لأهل العقل ألّا يخضعوا للهوى في اختياراتهم العقيدية والعملية فينحرفوا عن الخطّ السوي.

ولذا رغبهم بالثواب وخوفهم بالعقاب حتى يشعروا بالمسؤولية

(١) الكافي ١: ٥٦ - ٥٧.

ليغلبوا العقل على الهوى فيتبعوا سبيله في الالتزام الفكري و الاستقامة العملية ولا شكّ أنّ العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة ولا نستطيع أن نتصور أنفسنا بدونه إذ كلما أردنا أن نتصور أنفسنا تصورناها بالعقل.

وأمّا العلم فهو ليس سوى جانب الكشف في العقل فهو يضيء الأشياء والأشياء تضاء به ولحظة الإضاءة تسمى علم.

فكل معلومة من معلوماتنا وأي فكرة من أفكارنا آية من آيات العقول وهدي يدلنا عليه إذ أننا لن نجدها إلّا بالعقل.

هذا هو ديدن الشيعة منذ القرون الأُولى وهو الأخذ بمعطيات العقل وأحكامه التي لا تحتمل الخطأ ومن هنا نفهم أنّهم كانوا سباقين إلى التفاعل مع المنطق والاستفادة مما ترجم من التراث اليوناني في القرن الثاني الهجري وما ذاك إلّا لأنّه يتوافق معه المنهج العقلي السليم.

وبقي الشيعة طوال القرون التالية وإلى اليوم لا يقرون إلّا أحكام العقل القطعية التي لا يتطرق إليها الريب فكان هذا هو منهجهم الفكري حتى أنّهم عدّوا العقل من مصادر التشريع.



الرؤية الشيعية لمفهوم العولمة

الرؤية الشيعية لمفهوم العولمة

للوقوف على مفهوم العولمة الدقيق في الرؤية الشيعية لا بدّ من معرفة معناها ومدلولات هذا المصطلح في عالمنا اليوم وجذوره التاريخية.

العولمة: في مفهومها العام كما تدلّ الصياغة اللغوية ذات مضمون ديناميكي يشير عملية مستمرة في التحول والتغيير. فعولمة النظام الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي يعني تحول كل منهما من الإطار القومي ليندمج ويتكامل مع النظم الأُخرى في إطار عالمي؛ ولذا ينظر إليها في مفهومها العام على أنّها اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة فتتلاشى في داخلها الحدود بين الدول.

أمّا في معناها السائد فهي درجة من درجات تطور النظام الرأسمالي العالمي وقد عبر عنها بالمصطلح السياسي لدى الغرب بأنّها السعي لجعل العالم نظاماً واحداً خاضعاً لمركز واحد.

وقد ذكر الباحثون أنّ مصطلح العولمة استعمله المفكرون أولاً في الولايات المتحدة بلغتهم الشائعة للدلالة على الثقافة وعند انتقال المصطلح إلى أوروبا لم يتغير في بريطانيا ودخل في دائرة الفرنسيين بلغتهم وبعدها ترجم إلى اللغة العربية فكان ما يقابله مفردة العولمة.

فهي ترجمة لكلمة أجنبية تعني الشيء على مستوى عالمي وتعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل.

يقول غالبية الباحثين حتى الذين يعزون العولمة إلى كونها ظاهرة اقتصادية كوكبية لا كونية بأن المحرّك الأبرز لعولمة الاقتصاد هو انفجار ثورة الاتصالات وتقنيات المعلوماتية وشمولها العالم بمدنه وقراه جميعاً(١).

وكذلك يعتقد عدد من الباحثين أنّ العولمة من خلال قدرتها التقنية والمعلوماتية الهائلة تحمل تأثيراً سلبياً على الهوية والقيم الوطنية والمحلية لكل بلد ويمكن التعبير عن العولمة بأنّها عولمة علاقات الإنتاج الرأسمالية وهذه صورة مختصرة عن التفسير المعاصر للعولمة.

أمّا جذورها التاريخية ومن هو أول من وضعها فهناك رأيان:

الرأي الأول: علماء التاريخ يقولون: إنّ العولمة الغربية ليست ظاهرة جديدة بل بداياتها الأولى بدأت مع بدء عملية الاستعمار الغربي لآسيا وأفريقيا والأمريكيتين ثمَّ اقترنت بالتطور التجاري الحديث لأوروبا الذي أدّى إلى نظام عالمي متشابك ومعقد ينادي ويروج له العديد من المفكرين والعلماء والفلاسفة ويرى بعض الباحثين أنّ العولمة بدأت منذ الاكتشافات الكبرى في نهاية القرن التاسع عشر حيث أخذت العلاقات بين القارات تتحول إلى علاقات امبريالية بمعنى أنّ العلاقات العالمية صارت شاملة بين القارات والأُمم والدول والأسواق والاقتصاديات

(١) الوطنية في عالم بلا هوية/ د. حسين كامل بهاء الدين.

الكبرى والصغيرة وصار تقسيم العمل الدولي واضحاً ونشأ الفرق في الصناعات في الغرب وموادها الخام خارج الغرب التي يعتمد عليها العالم كله ومنذ نهايات القرن التاسع عشر ولكنه كان بحاجة إلى فضاء لكي يكتمل وقد وجد هذا الفضاء في الفضائيات التي جعلت العالم قرية صغيرة وجعلت من اللحظة المعاشة في أي ركن صغير من العالم لحظة معاشة على مستوى العالم كلّه[١].

ويعتقد الدكتور السيد ياسين في كتاب العرب والعولمة ص: (٢٥ - ٢٦) أنّ العولمة اكتملت في الفضائيات كظاهرة جديدة مرتبطة بالكونية بمعناها الحرفي أي: استخدام الكون بما فيه الفضاء والأقمار الصناعية والطبيعة.

الرأي الثاني: يرى أنّ العولمة ظاهرة حديثة ومعاصرة لها عللها وأسبابها فهي ظاهرة كونية تحققت بعد انهيار الكتلة الشرقية وتجزئة الاتحاد السوفيتي فقبل هذه المرحلة كان العالم موزعاً بين الكتلتين فلكل منهما أجهزة اتصالاتها ومعلوماتها الخاصة ونظامها السياسي والإعلامي واقتصادها الخاص بها وسوقها المالي التي تنفرد بها ولكن بعد انهزام المعسكر الشرقي - الشيوعي - وتجزئة الاتحاد السوفيتي وحيث لم يكن الانهيار سياسياً فقط بل كان انهياراً من كل الجوانب حينها اضطرت روسيا إلى ربط نفسها بشبكة الاتصالات العالمية كما أنّ الكفر يدوم والظلم لا يدوم فدخلت تحت هيمنة الأسواق الغربية الرأسمالية وأصبح

(١) العرب وتحديات العولمة الثقافية.

نظامها السياسي هو النظام المقترح من الغرب وفي هذه المرحلة بعد الانهيار تحققت العولمة فكان السبب لحصول وظهور حدث العولمة سبباً معاصراً والعلة فيها علة حديثة.

والمهم أنّ العولمة وليدة النظام العالمي الجديد بتخطيط دقيق وإستراتيجية فإنها تخطط بدقة وتنظم بدراسة معمقة من خبراء الإستراتيجية للسيطرة على العالم بستار الديمقراطية والحرية والثقافة والإخوة الإنسانية والعدالة وحقوق الإنسان وهو برنامج من برامجها لتغريب العالم في الثقافة بوسائل متنوعة من أداة الإعلام المقروءة والمنظورة والتدخل في مناهج التربية والتعليم في سياسته بالتدخل في نظام الحكم والإدارات الحكومية باسم الإصلاحات الديمقراطية وفي الاقتصاد بالسيطرة على الموارد كالبترول والغاز والحركات التجارية والاستثمارات وتسييس البنك الدولي وصندوق النقد الدولي باسم المساعدة[١].

والخلاصة: أنّ الذي يراه الخبراء في صفة العولمة هو توحيد العالم وإخضاعه لقوانين مشتركة تضع حداً فيه لكل أنواع السيادة وهذا المسار تجلى بوضوح منذ ميلاد ظاهرة الشركات متعددة الجنسيات وقبل عقود من الزمن حتى نظام التجارات الحرة في عصرنا الحاضر.

أمّا الرؤية الشيعية للعولمة الإسلامية:

فإنّها تقوم على رفض العولمة بمعنى هيمنة القطب الواحد على

---

(١) عالمية الإسلام والعولمة/إعداد السيد طه مرقاتي.

العالم وتوحيده في رؤية ثقافية واحدة تمثل ثقافة الدولة العظمى وتحت سيطرة تلك الدولة اقتصادياً وفرض هيمنتها الاجتماعية وأعرافها وتقاليدها لا لشيء إلّا لكونها الدولة المهيمنة على العالم.

والإسلام عالمي في دعوته ويرفض تذويب شخصية الآخر أفراداً أو مجتمعاً بل يدعو إلى تهذيب عادات وتقاليد الآخرين ويحترمها شريطة أن لا تصطدم مع الوحي الإلهي ودعوة الإسلام هي أن يخضع الجميع لله وحده وأن لا يعلو بعضهم على بعض وأول من دعا إلى العولمة بغض النظر عن المسمّيات هو الله سبحانه عن طريق القرآن بآياته البينات:

١ - قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(٣).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٤).

٥ - قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٥) سورة ص، الآية: ٨٧.

هذه الآيات المباركة تتجلى فيها الرسالة العالمية وتتضح العولمة التي جاء بها الإسلام رحمة للناس وليس لطبقة خاصة كأصحاب الشركات والاستثمارات ومن رواد العالمية الإلهية الأوائل نبي الله نوح عليه السلام حين جاء بدين الإسلام ورسالته إلى البشرية جمعاء وآخر من دعا إليها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين جاء مكملاً لرسالة ربّه ودين الإسلام الحنيف فدعا العالم بشرقه وغربه وشماله وجنوبه وعربه وعجمه وأباطرته ومستضعفيه وقياصرته وأكاسرته ورسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عالمية بتعيين من الوحي وموجهة إلى الناس جميعاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[1].

وكان يرسل صلى الله عليه وآله وسلم رسله ورسائله إلى الملوك والرؤساء في أنحاء العالم فأسلم من أسلم وصالح من صالح وأقام الدولة الإسلامية التي تحكمها الشريعة العالمية ونشأ المجتمع المدني الرباني التطبيقي من خلال دعوة الآيات القرآنية التي لا تخصّ المؤمنين والمسلمين خاصة وإنّما هي للناس جميعاً.

ومن هنا فالواجب على الحكومات في الأوطان الإسلامية التحرر من العصبية القومية والوطنية والحدود الجغرافية التي ابتدعها الأجانب لتشتيت المسلمين وقد أكد الرسول الأعظم في وصيته العظيمة في حجة الوداع قبل وفاته والله يقول في محكم كتابه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

ويجب الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات الحديثة في نشر الدعوة الإسلامية بطريقة وسائل الإعلام المقروءة والمنظورة ومنها القنوات الفضائية بشتى اللغات العالمية ولا نستطيع الخروج من الاندماج بالعولمة ولكن نقوم بالشخصية الإسلامية القوية حاملين الرسالة العالمية ومن زاوية المنظور الشيعي ولكي تصبح الأُمّة المسلمة ذات نفوذ وتأثير في مواجهة العولمة لا بدّ أن يتوافر لدينا رصيد ضخم من القوى الروحية والمادية؛ إذ أنّهما يتكاملان في سياق إبراز مكانة الأُمّة في العالم لأنّ الإسلام دين الله الذي لا يأتيه الباطل ويعلو ولا يعلى عليه.

فالعولمة الغربية التي تمتد من الجاهلية الأُولى لا تستطيع أن تقف أمام الإسلام مهما كانت قوتها واستكبارها.

ومن الأحاديث الشريفة التي تدل على مقومات العولمة الإسلامية هي:

١ - عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلفائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟

قال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تعتقدون بهم فتصنعون كما يصنعون

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

فوالله إنّهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم»[١].

وعن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله والبيت غاصّ بأهله فيها الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق فلم أجد موضعاً أقعد فيه فجلس أبو عبد الله وكان متكئاً ثمَّ قال: «يا شيعة آل محمد اعلموا أنّه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالفة من خالفه ومرافقة من رافقه ومحاورة من حاوره وممالحة من مالحه. يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلّا بالله»[٢].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان أبو جعفر يقول: عظّموا أصحابكم ووقروهم ولا يتجهم بعضكم بعضاً ولا تضاروا ولا تحاسدوا وإياكم والبخل كونوا عباد الله المخلصين»[٣].

ونستنتج من هذه الروايات أنّ الرؤية الشيعية ليست وليدة العصور المتأخرة وإنّما وجدت مع وجود الإسلام وجذوره فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يدعون إليها ويحثون عليها ويؤكدون على طابعها الإنساني وأنّها هي الحضارة بكل أبعادها والتي تجمع بين النمو والازدهار والعدل والأخلاق بخلاف العولمة الحديثة فإنّها قائمة على الاستثمارات والتجارات المادية البحتة بعيدة عن المصلحة العامة فمن

---

(١) وسائل الشيعة ١٢: ٦.
(٢) الكافي ٢: ٦٣٧.
(٣) الكافي ٢: ١٧٣.

هنا فهي تختلف اختلافاً جذرياً عن العولمة التي يدعو إليها الإسلام والرؤية الشيعية بل الإسلامية قائمة على عالمية الإسلام والعالمية خصيصة من خصائص الإسلام وميزة من مميزاته وفضيلة نبينا محمد ﷺ على غيره من الأنبياء والمرسلين أنّه قام بواجبه العالمي منذ بداية الرسالة وليس أمراً عارضاً أو تطوراً ادعت إليه التطورات العالمية.

والرؤية الشيعية تحدد الموقف الإسلامي من أنّ الإسلام دين عالمي في عقيدته وشريعته ونظمه ودور الإسلام للعالم لا للهيمنة والسيطرة وإنّما هي هداية الناس لرب العالمين وإخراجهم من الظلمات إلى النور وفتح قلوبهم إلى الصراط المستقيم قبل فتح بلادهم ولذلك يسمى دخول المسلمين في البلدان بالفتوحات لا بالاستعمار، وحرّم الظلم والإكراه لأنّهما يورثان النفاق وترك لأهل البلدان حرية الدين والعمل والملكية.

وبما أنّ الإسلام كامل ومتكامل فكماله يشمل جميع نواحي البشرية وعلاقتها بالله العظيم والعلاقة بين الناس في إطار المسلمين وغير المسلمين وببيان آخر تشمل العبادة الأُسرة والسياسة والاقتصاد والعلم والتربية والثقافة والعلاقات الدولية في السلم والحرب.

والإسلام يحمل شعار احترام الخصوصيات الثقافية ما لم تعد على الأُصول بالتحريف أو الهدم وقد دخل الناس بذلك في دين الله أفواجاً من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً وما قضى الإسلام على المقومات الثقافية لأي مجتمع من المجتمعات وما كان يقدم نمطاً جاهزاً يحمل عليه الداخلين فيه، وقد سارت مبادئه مشرقة يشعّ بريقها ويتوهج نورها

تهدي العاملين إلى التي هي أقوم رابطة بين الدنيا والآخرة وإليك ملخص مميزات العالمية الإسلامية بما يلي:

١ - إنّها عالمية إقناعية لا تفرض على الشعوب أيديولوجيتها ولا تحاول سلبها ثقافاتها ونمط حياتها وإنّما تعمل على التعايش والتفاهم معاً وهذا ما تثبته النصوص الإسلامية وتؤكّده الوقائع التاريخية المنسجمة مع النصوص فلا إكراه عقائدي ولا مسخ ثقافي ولا محو عنصري.

٢ - لا تعمل على سلب حقوق الآخرين ونهب ثرواتهم.

٣ - لا تعمل على إشاعة مفاهيم مصلحية كتعميق مفاهيم الاستهلاك بل توازن في اتجاهاتها بين الإنتاج البشري والحاجة العامة نافية أي كفر بنعم الله وأي ظلم في التوزيع مستهدفة قبل كلّ شيء سعادة الإنسان وكرامته رافضة الإسراف إنتاجاً وتوزيعاً.

٤ - لا تتحرى ما يوجب الإضرار بالأفراد أو الجماعات أو المجتمعات بل تعمل على إعطاء كلّ ذي حق حقه موفرة الأمن بكل أنواعه للجميع.

٥ - لا تحاول فرض هيمنة شعب أو طبقة أو فرد على الآخرين وتتعدى لكل أنواع الدكتاتورية والتعالي وتعتبره مظهراً للطاغوت معتبرة أنّ الصراع ضد الطاغوت هو أحد هدفي الأنبياء إلى جانب تعبيد الأرض لله.

٦ - تعمل على نشر القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة كهدف لا تحيد عنه.

٧ - تعمل بواقعية أصلية على أن تتجلى بأرقى المظاهر الإنسانية في السلوك الفردي والاجتماعي والدولي.

٨ - تعمل هذه العالمية على احترام الآخر وإشاعة منطق الحوار قبل أي عمل ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة أو هو أيضاً من مقتضيات الفطرة الإنسانية.

٩ - ومن المبادئ التي تعمل على إشاعتها التعاون والتعارف والاستخلاف الإلهي والتكافل الاجتماعي.

١٠ - تقوّم الإنسان ومركزه بمعايير الالتزام العمل الإنساني.

١١ - يعمل على التوازن بين الحريات الفردية والمنافع الاجتماعية وبالتالي تبتني كلّ المسائل الاجتماعية على فلسفة واقعية وتنطلق منها وتلتزم بمقتضياتها إلى ما هناك من خصائص لا يسع المجال لاستقصائها.

وهناك خطاب للعالمية الإسلامية نتحدث به وخصائص تتميز بها وهو خطاب شمول وعموم لا يخصّ فئة دون أُخرى ولا جيلاً دون جيل ولا مكاناً دون آخر يخاطب البشرية أنّى كانت ومتى عاشت تخاطب الإنسانية تتعمق في طياتها، تخاطب ذاتها وتثير عناصر النبل والخير في داخلها وخارجها وتقويها، تعالج جوانب الضعف فيها، ولعل من أبرز عالمية الإسلام تكريمه للجنس البشري من أبناء آدم بصرف النظر عن أديانهم ومعتقداتهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١].

فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره ولا يختص بفئة أو شعب معين فإنّ تعليماته وخطوات قيادته الأُولى المتمثلة في أفعال الرسول ﷺ وأقواله تسير منذ البداية في اتجاه سياسة عالمية الإسلام فكراً وأُسلوباً وتخطيطاً وتحركاً بكل ما ينسجم مع هذا الهدف النبيل.

وقد حرص الإسلام كل الحرص أن تكون العلاقة بين المسلمين وغيرهم علاقة أمن وسلام دائم خصوصاً وأنّ دعوته تقوم على أساس احترام كرامة الإنسان وأنّه خليفة الله في الأرض ولتكتمل للإنسان الحياة الآمنة والطمأنينة النفسية والروحية وبهذا يستكمل إعمار الأرض التي استخلفه الله فيها وهو في قمة اهتمام الشريعة الإسلامية.

والذي أرى أنّ الإنسان عند الامتحان إمّا أن يُكرم أو يُهان فنحن الشيعة المحصنون والمهيئون عقائدياً ننتظر بفارغ الصبر هذا الانفتاح الشامل الذي نعيشه اليوم والذي فقدناه منذ ما يقرب من عشرة قرون ولم يُتح في ذلك الحين لأفكارنا أن تُطرح بشمولية عالمية.

ولكن بفضل الله في هذا النظام العالمي الجديد أمكننا أن نطرح ونناقش ونحاور أفكار جميع شرائح المجتمع العالمية لأنّ عقيدتنا مبنية

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

على الصدق والإنسانية ونناقش ونساوي الحقوق بين بني البشر ونحن الشيعة نمتلك منذ بزوغ فجر الإسلام قيماً ومُثلاً وواقعية لا يمتلكها غيرنا وإن كانت تفوقنا بعض المجتمعات العالمية مادياً لكنهم يحتاجون إلى ما نمتلكه من كمالات نفسية وتربوية وأخلاقية لصقل أنفسهم.



المذهب الجعفري ورفضه للتعصب المذهبي

المذهب الجعفري ورفضه للتعصب المذهبي

يرفض المذهب الجعفري التعصب رفضاً وقاطعاً وصريحاً وهو أقدم المذاهب الإسلامية نشأة وأقواها عاملاً يستمد تعاليمه من الينبوع الإسلامي الفياض القرآن الكريم وسنة نبيه محمد ﷺ وقد غرس النبي ﷺ بذرته ووجه الناس إليه بتعاليمه وإرشاداته وعمل به في زمن الصحابة وقام بنشره منهم جماعة كأبي ذر والمقداد وسلمان وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة الأبرار.

ولم يكن المذهب الجعفري كسائر المذاهب الإسلامية في تطور نشأته وعوامل انتشاره بل امتاز باستقلاله عن مقومات المادة ومؤازرة السلطةواستطاع بمؤهلاته الذاتية إخضاع الزمن واجتياز العقبات التي تقف في طريق نشره ولولا أصالة المذهب وقدسيته وانتمائه إلى أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وعناية الخالق الحكيم برحمة منه ولطف لقضت السلطات المناوئة عليه ولكن ذهبت تلك المحاولات أدراج الرياح وكان نصيبها الفشل ونصيبه النجاح.

وإنّما سمّي بالمذهب الجعفري نسبة إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لانتشاره في عصره عليه السلام وازدحام طلاب العلم على

مدرسته وكثرة الهجرة إليها وازدهاره في عهده عليه السلام وتعدّ تلك الفترة العصر الذهبي الذي كان بين انهيار الدولة الأُموية وقيام الدولة العباسية التي اتخذت الولاء لأهل البيت عليهم السلام شعاراً لها وأثبتت أُسس قواعدها على ذلك.

وشاءت الحكمة الإلهية أن يتخطى المذهب الجعفري العصر الأُموي والعقبات التي حاول الأُمويون أن يضعوها العرقلة سيره والوقوف في طريق انتشاره حتى تمكن المذهب من الانتشار في الأقطار الإسلامية وغيرها من البلدان كما في عصرنا اليوم بقوته ومقوماته من دون الاستناد إلى سلطة أو عوامل للترغيب في اعتناقه من غير المساس بأي مذهب كان من قريب أو بعيد.

وأمّا المذاهب الأُخرى، فقد ازدهرت في القرن الرابع الهجري وكان نشوءها منوطاً بالنشاط العلمي الواسع النطاق فكان في كل بلد إمام له مذهب يُنسب إليه وكثر عدد المذاهب والمنتمون إليها إلّا أنّه لم يكتب البقاء لأكثرها واعتراها الانقراض وكان لمؤسسيها الذين كثر أتباعهم تاريخ مجيد ومكانة سامية وربما فاقوا في نظر معاصريهم وذوي العلم منهم رؤساء المذاهب الذين وقفت قافلة الفقه عندهم واختصر استنباط الأحكام عليهم ولكن عوامل انتشار مذاهبهم عجزت عن مسايرة الظروف فلم يكتب لها البقاء ومحيت ضمن صفحة الوجود ولم يبق لإخواننا أبناء السنة منها إلّا أربعة: المالكي، والحنفي، والشافعي، والحنبلي. وأمّا المذاهب التي انقرضت فهي كثرة ونذكر منها كما يلي:

١ - مذهب عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١هـ، ٧٢٠م.

٢ - مذهب الشعبي المتوفى سنة ١٠٥هـ، ٧٢٣م.

٣ - مذهب البصري المتوفى سنة ١١٠هـ.

٤ - مذهب الأعمش المتوفى سنة ١٤٨هـ، ٧٦٤م.

٥ - مذهب الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧هـ. ٧٧٣م.

٦ - مذهب سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ، ٧٧٧م.

٧ - مذهب الليث المتوفى سنة ١٧٥هـ.

٨ - مذهب سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٢هـ، ٨١٤م.

٩ - مذهب إسحاق المتوفى سنة ٢٣٢هـ.

١٠ - مذهب أبي ثور المتوفى سنة ٢٤٠هـ، ٨٥٤م.

١١ - مذهب داوود الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠هـ، ٨٣٣م.

١٢ - مذهب محمد بن جرير المتوفى سنة ٣١٠هـ، ٩٢٣م.

ومذهب عبد الله بن أباض وغيرها من مذاهب المسلمين التي تتفق أحياناً وتفترق أحياناً أُخرى في كثير أو بعض من المسائل الشرعية ومنهم جعل ضمن تعداد هذه المذاهب مذهب عائشة ومذهب ابن مسعود ومذهب إبراهيم النخعي إلى غير ذلك[1]، بل حتى مذهب المعتزلة تلاشى بل انقرض رغم قوته الفكرية ومكانته الثقافية.

وبناء على هذا التوسع العلمي لأصحاب المذاهب وأتباعهم أدى إلى تطور مؤلم بالطعن في المعتقدات ونتج من وراء ذلك ثورات دموية

(١) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة: . . . . . . ، ١٥٤، ٢٠٦ بتصرف.

ذهبت بالكثير من النفوس والأموال بشكل يبعث على الأسف الشديد لما حلّ من التطاحن بين المذاهب فأصبحوا أعداء متخاصمين في المعتقدات وقد عامل بعضهم بعضاً معاملة الخارجين عن الدين حتى قال محمد موسى الحنفي قاضي دمشق المتوفى سنة ٥٠٦هـ: (لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية).

ويقول أبو حامد الطوسي المتوفى سنة ٥٦٧هـ: (لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية).

إنّ أسباب تلك الفتن التي حلّت بالمسلمين كلها تعود لمسايرة بعض العلماء للدولة والحكام الجائرين المتسلطين فكان يشايعها ويؤيد وجهة نظرها فأغدقت عليه العطاء وبذلك أصبح العلم مسايراً للدولة والحاكم بما يشاء.

ولو استقل العلم عن المؤثرات السياسية في تلك العصور لأرغمت الدولة على الخضوع لله ولسارت في ركابه وفي ذلك سعادة الأُمّة ولكن بعض حملة العلم بمسايرتهم لولاة الأمر الذين انحرفوا عن الدين أصبحوا دعامة تستند عليها سلطتهم الجائرة في أهمّ الأُمور مما جعل الناس ينظرون إلى الإسلام وهو مسلوب القوة العادلة تنظيم شؤون العالم والدين أجمل وأسمى من أن يكون مهباً للأهواء أو مثاراً لاختلاف الآراء أو مجالاً لتحزّب العلماء[١].

ولا شكّ أن العالم الذي يتعصب لمذهب - أي مذهب - هو أسوأ

(١) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة ١: ١٩٠.

حالاً من الجاهل ذلك لأنّه لم يتعصب والحال هذه للدين والإسلام وإنّما تعصب للفرد لصاحب المذهب بالذات ما دام العقل لا يحتم متابعته بالخصوص كما أنّ مخالفة المذهب ليست مخالفة لواقع الإسلام وحقيقته بل لصاحب المذهب وبالأصح للصورة الذهنية التي يتصورها عن الإسلام(١).

ومن الواضح أنّه في الصدر الأول لم تكن مذاهب وفرق حين كان الإسلام صفواً من كل شائبة وكان المسلمون في طليعة الأُمم.

وبالتأكيد الفرق والمذاهب باعدت بين المسلمين وأقامت بينهم حواجز وفواصل حالت دون قوتهم وسيرهم في سبيل واحدة لغاية واحدة وإنّ المستعمرين وأعداء الإسلام وجدوا في هذه التفرقة خير الفرص للاستغلال وإثارة الفتن وما سيطر الغرب على الشرق وبلغ النهاية في استغلاله واستذلاله إلّا عن طريق الفرقة وتفتيت القوى.

وإذا نظرنا إلى الحوادث المؤلمة التي جعل فيها التشاجر والتطاحن بين معتنقي المذاهب الإسلامية فلا شكّ أنّ ذلك يبعث في نفوسنا الألم مما وصلت إليه الحالة السيئة بين جماعات الأُمّة ويدلنا ذلك بكل وضوح على إبطال من يدعي الاتفاق وعدم الخلاف والدليل على ذلك وقوع الحوادث التي وقعت بين الحنفية والحنابلة وبين الحنابلة والشافعية وقد قام خطباء الحنفية يلعنون الحنابلة والشوافع على المنابر والحنابلة

(١) الفقه على المذاهب الخمسة: ٨.

يحرقون مسجداً للشافعية في مرو وعظم الأمر والخلاف بين الحنفية والشافعية في نيسابور ووقعت فتنة مبعثها التعصب المذهبي فتحرق الأسواق والمدارس ويكثر القتل في الشافعية فينتصرون بعد ذلك على الحنفية ويسرفون في أخذ الثأر منهم وذلك في سنة ٥٥٤هـ ومثلها تقع بين الشافعية والحنابلة وتضطر السلطة إلى التدخل وحسم النزاع بالقوة وذلك في سنة ٧١٦هـ(١).

ولشدّة وقوع الفتن ببغداد فقد نادى منادي السلطان بمنع الفتن وعدم ذكر المذاهب والخصومة فيها(٢).

وتكفير الفرق بعضها بعضاً أمر شائع يحزّ في صدر الحق ويؤلم التاريخ وقعه ويتبرأ الإسلام منه ومن الشواهد على ذلك:

أبو سهل القطان وكان من الحفاظ والثقات عندهم يذهب إلى تكفير المعتزلة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٣) وثارت فتنة عمياء ووقعت حوادث مؤلمة مبعثها التعصب الأعمى.

وأبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي المتوفى سنة ٤٧٩هـ وكان شيخ الشافعية وعالمهم المبرز تعصب الحنابلة عليه فتكلموا فيه وبالغوا في الأذى بالشتم فثارت فتنة عظيمة أدّت إلى ذهاب

---

(١) البداية والنهاية ١٤ : ٧٦.
(٢) المنتظم ١٠ : ١١١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

النفوس من الطرفين وانتصر السلطان لأبي إسحاق فسجن شيخ الشافعية[١].

والفقيه أبو منصور المتوفى سنة ٥٦٧هـ قتله الحنابلة بالسم تعصباً عليه قال هذا يا سيدي من غزلي فأكل هو وامرأته وولد له صغير فأصبحوا موتى وكان من علماء الشافعية المبرزين[٢].

وهناك عدة شواهد على تعصب علماء المذاهب الأربعة فيما بينهم وتكفير بعضهم البعض.

أمّا علماء الإمامية الاثني عشرية فلم يحدثنا التاريخ في يوم من الأيام أنّهم تعصبوا ضدّ مذهب من هذه المذاهب الأربعة أو غيرها أو اعتدوا على مشاعرهم، نعم وقعت مناقشات فكرية في علم الكلام وغيرها وهي لا تتعدى النزاعات العلمية البحتة في إطارها الثقافي العلمي بل المذهب الجعفري يحترم أكثر النظريات المذهبية المطروحة من قبل أصحاب المذاهب فقها كانت أو أُصولاً أو تفسيراً أو فلسفةً ولا يخفى أنّ علمائهم أصحاب فكر وثقافة ولهم في المعرفة باع طويل واختلاف وجهات النظر لا يُعدّ تعصباً أو ميلاً وإنّما هو محض النقاش العلمي بين النظريات والحوارات الفكرية البحتة.

---

(١) شذرات الذهب ٣: ٢٥٣.

(٢) طبقات الشافعية ٤: ١٨٤.

الديمقراطية من المنظور الشيعي

الديمقراطية من المنظور الشيعي

الديمقراطية: كلمة يونانية ومعناها سلطة الشعب[١]. وعرفها بعضهم بأنّها الحكومة الشعبية أي أن جهازها يختار الشعب وعرفها آخرون بأنّها نظام الحكم الذي يعطي الشعب حق ممارسة السيادة.

وقال (ليلاند د.لولدوين) في تعريفها: إنّها عملية سياسية إيجابية للسعي وراء الحرية والمساواة والإخاء[٢].

وهي كما تطلق على حكم الشعب - بناءً على تماميته - تطلق على الجماعة السياسية التي تقوم على أساس المساواة فيما بينها.

وتعتبر الديمقراطية من أقدم النظم السياسية وأكثرها مرونة وأصالة. فقد أخذت بها أكثرية الحكومات المدنية ودعت الأحزاب السياسية المستقلة في البلاد الحرة حكومتها إلى تطبيقها على مسرح الحياة في بلادهم[٣]، وهي ليست من اختراع هذه العصور فقد ذكرها أفلاطون في كتابه فقال عنها:

(إنّ مصدر السيادة هي الإرادة المشتركة للمدنية وقد كانت أساس

---

(١) النظم السياسية: ٣٥٣.

(٢) الديمقراطية أمل الإنسانية: ٨.

(٣) نظام الحكم والإرادة في الإسلام: ٨٨.

الحكم في المدن الإغريقية كأثينا وأسبارطة وكذلك عرفتها روما إلّا أنّ أمراءها جمعوا السلطة بأيديهم)[١].

ولاحظ بعضهم أنّ الديمقراطية التي عرفتها تلك المدن السياسية القديمة كانت محدودة في تطبيقها إلى حدّ بعيد فلم تكن السلطة السياسية بأيدي الأغلبية وإنّما كانت في يد المواطنين الأحرار وحدهم.

وقد عملت الثورة الفرنسية على تحقيق الديمقراطية فقد استخدمت هذه الفكرة لمحاربة الاستبداد والطغيان الماثل في ملوك فرنسا فإنّهم كانوا يعتبرون أنّ سلطانهم مستمد من الله تعالى وأن ليس للشعب إلّا الطاعة والرضوخ لأهوائهم وأنّ فرنسا عطية من الله للملك.

ولقد قامت الثورة الفرنسية من أجل المبادئ الديمقراطية ومن أجل إنقاذ البلاد من الحكم الإرهابي السائد فيها وأعلنت الثورة بعد ذلك حقوق الإنسان التي أقرتها هيئة الأمم المتحدة ولكن فرنسا انحرفت عن تلك المبادئ وقد أقام نابليون نظاماً دكتاتورياً صدر به دستور السنة الثامنة للثورة الفرنسية في ١٣ ديسمبر سنة ١٧٩٩، ولم يعد بعد ذلك أي أثر للحكم الديمقراطي في فرنسا.

وقد ترد على الديمقراطية عيوب وهي:

أولاً: يؤخذ على النظام الديمقراطي أنّه فتح الباب على مصراعيه للحرية الاقتصادية الفردية وأباح جميع الوسائل التي تؤدي إلى نمو المال

---

(١) الديمقراطية أمل الإنسانية: ٨.

الفردي وزيادته وقد أدّى ذلك إلى سيطرة الاحتكارات الرأسمالية واستبداد المنتجين بالمستهلكين وغدا أصحاب الشركات الكبرى كشركات البترول والسيارات والمصانع الثقيلة يسيطرون على جمهرة الشعب ويفرضون الأثمان الباهظة لسلعتهم حسبما يشاؤون.

ثانياً: يؤخذ على هذا النظام أنّه لا يعنى بتقويم الأخلاق وإنّما اتجه إلى معالجة النظم الاقتصادية والسياسية وليس له أي علاقة بالمثل الإنسانية الكريمة فلا ظل للرحمة والإيثار والتعاون في هذا النظام.

ثالثاً: لم يوفق النظام الديمقراطي إلى تحقيق المساواة الاجتماعية ففي كثير من الأُمم التي يسود فيها هذا النظام توجد فروق ظاهرة في طرق التربية ومعايير الثقافة كما هو الشأن في انجلترا[١].

وكذلك الحال في الولايات المتحدة فإنّ كلمة الشعب فيها قد اقتصرت على المواطنين البيض فقد اختصوا بالوظائف والمناصب وأمّا إخوانهم السود فلم يسمح لهم بغير الأعمال البدنية الحقيرة.

رابعاً: يؤخذ على هذا النظام أنّ البرلمان خاضع للنشاط الاقتصادي الفردي فهو يسير دوماً في ركاب الرأسمالية ولا يعنى بالقضايا الشعبية التي تتصادم مع المصالح الرأسمالية الفردية.

خامساً: من أهمّ المبادئ في النظام الديمقراطي هو أن يكون حكم الشعب للشعب ومعنى ذلك أنّ الشعب هو الذي يختار له أي لون من ألوان الحكم فيطبقه على واقع حياته.

---

(١) المذاهب الاجتماعية: ٢٤.

سادساً: أجمع الناقدون لهذا النظام على إنكار تساوي الكفاءات والمواهب بين أفراد الشعب وهاجموا الذاهبين إلى تعادل أصوات الناخبين في اختيار الموظفين وفي تقرير السياسة العامة للبلاد فإنّ من الطبيعي وجود الفوارق الظاهرة بين الأفراد في الذكاء والقابليات مقاييس الحكم وسائر الأنظمة يجب أن تستند إلى نوعية الأفراد لا إلى كميتهم فالديمقراطية التي أناطت الحكم بأغلبية الشعب قد فسحت المجال للغوغاء وسائر القوى الجاهلة أن تسيطر على شؤون الحكم وذلك يؤدي إلى فقدان المقاييس وحرمان ذوي المواهب النبوغ من التدخل في شؤون السياسة والحكم.

هذه بعض النقود والمؤاخذات التي وجهها الناقدون لهذا النظام وقد أثبتوا أنّه لا قدرة له على معالجة شؤون الحكم.

ولذلك فإنّ القاعدة الفكرية للديمقراطية تختلف اختلافاً كبيراً عن الإسلام لأنّ المفهوم الذي تختزنه الديمقراطية في مضمونها الفكري هو أن شرعية أي قرار ينطلق من تصويت الأكثرية عليه وليست هناك أية شرعية لأي عنوان آخر للديمقراطية هو نفي الدكتاتورية.

أمّا الديمقراطية من المنظور الشيعي فيمكن بيانها بسبعة بنود:

البند الأول: يعتبر الإسلام أنّ مصدر السيادة هو الله تعالى ولا حقّ لأحد من أفراد الشعب أن يضع نظاماً أو يسنّ سنة أو يشرع أي حكم فإنّ جميع ذلك لله والإسلام ينكر صفة السيادة للشعب التي هي روح الديمقراطية ولا يسمح بأي حال أن تتدخل أية طبقة من طبقات المجتمع

في عالم التشريع وتسنين القوانين وإنّما ذلك بيد الله تعالى وقد شرع الأحكام التي تضمن سعادة الإنسان.

البند الثاني: يعتبر الإسلام وحدة المكان أو الدم أو اللغة روابط صناعية لا وزن لها عنده وإنّما الرابطة الأصلية هي الوحدة في العقيدة فكل من اعتنق فكرة الإسلام من أي جنس أو لون أو وطن فإنّه عضو في المجتمع الإسلامي والرسول الأعظم بعث للناس جميعاً قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

إنّ رسالة الإسلام لم تصطبغ بأية فكرة قومية أو عنصرية وإنّما هي للناس جميعاً على اختلاف قومياتهم وعناصرهم.

البند الثالث: إنّ سلطة الأُمّة مقيدة بأحكام الشريعة وليس لها أن تتعدى حدود الله وأحكامه كما أنّه ليس لها أن تسلك تلك الطرق الملتوية المؤدية إلى شقاء الإنسانية وإلى تدمير معالم الحياة.

البند الرابع: إنّ المساواة التي أعلنها الإسلام تشتمل على جميع عوامل النهوض والارتقاء وتحتوي على جميع وسائل التعاون والتآزر.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

البند الخامس: أمّا حكم الأغلبية الذي هو من جملة الأثافي التي يبتني عليها النظام الديمقراطي ويراد به أن تكون القرارات التي تتخذها الحكومة موافقة لرغبة أكثرية الشعب فإن كانت القرارات مما يتعلق برفع مستوى الصحة والتعليم والعمران فإنّ الإسلام يقرها وهي من جملة أهدافه وإن كانت بعيدة عن هديه وسننه كإعلان الحرب والاحتكارات وما أشبه فإنّ الإسلام لا يقرّها وإن رضيت بها أغلبية الشعب.

البند السادس: الأهداف الديمقراطية في نظر الإسلام لم تقتصر على الحياة المادية فقط بل هي أشمل من ذلك وأعمق بكثير فإنّها تهدف إلى إصلاح الحياة الأُخرى، وقد ربط الإسلام ما بين الحياتين ودعا المسلمين إلى العمل لكلّ منهما ففي الحديث: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً».

البند السابع: إنّ الإسلام يعتني بالأخلاق ويقيم لها وزناً ويرى أنّه إذا فسدت الأخلاق تلاشت الأُمّة وانهدّ كيانها وأشاد الإسلام بالأخلاق وأنّها من أُصوله الجوهرية ومبادئة الرئيسية فقد ركز جميع أهدافه على إقامة الأخلاق وإصلاح النفوس وقد رسم الإسلام جميع ما يتجلى به المسلم في سلوكه وأخلاقه وقد ألمع القرآن الكريم إلى كثير من ذلك بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

ومن الواضح أنّ الديمقراطية لا تعتني إلّا بالجوانب الاقتصادية والسياسية لا غير في حين أنّ ديمقراطية المنظور الشيعي شاملة لكل جوانب الحياة ولا تقتصر على جانب دون آخر وهذا هو سرّ نجاحها على باقي الملل والسياسات والشعوب وهذا سرّ عظمة الإسلام وخلوده وكثرة رواده ومعتنقيه على مدى التاريخ وحتى يومنا هذا.



(١) سورة لقمان، الآية: ١٨.

الرؤية الشيعية لنبذ الظلم والطغيان

الرؤية الشيعية لنبذ الظلم والطغيان

منذ بواكير نشأته ندد الفكر الشيعي بالظلم والظالمين والطغاة والمتجبرين في كل آن وحين وهو من صميم مناهجه العقائدية والفكرية النابعة من الروح الإسلامية الحقة وانطلاقاً من الدستور القرآني الذي نصّ بأكثر من آية على ذم الظلم والاستبداد بكل صوره وأشكاله وبمختلف مجالات الحياة ابتداءً من الإنسان نفسه والحاكم والقاضي والشريك والزوج والزوجة واستئصاله حال ظهوره والكفّ عنه ورفعه والتخلص من هذا المرض الخطير بين أفراد الأُمّة الإسلامية وغيرها.

والظلم لغة: الجور ومجاوزة الحدّ، ووضع الشيء في غير موضعه وانتقاص الحق.

والظلم اصطلاحاً: هو التعدي على الحق والميل إلى الباطل.

وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة حدّ القانون الإلهي، والظالمون هم المانعون أهل الحقوق حقوقهم.

واستدلّ الشيعة على حرمة الظلم وعدم ممارسته والعمل به في مختلف المجالات الحياتية والفكرية والسياسية والاجتماعية بالأدلة الأربعة:

أولاً: الكتاب الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[8].

ينبهنا القرآن الكريم إلى حقيقة الظلم والظالمين وبيان عاقبته الوخيمة

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٢.
(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٤) سورة إبراهيم عليه السلام، الآية: ٤٢.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٩.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.
(٨) سورة غافر، الآية: ٥٢.

وأنّ الله يمهل ولا يهمل الظالمين حتى ورد عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ الله ليمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[1].

والميول إلى الظالمين والرضا بأعمالهم ومشاركتهم تؤدي إلى عذاب النار والمجتمع الذي يسود فيه الظلم هو مجتمع يستحق اللعنة ويستحق عذاب الله في الدنيا والآخرة.

والعامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم، ولا شكّ أنّ شيوع الظلم في قوم يؤدي إلى وصول أشرار الناس إلى الحكم فتذوق الأُمّة جمعاء ألواناً من ظلمهم وسوء تصرفهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[2].

ثانياً: السنّة الشريفة:

وقد تحدثت السُّنّة الشريفة بنصوص متعددة عن ذم الظلم وسوء عاقبة الظالمين وبينت الآثار الوضعية المترتبة على الظالمين وأعوانهم وما سيلاقونه من الانتقام في الدنيا والعذاب في الآخرة س ش ر﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[3].

ومن تلك النصوص الواردة في ذم الظلم هي:

أولاً: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من ظلم سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه» قال الراوي: قلت: هو

---

(١) ميزان الحكمة ٢: ١٧٧٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة الفجر، الآية: ١٤.

يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه؟ قال: «فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾»[1].

ثانياً: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»[2].

ثالثاً: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»[3].

رابعاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مشى مع ظالم فقد أجرم»[4].

خامساً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة وأعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدّهم بمدة قلم؟ فاحشروهم معهم»[5].

سادساً: روي أنّه تعالى أوحى إلى داود: «قل للظالمين لا تذكروني فإنّ حقاً عليّ أنّ أذكر من ذكرني وأن ذكري إياهم أن العنهم»[6].

سابعاً: قال علي بن الحسين لابنه أبي جعفر عليه السلام حين حضرته

---

(١) جامع السعادات ٢: ٢٢٨، والآية في سورة النساء: ٩.
(٢) وسائل الشيعة ١٢: ١٢٧.
(٣) جامع السعادات ٢: ١٧١.
(٤) مستدرك الوسائل ١٣: ١٢٥.
(٥) معارج اليقين في أصول الدين/ للشيخ محمد السبزواري: ٤٣٧.
(٦) جامع السعادات ٢: ١٦٩.

الوفاة: «يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله»[١].

ثامناً: قال أبو جعفر عليه السلام: «ما من أحد يظلم بمظلمة إلّا أخذه الله تعالى بها في نفسه أو ماله»[٢].

تاسعاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «جور ساعة في حكم أشدّ وأعظم عند الله من معاصي تسعين سنة»[٣].

عاشراً: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين أن ائت هذا الجبار فقل له: إنّي لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وإنّما استعملتك لتكون عني أصوات المظلومين فإنّي لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كافراً»[٤].

الحادي عشر: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت»[٥].

الثاني عشر: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وأمّا الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً وإنّ جماعة في ما تكرهون من الحقّ خير من فرقة في ما تحبون من الباطل! طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة»[٦].

---

(١) أمالي الصدوق: ١٥٤.
(٢) الوافي ٥: ٩٦٨.
(٣) جامع السعادات ٢: ١٦٩.
(٤) المصدر السابق: ١٧٠.
(٥) نهج البلاغة: ٢١٩.
(٦) راجع نهج البلاغة/ جورج جرداق: ١٧٦.

الثالث عشر: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتقوا الظلم، فإنّه ظلمات يوم القيامة»[(١)].

الرابع عشر: عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول عزّ وجلّ: اشتدّ غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»[(٢)].

الخامس عشر: روي أنّه إذا صار يوم القيامة نصبت هناك خيمة من نار وجيء بالرجال والنساء الذين ظلموا أنفسهم والآخرين فأُدخلوا فيها ثمَّ يؤتى بمن رضي بعملهم وبمن أعانهم على ذلك فيدخل معهم في تلك الخيمة حتى يفرغ الناس من الحساب ليذهب بهم إلى النار وبئس المصير»[(٣)].

السادس عشر: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «من علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من نار طوله سبعون ذراعاً يسلطه الله عليه يوم القيامة في جهنم وبئس المصير»[(٤)].

تحكي لنا هذه الروايات الشريفة صورة واضحة عن عاقبة الظلم في الدار الآخرة وما أعدّه الله تعالى من العذاب الأليم للظالمين وتبين أنّ الظلم هو من ظلمات يوم القيامة وأنّ الله تعالى يأخذ الظالم في نفسه وماله وإنّ ساعة أشدّ عند الله تعالى من معاصي تسعين سنة وإنّ المشي

---

(١) الوافي ٥: ٩٦٧.
(٢) أمالي الطوسي ٢: ١٩.
(٣) الأخلاق البيتية: ١٤٥.
(٤) إرشاد القلوب: ١٨٨

مع الظالم بأي صفة كان من الجرم والعامل بالظلم والمعين والراضي كلهم شركاء على حدّ سواء في المظلمة للعباد ولا عذر للظالم وإنّ الله سوف يسلّط عليه من يظلمه وإنّ دعاءه لا يستجاب ولا شكّ أنّ دعوة المظلوم مستجابة وإنّ الله تعالى يغضب لغضب المظلوم ويشتد غضبه في الدارين ويكون في الآخرة أشدّ عذاباً وتنكيلاً.

والظلم من الأمراض الخطيرة التي تؤثر في المجتمع عامة وعلى الأفراد بصورة خاصة أجارنا والمسلمين جميعاً من ذلك.

ثالثاً: الإجماع: أجمعت المذاهب والأديان على حرمة الظلم ومحاربته في تشريعاتها وأحكامها وأنّ المعين والراضي كلهم شركاء على حدّ سواء.

رابعاً: العقل: من المستقلات العقلية التي يستقل بها العقل هو الحسن والقبح ولا شكّ أنّ العقل يحكم بقبح الظلم وينهى عن التعامل به وهو سيد العقلاء بل هو رئيسهم.

وأمّا الطغيان: فهو حالة مرضية تصيب الروح ولها خصائصها كأي مرض آخر ولها أسبابها كأي مرض آخر فكما أنّ فرعون استكبر واستعلى في الأرض فإنّ فراعنة كل عصر وزمان يبدءون برحلة الطغيان بالاستكبار والاستعلاء ولا شكّ أنّ لكل طغيان ردّ فعل من التحدي والطغيان هو أعلى مراتب المعصية وموبقاتها وأعلى مراتب الإثم والخطايا فالطاغوت يمتلك شخصية مهزوزة وضعيفة فهو مثلاً أقلّ من الناس العاديين في القدرة على التحكم في نزواته وتجاوز همومه الصغيرة ولذلك فإنّه ربما

يعاقب إنساناً بالقتل لأنّه سمع منه كلمة بسيطة تأثر بها فهو يبطش جباراً ويظلم مجرماً ويحرم محللاً ويحلل محرماً ويعشق القوة ويعيش على وهنها فالقوة عنده النجاة وبها النجاة ومنها يبتدئ وإليها يعود.

وللقرآن تمثيل فنّي رائع عن مآل الطغيان والمتجبرين وأنّ الله تعالى لهو بالمرصاد في أي وقت شاء بأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[1].



(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

معيار العدل والسلام عند الشيعة

معيار العدل والسلام عند الشيعة

العدل أصلٌ من أُصول الدين الخمسة عند الشيعة إلى جانب التوحيد النبوة والإمامة والمعاد وهو صفة يتصف بها الله عز وجل وقد أمر به سبحانه في كتابه الكريم حيث قال: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾(١).

ولقد قام الإسلام بأُصوله وفروعه على العدل وهو قانون أخلاقي وطبيعي والعدل هو الاستقامة والاستقامة هي الكمال والكمال هو الغاية فإيجاد الإنسان العادل وإقامة المجتمع العادل هي غاية الله من الإسلام حين وضع أوّل حجر من هيكله ورفع أول قاعدة من قواعده وهو الغاية من تشريع الدين حين نصف به الإنسان الفرد أو نصف به الإنسان الأُميّ(٢).

ويعتقد الشيعة أنّ الخروج على العدل في المجتمع الإسلامي والإنساني والاستخفاف به جريمة كبرى في موازين هذا الدين ومرتكبها

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٨٩، ٩٠.

(٢) الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته: ٣٠٠ - ٣٠١.

محارب لله ولرسوله مستوجب لأشدّ أنواع التأديب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وأحوج ما يكون الإنسان للعدل حين يكون فرداً لا ناصر له ولا معين ولا حول ولا قوة له إلّا الحق والعدل.

وقد يكون من الصعب العسير أن يلتزم الإنسان بالعدل في كلّ تصرفاته ومعاملاته ولكن هذه الصعوبة هي المحك الذي يميز من خلاله بين الطيب والخبيث والصادق والمنافق في دينه وأخلاقه قال تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[2].

وقد عرف الشيعة بالتزامهم بالعدل والإنصاف وعدم ظلمهم الآخرين حتى وإن كانوا كافرين سائرين على خطى قدوتهم وأسوتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال في أول خلافته: «إنّ الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سحت الشرّ تقصدوا. الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة إنّ الله حرّم حراماً غير مجهول وأحلّ حلالاً غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في مقاعدها.

فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلّا بالحقّ ولا يحلّ أذى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الملك، الآية: ٢، وسورة هود، الآية: ٧.

المسلم إلّا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت فإنّ الناس أمامكم وإنّ الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فإنّما ينتظر بأولكم آخركم، اتقوا الله في عباده وبلاده فإنّكم مسؤولون حتى من البقاع والبهائم أطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه»[١].

والرؤية الشيعية تنطلق من أنّ العدل فريضة محتومة تجب رعايتها والمحافظة عليها من جميع أفراد المسلمين حتى مع الكفار الذين لا يدينون دين الحق إذا هم لم يقاتلوا المسلمين ولم يضطهدوهم ولم يفتنوهم في دنياهم ولم يلبسوا عليهم دينهم وإنّهم يرون العدل سلسلة متراصفة الأجزاء مترابطة الحلقات.

فمن العدل في العقيدة إلى العدل في المنهاج إلى العدل في الهدف ومن الاتزان في السلوك إلى الاتزان في المعاملة إلى الاتزان في الخلق ومن القسط في القول إلى القسط في الحكم ومن استقامة في النفس إلى الاستقامة مع الغير ومن العدل في الفرد والخاص إلى العدل في المجتمع العام ومن التساوي في الحقوق إلى التساوي في الطبقات.. ومن العدل في مبادئ العمل في الدنيا إلى العدل في موازين الجزاء في الآخرة[٢].

ولما كان هذا هو منظور الشيعة في إقامة العدل وإرساء قواعده

(١) نهج البلاغة ٢: ٧٩.
(٢) الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته: ٣٠١.

ومكافحة الجور والجائرين في جميع مظاهره فكيف يُتقول عليهم بأنّهم دعاة للإرهاب وأنّ العالم يتخوف منهم ممن ينتمي إليهم وهاهم أئمتهم عليهم السلام وعلماؤهم ومفكروهم يحملون ألوية العدل في القلم والسيف والحرب والهدنة وفي تربية النفس حتى مع أعدائهم لأنّهم تخرجوا من مدرسة علي عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله الذي رباه في حجره منذ نعومة أظفاره.

ولقد تتلمذت الأُمّة على أيديهم في أعظم مدرسة وأعدل نهج ينشد السلام ويقارع البغي والجور ويحارب الإرهاب. ومن المبادئ التي التزم بها الشيعة على مرّ العصور والأيام أنّهم دعاة للسلام والمسلم عندهم من سلم الناس من يده ولسانه، ومن آذى مسلماً ولو بشطر كلمة فليس بمسلم.



الرؤية الشيعية للاتجاهين القومي والأُممي

الرؤية الشيعية للاتجاهين القومي والأُممي

إنّ أوّل من سنّ قانون رفض القوميات ومحاربة العصبية بكل شدّة وشجاعة هو الإسلام حيث عمل جاهداً على إذابة القوميات وجعل التفاضل بين الأفراد على أساس التقوى وليس على أساس قومي منطلقاً من الرؤية القرآنية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وقد حاول أعداء الإسلام أن يطبقوا هذا المبدأ عملياً بين صفوف المسلمين لكن الإسلام حال دون ذلك. وحارب ذلك أشدّ المحاربة.

ويمكن الاستدلال على حرمة التعصب القومي بين المسلمين وغيرهم بالأدلة الأربعة:

الدليل الأول من القرآن الكريم:

١ - **القرآن الكريم**. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[1].

الدليل الثاني: السنة الشريفة:

إلى جانب القرآن والسنة النبوية والمتمثلة بالرسول الأعظم محمد ﷺ الذي أعلن بقوله وفعله ليس لعربي فضل على غيره إلّا بالتقوى، مؤكداً أنّنا نرجع إلى آدم وآدم من تراب وليس من شيء آخر وهذا بدوره ينهي جميع الخصوصيات والأعراف القبلية.

ولكن من الطبيعي أن يعتز كل فرد بقوميته.

فالهندي مثلاً يعتز بهنديته.

والعربي يعتز بعربيته.

والألماني يعتز بألمانيته.

والإيطالي يعتزّ بإيطاليته.

والفارسي يعتزّ بفارسيته لكن لا على أساس تقديم شرارهم على خيار غيرهم.

وقد صهر الإسلام على صخرته الصلبة كل القوميات والقبليات والأعراف الجاهلية وقد جسد النبي ﷺ هذه المفاهيم على أرض الواقع عملياً قبل أن يشرعها نظرياً.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

فقد ورد عنه ﷺ قوله: «ليس لعربي على أعجمي فضلٌ إلّا بالتقوى»[١].

وقال ﷺ: «كلّكم لآدم وآدم من تراب»[٢].

وكذلك سار الإمام علي عليه السلام على نفس هذا المسير ورفض القوميات تحكيماً للقرآن وتطبيقاً لأمر رسول الله ﷺ فقد ورد عن أبي إسحاق الهمداني قال: إنّ امرأتين أتتا علياً عليه السلام إحداهما من العرب و الأُخرى من الموالي فسألتاه فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء فقالت إحداهما: إنّي امرأة من العرب وهذه من العجم.

فقال عليه السلام: «إنّي والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق»[٣].

وقال عليه السلام في بعض خطبه: «لأسوّينّ بين الأسود والأحمر»[٤].

وعندما أراد توزيع بيت المال كتب عليه السلام: «العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء»[٥].

وهكذا جعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الإطار العام هو الإسلام ونفى الخصوصيات العنصرية عن جوهره الأصيل فكان يطبق هذه النظرية

---

(١) تحف العقول: ٣٤.
(٢) تحف العقول: ٣٤.
(٣) شرح نهج البلاغة ٢: ٢٠٠ - ٢٠١.
(٤) الاختصاص: ١٥١.
(٥) الاختصاص: ١٥٢.

في أيام خلافته عليه السلام على كافة المستويات فكانت أيامه زاهرة بالعدل والإنصاف حتى وصل الأمر أن عدوه في أمان من إنصافه وعدله عليه السلام .

ومن هنا تأتي العدالة التشريعية في مناهج الأنبياء كذلك فلا يحصل أي فرد أو أي جهة على امتيازات لذاته فإنّ نصوص دين الله لا تعترف بأي مقاييس تجعل لبعض الأفراد امتيازات على حساب الآخرين وعلى هذا الأساس العادل وضع الله القوانين وجعل العقاب والثواب فيقول في الحديث القدسي: «خلقت الجنة لمن أطاعني ولو كان عبداً حبشياً وخلقت النار لمن عصاني ولو كان سيّداً قرشياً»[١] .

فلا فرق بين أعجمي وعربي ولا بين أبيض وأسود إلّا ما يفرق به أحدهم نفسه فيبعدها عن العدالة أو يقربها منه. فمن كان أكثر التزاماً بهذا المبدأ (الأتقى) يكون له الامتياز بمعنى القرب والأولوية.

وأيّ ميزان آخر يكون زائفاً لأنّه يخالف السنن التي وضعها الله تعالى.

ثالثاً: أجمع المسلمون قاطبة على تطبيق العدل ورفض الأبعاد القومية والتعصبات الجاهلية، وهذه القاعدة لا يختلف فيها اثنان لأنّها من روح الشريعة السماوية التي تحث على العدل وتأمر بالسوية.

رابعاً: العقل: مما استقلّ به العقل هو الحسن والقبح ولا شكّ أنّ العدل بين أفراد الأُمّة في كل مجالات حياتها هو أمر حسن. ولا يرد

(١) زبدة التفاسير ٣: ٢٨٢.

أهل العقل على رئيسهم وهو العقل لأنّه دليل قائم بنفسه وحجته ذاتية. وبهذا الدليل تتحقق الأدلة الأربعة على النظرة الشيعية للقوميات.

وقد شدد الإسلام الحرب على ظاهرة التمييز بين البشر وأمر بالتواضع وقد كره النبي ﷺ أن يكون الإنسان مميزاً بين أبناء جنسه وقد ربّى ﷺ المسلمين على ذلك.

ففي ذات يوم خرج المسلمون بصحبة الرسول محمد ﷺ في سفره ومعه شاة فقام أحدهم وقال: علي ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها، وقال ثالث: عليّ طهيها. فقال النبي ﷺ: «عليّ أن ألقط لكم الحطب». فقالوا: نحن نكفيك. فقال ﷺ: «عرفت أنّكم تكفوني ولكن الله عزّ وجلّ يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن ينفرد من بينهم فقام ﷺ يلقط الحطب لهم»(١).

يعطينا هذا الموقف درساً في تربية النفس ومفهوماً عملياً من مفاهيم السيرة النبوية التي جاء بها النبي الأكرم ﷺ في نبذه لكلّ تمييز بين أبناء الجنس البشري وقومياته والكلّ لديه على حدّ سواء في واقع الإسلام الحنيف.



(١) ميزان الحكمة ٢: ١٣١٠.

التكافل الاجتماعي في المنظور الشيعي

التكافل الاجتماعي في المنظور الشيعي

تبنّى الفكر الشيعي مبدأ التوازن الاجتماعي والتوصيات الإسلامية لسدّ حاجات المحتاجين في المجتمع الإسلامي في إطار من الودّ والرحمة يشدّ بعضهم بعضاً كما يقول الحديث الشريف: «المؤمن للمؤمن بمنزلة البنيان يشدّ بعضه بعضاً»[١].

والتكافل الذي يعنيه الإسلام هو وقوف البعض إلى جانب البعض لرفع مستوى حياتهم المادية وله مظاهر متنوعة ولم يقتصر على مظهر واحد ليتحقق المجتمع المثالي في كلّ عصر وفي كلّ جيل لأنّ الهدف منه إقامة نظام اقتصادي يغطي متطلبات المجتمع المالية لينقذ الإنسانية من معاناة الظلم والاضطهاد الذي كان سائداً قبل الإسلام وفي الوقت الذي يحترم المنهج الإسلامي الملكيات المتعددة يضع للفقير حقاً معيناً في أموال المالكين ضمن تفاصيل. تبرز مدى اهتمام الإسلام بضروريات المسلمين عامة والوقوف إلى جانبهم في المعترك المادي في دنيا الحياة بعدة طرق وأساليب ومن تلكم الطرق التي سنّها المشرّع الإسلامي:

(١) بحار الأنوار ٥٨: ١٥٠.

أولًا: الخمس:

وهو فريضة مالية شرّعها الله على عباده في موارد مخصوصة لتكون صورة من صور التكافل الاجتماعي الذي يريده الإسلام ويحرص على تطبيقه حيث يجعل من الغني والفقير مجموعة واحدة يتحسس البعض منهما بما يحيط بالآخر من العوز والحاجة.

فالفقير يشعر بهذا العطف من الغني ولا بدّ له يوماً ما أن يقدر هذه العواطف ليقف إلى جانبه فيما يبتلى به من القضايا التي يحتاج فيها إلى من يساعده فيها وبذلك يكون المجتمع يداً واحدة بغضّ النظر عن الأفراد والقوميات وما يتميز به الأفراد من فوارق عرقية ومذهبية[١].

وهذا الذي يحرص الإسلام على تطبيقه لربط الغني بالفقير فلا يتركه يعاني ويلات الفقر بل يبقى مواكباً مسيرته الحياتية يتحسس مشاكله المالية ويفكر فيه ويأخذ بيده ليدفع عنه شبح العوز والفاقة.

وبذلك تتصل الحلقات التي يتكون منها هذا المجتمع بما يحتوي عليه من جنسيات متعددة ومذاهب عديدة وآراء مختلفة.

ثانياً: الزكاة:

وهي كذلك ضريبة مالية شرعها الله تعالى على المال الذي يحصل عليه الإنسان وفرضها الشارع الأقدس لخلق التوازن وتنظيم الاقتصاد

(١) الإنفاق في سبيل الله: ٤١.

وترتيب الحياة بشكل متكافئ بلا تخمة ولا حرمان بل حدّ وسط بين هذين الشبحين المرعبين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ولو أنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقير يحتاج ولاستغنى بما فرض الله له وأنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلّا بذنوب الأغنياء»[1].

وقد أكّدت الآيات والروايات على إخراجها مقترنة بالأمر بإقامة الصلاة وفي أكثر من عشرين آية وفي أحاديث عديدة. جاء ترتيبها بعد الصلاة مقدمة على الصيام.

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «عشر من لقي الله عزّ وجلّ بهنّ دخل الجنة: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وأجل، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله، واجتناب كلّ مسكر»[2].

ومن خلال هذا الفرض العبادي (الزكاة) ينشد الفرد إلى المجتمع ليتحسس بأحاسيس أفراده من الضعفاء والمعوزين فيمد لهم يد المساعدة يبعد عنهم شبح الفقر وآلام الجوع.

---

(١) جامع السعادات ٢: ٩٦.

(٢) الخصال/ الشيخ الصدوق: ٤٣٢.

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ علة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء لأنّ الله تعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[1]، في أموالكم إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين النفس على الصبر مع ما في ذلك من أداء الشكر لنعم الله والطمع في الزيادة مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة والحثّ لهم على المواساة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين»[2].

والذي يستفاد من خلال هذه الرواية المباركة أنّ الله سبحانه في الوقت الذي يريد من عبده أن يتقرب إليه ويعرج إليه بصلاته لأنّ الصلاة معراج المؤمن ولتسبح نفسه في الرحاب الأعلى إضافة لذلك أراد منه أن لا ينقطع عن المجتمع ويبعد عنه فعليه أن ينزل إلى معترك الحياة ليعمل ويقدّم من نتاج عمله إلى من أنهكهم الفقر وبذلك يكون قد جنّب الفقير ويلات الحرمان وما يجرّه العوز عليه من إرهاصات قد تخرجه من وضعه الطبيعي فيجرم في حقّ الآخرين. وقد شرع الإسلام الزكاة اختباراً لأصحاب رؤوس الأموال هل هم يشكرون خالقهم لما أنعم عليهم من فضله بالثروة بإنفاقها على غيرهم لحكمة يعلمها.

وهل يشكر الفقراء خالقهم بما حباهم به من تشريع هذه الفريضة لسدّ حاجاتهم وأراد الإسلام من خلال هذه الفريضة العبادية تهذيب

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.
(٢) وسائل الشيعة ٦: ٥.

النفس الإنسانية وإبلاغها أقصى مرتبة من مراتب الكمال عن طريق تنزيهها مما علق بها من أدران صاحبها المتخم في مستوى المعيشة على حساب المحرومين من أبناء جنسه متناسياً وعد الله تعالى له أنّه يخلف له ما أنفقه في سبيله.

والزكاة دعم إسلامي إجباري للطبقة المحتاجة وجعل الإسلام الالتزام بتقديم هذا الدعم من ضروريات الدين وأحد الأركان التي بني عليها الإسلام. بحيث قرنها بالصلاة وحكم على منكرها بالكفر.

وقد أمر الله تعالى المسلمين بدفع الزكاة في مواضع كثيرة ولم ترد في القرآن آية تدعو إلى إقامة الصلاة إلّا مقرونة بالدعوة إلى إيتاء الزكاة. فالزكاة والصلاة دعامتان متينتان بني عليهما الإسلام لقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾[1].

ولا تحصل للمسلم أخوته الدينية للمسلمين إلّا بأدائهما لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ﴾[2].

والزكاة تطهر النفوس المؤمنة من الذنوب ومن أرجاس البخل والدناءة والقسوة والأثرة والطمع وغيرها من الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والعدوان والفتن والحروب وتزكي النفس وتنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية لتكون أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١.

والزكاة ليست إحساناً فردياً أو تشريفاً شخصياً بل هي ضريبة إجبارية شرعها الإسلام ليكون المجتمع الإسلامي متكافئاً بين الطبقات العليا والسفلى فلو كانت الزكاة إحساناً فردياً لتحقق فيه الذلّ والهوان للمحتاجين أمّا إعطاء الإمام أو من يمثله للمحتاجين من غير سؤال منهم ولا منة في العطاء فليس فيه إذلال بل معونة كريمة وسدّ حاجة مع حفظ ماء وجه المؤمن وإعزازه.

وفلسفة تشريع الزكاة كان لحكمة حكيمة من الله عزّ وجلّ لعباده الفقراء لتوازن الحالة الاجتماعية في المجتمع المسلم مضافاً إلى جعلها من ضروريات الدين ودعائم أركانه.

ثالثاً: الكفارات الواجبة:

فقد جعل الإسلام لمحو بعض الذنوب التي ليس فيها حقّ شخصي لأحد كالحنث باليمين والإفطار في شهر رمضان طريقة هي التصدق بالمال مساعدةً للمعسرين وتحرير الأرقاء بما فيها كفارة الإخلال بواجبات الحجّ غير الأركان الأساسية توزع على الفقراء وكذلك فدية الصيام وكفارة الظهار.

والإسلام لم يجعل مكفرات الذنوب القيام بالعبادات فلا تكلف النفس عناءً ولا جهداً ولكنه جعلها متضمنة لمعنيين الأول نفسي والآخر اجتماعي أمّا الأول فهو أن يشعر المذنب بحرمانه من شيء من ماله وهو مفطور على حبه أو تكليفه عقوبة شخصية فيها حرمان وصبر كالصوم والثاني هو بذل جزء من المال لنفع المجتمع بدافع الرغبة في تكفير

الخطيئة ومحوها وهو نوع من الغرامة المالية يستفيد منها المحتاجون ويحرر بها الأرقّاء في عهد كان الرقيق فيه كثيراً.

وهذا كلّه في مجال الذنوب المتعلقة بحقوق الله ومخالفة أوامره فيها وليس فيها حقّ لأحد من الناس فإنّ حقوق الناس كالالتزامات المترتبة على العقود وأموال الغير وما قد يسببه الإنسان لغيره من أضرار مادية ومعنوية فلا سبيل إلى إسقاطها بالكفارات بل لا بدّ من أدائها إلى أصحابها أو تنازلهم عنها ومسامحتهم بها.

رابعاً: الإنفاق في سبيل الله واجباً كان أو مستحباً:

فالإنفاق ينمي المال ويزيده بل هو تجارة مع الله كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[1].

والإنفاق ينمي المال كما تنبت الأرض الزرع وقد ضرب مثلاً سبحانه في تقريب عملية الإنفاق وحصول البركة بقوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

والإنفاق عبارة عن القرض والله تعالى يضاعف لمن يقرضه بقوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1].

وفي آية أخرى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[2].



(١) سورة الحديد، الآية: ١١.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٧.

المنظور الشيعي في وحدة المسلمين

المنظور الشيعي في وحدة المسلمين

إنّ أول من دعا إلى وحدة المسلمين هو القرآن الكريم وجسده الرسول الكريم ﷺ ثمَّ أهل بيته الطاهرين عليهم السلام وسار على هذا النهج شيعتهم ومن والاهم على مرّ العصور والأيام وانطلاقاً من ذلك يرى الشيعة من أولويات عقيدتهم اتفاق المسلمين ووحدة كلمتهم ونبذ الخلافات الهامشية والفرعية التي تؤثر على جوهر العقيدة الحقة والإيمان الواقعي.

ومن المسائل المهمة في عصرنا الحاضر مسألة الاختلاف بين فرق المسلمين ومن البديهي أنّ هذه المسألة ليست جديدة في دنيا المسلمين وإنّما عرف المسلمون النزاع والتخاصم حول المسائل الكلامية والفقهية منذ القرن الأول ولم يغب الاختلاف الفرقي منذ ذلك الوقت.

ومما يغيض أعداء الإسلام هو توحد المسلمين واجتماع كلمتهم وتآلفهم في مذهبهم وعقيدتهم وقد أكّد الرسول الأكرم ﷺ على الأُخوّة بين المسلمين وتوحيد صفوفهم فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «المسلم أخو المسلم وهو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه»[1].

(١) الفصول المهمة في تأليف الأمّة: ١٠.

فالواجب الإسلامي يُحتّم على الأُمّة أن تجمع شملها وتوحد قلوبها وتترك خلافاتها وهذا شرط أساسي في إعلاء كلمة الإسلام والمسلمين.

والأُمّة في المنظور الشيعي أُمّة واحدة كما أعلن القرآن ذلك.

وقد أشارت الآيات القرآنية صريحة إلى هذا الجانب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3].

وقد أخرج في تفسير نور الثقلين عند ذكر هذه الآيات أحاديث مستفيضة نذكر نماذج منها:

في تفسير علي بن إبراهيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾. قال: الشعوب العجم، والقبائل العرب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وهو ردّ على من يفتخر بالأحساب والأنساب.

وفي القرآن الكريم مجموعة من الآيات الشريفة تحكي الأخوة الإسلامية والألفة بين المسلمين وإنّهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه

---

(١) سورة الأنبياء عليهم السلام، الآية: ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

بعضاً وهم رحماء بينهم مثلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى تجمعهم خيمة التوحيد وعمود النبوة وأوتاد الإسلام ومن تلكم الآيات:

قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿... بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ...﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[٦].

وإلى جانب هذه الآيات توجد كوكبة من الأحاديث الشريفة في وصف التراحم بين المؤمنين والتعاطف فيما بينهم.

قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

تحابوا أولا أدلّكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[١].

وقال ﷺ: «الدين النصيحة».

قلنا لمن؟

قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٢].

وقال ﷺ: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يدٌ على من سواهم فمن أخفر مُسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[٣].

قال النبي ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والتولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله»[٤].

وقال الإمام الصادق عليه السلام لجماعة من شيعته: «اتقوا الله وكونوا أخوة بررة متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين تزاوروا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[٥].

وقال ﷺ: «المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[٦].

وفي حديث آخر: «أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً

---

(١) مستدرك الوسائل ٨: ٣٦٢.
(٢) ميزان الحكمة ٤: ٣٢٧٨.
(٣) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣١٤.
(٤) الأخلاق/للسيد عبد الله شبر: ٨٨.
(٥) الوافي ٥: ٥٤٧.
(٦) شرح نهج البلاغة ١٠: ٣٩.

الذين يألفون ويؤلفون وأبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان»[١].

وعن باقر علوم النبيين عن آبائه الخلفاء الراشدين عن جدّهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حديث طويل قال: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين جيران الله جلّ جلاله في داره فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم: ماذا كان عملكم فصرتم به جيران الله في داره؟ فيقولون: كنا نتحاب في الله ونتزاور في الله عزّ وجلّ قال: فينادي مناد صدق عبادي خلوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله بغير حساب»[٢].

وعن عبد المؤمن الأنصاري قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله الجعفري فتبسمت إليه.

فقال عليه السلام: «أتحبه»؟

قلت: نعم وما أحببته إلّا لكم.

فقال عليه السلام: «هو أخوك والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه ملعون ملعون من اتهم أخاه ملعون ملعون من غشّ أخاه ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من استأثر على أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٦٨: ٣٨٣.
(٢) وسائل الشيعة ١٦: ١٧٠.
(٣) بحار الأنوار ٧١: ٢٣٧.

وقال ﷺ: «ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

فقيل: من هم يا رسول الله؟

فقال: «هم المتحابون في الله»[١].

والأخبار في هذا المضمار متواترة والصحاح متظافرة وإذا رجعت إلى أحاديث الفريقين رأيت الصبح قد أسفر لذي عينين بكشف قناع أهل العصبية والجاهلية والتنديد بهم لكي يرجعوا إلى رشدهم وإلى الإيمان الحقيقي الذي يجسده فعل المسلم الصحيح والواقعي ومن لم يجسده فقد خرج عن ربقة الإسلام ودخل في حزب الشيطان وأصبح من الملعونين بصريح القرآن الكريم.

وما تلك الروايات إلّا دليل قاطع وبرهان واضح على أنّ الإسلام الحنيف يدعو إلى رص الصفوف وعدم البغضاء بين المسلمين وغيرهم لأنّ الفرقة تمزق الصفوف وتشتت الكلمة وتضعف الأُمّة فلا بدّ للمسلمين أن يلتفتوا إلى عمق المؤازرة الأخوية والصلة الحميمية بين أفراد الأُمّة الإسلامية بمختلف المذاهب والقوميات.

والإسلام بجوهره يقف إلى صف الناس ويحامي عن الإنسانية ولا

---

(١) الفصول المهمة/ للسيد شرف الدين: ١١.

يرضى بالاعتداء مطلقاً ولا سيما ونحن نعيش على مشارف منعطف خطير يحدق بالأُمّة المسلمة ويجعلها على شفير الهاوية.

فلا بدّ أن ترجع الأُمّة إلى ضميرها.

ولا بدّ أن ترجع الأُمّة إلى يقظتها.

ولا بدّ أن ترجع الأُمّة إلى دينها.

ولا بدّ أن ترجع الأُمّة إلى علمائها.

ولا بدّ أن ترجع الأُمّة إلى الصالحين من رجالها.

فالعداوة والبغضاء بين المسلمين من أخطر الأمراض وإنّ من أحسن الطرق للتعايش السلمي أن يسالم الإنسان الآخرين من أبناء نوعه ومعتقده.

فإنّ البر سياسة سماوية يستقر بها الأرض ومن عليها بهدوء وهناء.

يقول أحد العلماء: إنّ التأثير الشديد من الشخص علامة على عدم نضجه الكامل فإنّ كثيراً ما يتفق أن لا يكون في الحقيقة أي تحقير أو إهانة فيما يوجب له التأثير بالنسبة إليه[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحقد مثار الغضب»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «من أطرح الحقد استراح قلبه ولبّه»[3].

---

(١) تحقيق في المشاكل الأخلاقية النفسية: ١٥.

(٢) غرر الحكم: ٢١.

(٣) غرر الحكم: ٦٦٦.

وقال عليه السلام: «خلو الصدر من الغلّ والحسد من سعادة العبد»[1].

والإسلام في بعض الموارد لا يبيح الصفح والإغماض عن بعض الأعمال حيث أنّه جعل حفظ النظام نصب عينيه وعدّ الجزاء ضرورياً لازماً فيما إذا كان العمل السيء الشخصي من نوع التعدي والتجاوز على شؤون المجتمع والإخلال بالأمن الاجتماعي كموارد (الحدود) دون (القصاص والديات) فإنّها من حقوق الناس المباح أخذها وتركها والحدود من حقوق الله تعالى.



(١) غرر الحكم: ٣٩٩.

مواقف الشيعة من السلطات الحاكمة

مواقف الشيعة من السلطات الحاكمة

تنقسم السلطات الحاكمة في نظر الشيعة إلى قسمين: السلطة الدينية والزمنية.

السلطة الدينية:

يرى الشيعة أنّ السلطة الدينية لا تتمثل إلّا في الشخص المنزّه من الخطأ والزلل وهو الإمام المعصوم عليه السلام ابتداءً من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الاثني عشر عليهم السلام من بعده انتهاءً بالإمام المهدي (عج) ونوابه في غيبته الصغرى ويليهم الفقهاء من الإمامية وهم العلماء المجتهدون الأُمناء على شرع الله المبين الذين لا يحكمون إلّا بما يريده الله تعالى بدليل قول الإمام الصادق عليه السلام: «فأمّا من كان من الفقهاء صائناً نفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه».

وما ورد عن الإمام المهدي (عج): «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجتي عليكم»[1].

ويشترط في كلّ واحد من هؤلاء الأعلام شروط لا بدّ من توفرها لكي يكون مهيئاً لقيادة الأُمّة الإسلامية وهي:

---

(١) هداية الأُمّة ١: ٣٣.

البلوغ: وهو من أكمل خمس عشرة سنة من السنين القمرية.

العقل: بأن يكون ذا عقل متكامل لا يعتريه الجنون؛ إذ يرفض مذهب أهل البيت عليهم السلام أن يتقلد زمام الأُمّة من يكون في عقله أدنى شيء.

الإيمان: ببأن يكون صحيح الاعتقاد مفارقاً للبدع إمامياً اثنا عشرياً ولا يكفي ولاؤه لبعض الأئمّة دون بعض.

العدالة: وهي الاستقامة في جادة الشريعة الإسلامية المقدسة وعدم الانحراف عنها يميناً وشمالاً بأن لا يرتكب معصية - صغيرة كانت أم كبيرة - بترك واجب أو فعل محرم من دون عذر شرعي.

الذكورة: فلا يجوز للمرأة أن تكون مرجعاً للتقليد بدليل سيرة المشرعة ولأسباب فسلجية ونفسية واجتماعية.

طهارة المولد: بأن يكون مولوداً بصورة مشروعة فلا يكون ابن الزنا مرجعاً للتقليد.

الحرّية: وقد اختلفوا في شرط الحرية في مرجع التقليد على قولين أرجحهما عدم الاشتراط.

الاجتهاد: فلا بدّ أن يكون مرجع التقليد مجتهداً مطلقاً كان أو متجزياً في المسائل التي اجتهد فيها.

الحياة: ولا بدّ من شرط الحياة فلا يجوز تقليد الميت ابتداءً.

الأعلمية: اشترط فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مرجع التقليد أن يكون أعلم من غيره ولهم دليلهم على ذلك.

ترك الإقبال على الدنيا: لا بدّ أن يكون مرجع التقليد منزهاً عن الانهماك في طلب المنافع الدنيوية والتحلي بما يبعده عن المزالق التي لا تليق بمن يكون مرجعاً لأحكام الشريعة وقدوة للناس.

الضبط: ولا بدّ أن تكون ذاكرة مرجع التقليد وحافظته سليمتين بحيث لا يكون نسيانه أكثر من الطبيعي الذي يحدث لكل الناس.

السلطة الزمنية:

رؤية الشيعة لها أنّها لا تمت إلى الدين بصلة كدولة الأُمويين والعباسيين والبويهيين والفاطميين سابقاً وكهذه الدول التي نعيشها في عصرنا الحاضر فإنّها ليست لها علاقة بالمنهج الديني والقوانين الإسلامية وإن ادعت أنّها تحكم بما أنزل الله تعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم ﷺ فإنّ الرؤية الشيعية لها وجهات نظرها الشيعة لا يرون أي بأس من قيام أي دولة زمنية في عصرنا هذا كما في العصور السابقة إذا كانت تحكم برضا الناس واختيارهم وأدّت واجبها كسلطات صالحة تحفظ الأمن والنظام وتصون لكلّ ذي حق حقه وتحصن الحدود من الاعتداء شريطة أن لا تتعرض للأديان من قريب أو بعيد.

ويدل على ما تعتقده الشيعة الإمامية قول الإمام علي عليه السلام في النهج حين بويع عثمان: «والله لأسالمن ما سلمت أُمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلّا علي خاصة».

أمّا أهل المذاهب الأُخرى فإنّهم لم يشترطوا شيئاً من ذلك بل أكثرهم يحرم الخروج على الحاكم الفاجر الجائر وإن حكم باسم الدين

مستدلين بأنّ الخروج تفريقاً لكلمة المسلمين واستبدال الخوف بالأمن بخلاف علماء الشيعة فإنّهم يرون أنّ السلطة الدينية حقّ لعلي ولأولاده وقد تساهلوا إلى أقصى الحدود مع الحاكم العادل وفضلوا غير المسلم إذا كان عادلاً على المسلم إذا كان ظالماً.

فقد اشتهر عن ابن طاووس أنه قال: (الكافر العادل أفضل من المسلم الجائر)[١].

وقال العلامة المجلسي في البحار: (الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم)[٢].

وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج عن دين الله»[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله»[٤].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٥].

والشيعة يرفضون رفضاً قاطعاً مبدأ الظلم والأذى حتى ولو كان من بقية الطوائف الأُخرى فهم رواد عدل وسلام يسالمون من سلم الناس

---

(١) الآداب السلطانية: ١١.
(٢) بحار الأنوار ٧٢: ٣٣١.
(٣) الكافي ٥: ٦٣.
(٤) المحاسن ١: ٥.
(٥) نهج البلاغة: ٥٠٠.

منهم ويتأثّرون لمن ظلم واعتدى عليه فالخط الذي يسير عليه مبدأ التشيع يلازم الثورة على الفساد والظلم ولا غرابة إذا كان اضطهاد الشيعة هو الشغل الشاغل لكل حاكم جائر لأنّ التشيع موئل يلوذ به كل مضطهد ومحروم وينضوي تحت لوائه كل ثائر في سبيل الحق المهدور.

يقول الأُستاذ جورج جرداق في كتابه (علي والقومية العربية): (علي هو الصيغة العالمية للشخصية العربية وفي شخصية ابن أبي طالب تحد كثير هو تحدي المحبة للبغضاء والبساطة للتعقيد والثورة للجمود والإنسان للتاجر والصدق للنفاق والحياة للموت حتى لكأنّه الأرض المحبة تصدق مواسمها ولا تخادع ولابن أبي طالب أشدّ من الإعصار والرعد والصاعقة على المنافقين الطامحين إلى الراحة تأتيهم كما يأتي العلف البهيمة المربوطة في الظل ومهر ابن أبي طالب القومية العربية بتوجيه السياسة لمصلحة الشعب وحده وبالتضحية والفداء في سبيل الإنسان)[١].



(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ٥: ١٠٦٦.

الاعتقاد بشرعية المعصوم عليه السلام أو نائبه الخاص حصراً

الاعتقاد بشرعية المعصوم عليه السلام أو نائبه الخاص حصراً

لمّا كانت الرئاسة الدينية والدنيوية مهمة جداً في المجتمع وعلى كافة المستويات كان لا بدّ لمن يمثلها أن تجتمع فيه صفات الكمال والفضيلة ولا يتمّ ذلك إلّا لمن عصمه الله من الزلل وهو المعصوم من قبل الله تعالى أو من ينصبه النبي صلى الله عليه وآله بأمر من الله لأنّ الغاية من وجوده عليه السلام إرشاد الناس إلى الحقّ وردعهم عن الباطل لكونه عدل القرآن حسب النص النبوي.

فلو جاز عليه الخطأ في الأحكام أو المعصية لكان كمن يطهر المكروب بمكروب مثله فلا بدّ أن يكون أفضل من رعيته علماً وخلقاً لأنّه لو لم يكن أفضل الجميع فلا يخلو إمّا أن يكون غيره أفضل منه وإما يكون مساوياً له في الفضل والأول يستدعي تقديم المفضول على الفاضل والتلميذ على الأُستاذ وهو قبيح عقلاً وشرعاً بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

والثاني ترجيح بلا مرجّح وهو عبث تعالى الله عنه جل شأنه فتعين القول بالأفضلية المطلقة.

---

(١) سورة يونس عليه السلام، الآية: ٣٥.

ولذا اعتقد الشيعة بشرعية المعصوم أو نائبه الخاص حصراً لما للمعصوم من منزلة لدى النبي ﷺ الذي نصّ عليه وثبت ذلك بالخلافة بعد الرسول ﷺ من القرآن والسنة.

أمّا ما ثبت بدليل القرآن الكريم:

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[١].

فقد نزلت في حقّ علي عليه السلام باتفاق المفسرين حين أعطى عليه السلام خاتمه إلى السائل وهو راكع في صلاته وللولاية معان عديدة والمراد منها في هذه الآية ولاية التصرف في أمور المسلمين[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣].

وهذه الآية من الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام وكان نزولها في يوم الغدير بعد نزول آية التبليغ باتفاق المفسرين والمؤرخين وحفظة السنن والآثار[٤]، ما عدا البخاري ومسلم ومن حذا حذوهما فإنّهما قالا: نزلت في يوم عرفة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) ذكر ذلك عدة من الجمهور من أهل التفسير وقادة السنن كالواحدي في أسباب النزول، والزمخشري في الكشاف، والشوكاني في فتح القدير، والشبلنجي في نور الأبصار، والنيسابوري في غرائب القرآن، والطبري في جامع البيان، وابن كثير في تفسير القرآن.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) كالحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل، والخوارزمي في مناقبه، وابن الجوزي في تذكرة الخواص، والسيوطي في الدرّ المنثور، والخطيب البغدادي في تاريخه، والحافظ وأبو نعيم الأصبهاني في كتابه ما نزل من القرآن في علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

فقد أجمع المسلمون على أنّ هذه الآية نزلت في وفد نصارى نجران وأجمعوا على أنّ المراد من لفظة (أنفسنا) غير الرسول صلى الله عليه وآله وذلك أنّ الإنسان لا يدعو نفسه حقيقة كما لا يكلف نفسه حقيقة فلا بدّ من تعدد الداعي والمدعو وعدم اتحادهما وتسالموا أيضاً على أنّ ذلك الغير هو علي بن أبي طالب عليه السلام لا غيره[٢].

وهنالك آيات كريمة نزلت في شأن علي عليه السلام تبين خلافته وأحقيته بمقام الرسول صلى الله عليه وآله ولكن نكتفي بذكر هذه الآيات الثلاث فحسب حذراً من الإسهاب والتطويل ولحصول الغاية المتوخاة.

وأمّا ما ثبت بدليل السنة المطهرة على خلافة المعصوم عليه السلام:

أولًا: حديث الإنذار:

عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٣]، دعاني

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) ذكر ذلك علماء التفسير في تفاسيرهم كالبيضاوي في تفسيره والطبري في تفسيره والخازن في تفسيره والنيشابوري في تفسيره والرازي في تفسيره والسيوطي في تفسيره وغيرهم. أُصول المعارف للقزويني والذهبي في تلخيصه وابن حجر العسقلاني في الإجابة وابن الأثير في الكامل وكل مؤرخ تطرق لذكر المباهلة.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

رسول الله ﷺ فقال: يا علي إنّ الله أمرني أن: أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّي متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبرئيل فقال: (يا محمد إنّك إلّا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك). فاصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عُساً من لبن ثمَّ اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثمَّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب.

فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نواحي الصفحة ثمَّ قال: خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة وما أرى إلّا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس عليّ بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثمَّ قال: اسقِ القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يعلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ يا علي؟ إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثمَّ اجمعهم إليّ.

قال: ففعلت ثمَّ جمعتهم ثمَّ دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما

فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء من حاجة ثمَّ قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً ثمَّ تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطلب؟ إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به. إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت - وإنّي لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأعمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنّ هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وقد تواتر نقل هذا الحديث بلفظه المذكور وبألفاظ أُخرى عن جمع غفير من أعلام الأُمّة وحفاظ الحديث[١].

وهو من أوضح النصوص الصادرة من المنقذ الأعظم في خلافة علي عليه السلام وإمامته من بعده مباشرة؛ إذ لا معنى لجعله وصياً وخليفة على أهل بيته والأكابر من بني عبد المطلب وأمرهم بالسمع والطاعة له لو لم يرد الأمانة والخلافة العامة.

---

(١) أخرج هذا الحديث أبو جعفر الإسكافي المعتزلي البغدادي في رسالة النقض على العثمانية ومحمد بن محمد بن الظفر المكي في كتابه أبناء نجباء الأنبياء. وابن الأثير في الكامل وأبو الفداء الدمشقي في تاريخه والخازن في تفسيره والطبري في تاريخه والحافظ النساب في الخصائص والحافظ الكنجي الشافعي في الكناية والحافظ السيوطي في جمع الجوامع.

ثانياً: حديث المنزلة:

أخرج أئمة الأثر وحفاظ الحديث من أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم منهم البخاري في صحاحه (كتاب المغازي غزوة تبوك) عن مصعب بن سعد عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك فاستخلف علياً فقال له: «أتخلفني في الصبيان والنساء»؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس نبي بعدي»[١].

وهذا الحديث متواتر مقطوع بصحته وصدوره عن الرسول الأعظم[٢].

وهذا الحديث فصيح اللفظ بيّن المعنى لا غرابة فيه ولا تعقيد يثبت كلّ ما للنبي ﷺ من رتبة ومقام وإمارة وسيادة لعلي عدا ما أخرجه الاستثناء وقد أنزله ﷺ من نفسه منزلة هارون من موسى بن عمران ولم يستثن من جميع المنازل إلّا النبوة والاستثناء دليل الهدم بلا شكّ.

ومن البين الذي لا مراء فيه أنّ أظهر منازل هارون من موسى وزارته له وخلافته عنه واشتراكه في الأمر معه قال الله سبحانه وتعالى حاكياً عن

---

(١) أصل الشيعة وأُصولها للشيخ كاشف الغطاء: ٤٠.

(٢) أخرجه كل من مسلم في صحيحه بأسانيد عديدة، والحاكم في المستدرك في الصحيحين، والترمذي في صحيحه وابن ماجة في سننه والشافي في خصائصه والذهبي في تلخيص المستدرك والبغوي في مصابيح السنة وإمام الحنابلة في مسنده وأيضاً ابن الأثير في تاريخه الكامل والمتقي الهندي في كنز العمال والمحبّ الطبري في الرياض النظرة، وابن حجر العسقلاني في الإصابة والشبلنجي في نور الأبصار والسيوطي في تاريخ الخلفاء.

نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾(١).

فعلي عليه السلام على هذا النص خليفة الرسول في قومه ووزيره وشريكه في الأمر على سبيل الخلافة لا النبوة وأفضل أُمّته وأولاهم به صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً فله عليه السلام على الأُمّة جمعاء فرض الطاعة كما كان لهارون بالنسبة إلى أمّة موسى عليه السلام.

ثالثاً:

حينما كرّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم راجعاً من حجته الأخيرة حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة وصل إلى مكان يقال له (غدير خم) وذلك اليوم يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة وبينما هو كذلك إذ هبط عليه الأمين جبرائيل فقال مخاطباً إياه: «يا محمد إنّ الله يقرئك السلام ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٢)». فعندها أمسك النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المسير وأمر المتقدم بالرجوع إليه والمتأخر باللحوق به وكان المسلمون الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آلافاً مؤلفة زهاء مائة ألف أو يزيدون(٣).

---

(١) سورة طه عليه السلام، الآيات: ٢٩ - ٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) أخرج الحديث الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الطبري، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في تأليفه وما نزل من القرآن في علي، والحافظ أبو سعيد السجستاني في كتاب الولاية وأبو إسحاق الثعلبي في تفسير الكشف والبيان والقاضي الشوكاني في تفسير فتح القدير والشيخ سليمان القندوزي في الينابيع وشيخ الإسلام ابن =

فلمّا اجتمعوا لديه والتفوا جميعهم حوله في تلك البيداء والمكان القفر وكان وهج الشمس شديداً للغاية بحيث الرجل منهم يقمط رجليه من الحماوة، أمر ﷺ بالدوحات فقمت كهيئة المنبر فرقى ﷺ علياً فخطب القوم ووعظهم زهاء ساعتين ثمَّ أخذ بيد علي عليه السلام وقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أُمّهاتهم»؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثمَّ أمر ﷺ بمبايعته فأقبل القوم يبايعونه ويهنئونه بالأمر وفيهم الشيخان أبو بكر وعمر ولم تزل قولة الأخير مروية وصداها في سجلات القوم وذلك حين أقبل يخط رقاب الحاضرين يخاطب علياً قائلاً: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن ومؤمنة أو (مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة)[١].

وتعتقد الشيعة بعصمة الإمام الذي يتولى شؤون الأُمّة فلا بدّ أن يكون معصوماً من الزلل في القول والعمل؛ لأنّ المقصود منه جمع الأُمّة على الحق وصدّها عن الباطل، فلو جازت عليه المعصية ومخالفة الحقّ لم تطمئن النفوس بإرشاداته لجواز أن يكون مخطئاً فيها، ومن الذي يضمن للأُمّة براءته من الخطأ في أفعاله وأقواله، ولكن إذا كان معصوماً من الذنوب ومبرءاً من العيوب أمنت الأُمّة وأيقنت بالصواب.

= ماجة الحمويني في فراق السبطين ونظام الدين القمي النيشابوري في تفسير السائر الدائر وجلال الدين السيوطي في الدر المنثور وكثير من عشرات المصادر من فطاحل علماء أهل السنة في كتبهم المعتبرة نقلاً عن كثير من الصحابة.

(١) التفسير الكبير للرازي ٣: ٦٣٦.

هذه هي الرؤيا التي يراها المذهب الجعفري بشرعية حكم المعصوم أو نائبه الخاص حصراً إضافة إلى الدليل الوجداني والمتمثل بأنّه لم يؤثر عن أحد من الأئمة عليهم السلام أنّه زلّ في يوم من الأيام في قول أو فعل بل إنّ كلّ منهم كان تجسيداً للقرآن الكريم رغم الجهود الجبارة التي بذلها أعداؤهم لتشويه صورهم الجميلة في أذهان الناس. وترى الشيعة الإمامية لزوم توفر أمّهات الفضائل في المعصوم ومنها:

١ - التقدّم في الإسلام.

٢ - العلم والتفقه في الحلال والحرام.

٣ - الجهاد في سبيل الله.

٤ - الزهد في الدنيا.

ولا شكّ أنّ هذه الفضائل الأربع كلها مجتمعة في علي عليه السلام على أكمل وجه ومتفرقة في شذاذ من الصحابة.

وتعتقد الشيعة أنّ الإمام بعد علي بن أبي طالب عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام بنصّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»[1]. ثمَّ الإمام الحسين عليه السلام ثمَّ ولده الإمام علي بن الحسين عليه السلام ثمَّ الإمام محمد الباقر عليه السلام ثمَّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام ثمَّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام ثمَّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ثمَّ الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ثمَّ الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ثمَّ الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ثمَّ الإمام

(١) تذكرة الفقهاء ٤ : ٥٢٢.

الثاني عشر الحجة المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام ، بنصّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «الحسين ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة تساعهم قائمهم»[1] ، بنص ثابت من كلّ إمام سابق على من بعده.

هذا الخط الذي يسلكه الشيعة يرونه هو الخط الذي يسلك بالأُمّة إلى شاطئ الإيمان التام والاطمئنان به دون غيره من الطرق. وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام بمثابة السلسلة الذهبية المرتبطة بالرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم المتصل بالله تعالى بواسطة وحي السماء جبرائيل عليه السلام .

فهم عبارة عن النور المتلألئ المنبثق من نور الله تعالى الذي ينير الدرب للأُمّة ويهديها إلى جادة الحق والصواب.



---

(١) الرسائل العشر: ١٠٦.

آداب الدفاع عن النفس

آداب الدفاع عن النفس

من جملة المفاهيم والقيم الأخلاقية التي التزم بها الشيعة في الجهاد المقدس الدفاع عن النفس حينما يلتحم القتال بين الفريقين لا البدء به بل هو في الحقيقة وسيلة لدفع العدوان وهذا من مميزات الشيعة في سياستهم السلمية والحربية بل الإسلام يدعو إلى السلم والسلام كما نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[2].

وفي بعض المواقف يكون صد العدوان واجباً لكي يتحقق السلام والاستقرار كما قاتل النبي محمد ﷺ كذلك وقد كان مأموراً به من عند الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

ومن مبادئ سياسة الشيعة في الحروب أنّهم لم يبدأوا بحرب قط، فالحروب والغزوات التي قامت في عهد الرسول الأعظم ﷺ كلّها كانت دفاعية ولم يكن الإسلام بصورة عامة يذهب إلى الكفار ليشن عليهم الحرب جزافاً واعتباطاً كما أنّه لم يذهب بحرب إلّا بعد الصبح حتى أنه في غزوة ذات السلاسل حينما تمكن المسلمون من الكفار ليلاً لم يهجموا عليهم وأبى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك.

وقد مكث النبي ﷺ بضع عشرة سنة يبشر بالدعوة إلى الله من غير قتال صابراً على شدة إيذاء العرب له بمكة واليهود بالمدينة فكان يأتيه أصحابه ما بين مضروب ومجروح يشكون إليه حالهم ويطلبون منه السماح برد العدوان بالمثل فيقول لهم النبي ﷺ: اصبروا لأنّي لم أؤمر بالقتال حتى أن بعض الصحابة قتل جراء العذاب منهم كسمية أمّ عمار بن ياسر التي عذبها آل المغيرة مع زوجها على إسلامهما ليرجعا عن دينهما فلم يرجعا وماتت أمّ عمار تحت العذاب فكانت الشهيدة الأُولى في الإسلام.

ولم يكتف الكفار بمحاولاتهم لقتل النبي ﷺ بل ألّبوا عليه القبائل الجاهلية لإبطال دعوته والقضاء عليها حتى أذن الله للنبي بالقتال فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾[1].

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

وإذا أمعنا النظر في النصوص القرآنية التي أمر الله فيها المسلمين بالقتال نجد أن الحربّ وسيلة لدفع العدوان والدفاع عن النفس وهناك آداب للدفاع عن النفس حين بدء القتال وهي:

١ - حرمة الغدر والخيانة:

من منظور الإسلام وسياسته الإنسانية على مختلف المستويات ومنها المستوى الحربي أنّه يأمر بعدم الغدر والخيانة فالغاية عنده لا تبرر الوسيلة أياً كانت؛ لأنّ القيم الأخلاقية هي الرؤية المثالية الواقعية للإسلام وتطبيقها من الأولويات في نهجه العام حتى في ساحات القتال.

والغدر في الحرب منهي عنه مع أنّه كثيراً ما يُسرّع الانتصار العاجل كما هو الحال في السياسة العالمية المعاصرة المبنية على الغدر غالباً وهو مناقض للعدل الإسلامي الساري المفعول في كل الأحوال.

فقد ورد عن معلم الشيعة الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم»[1].

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سألته عن فرقتين من أهل الحرب لكل واحدة منهما ملك على حدة واقتتلوا ثمَّ اصطلحوا ثمَّ إنّ أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزو معهم تلك المدينة.

---

(١) وسائل الشيعة، باب١٣، حديث:٩.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا أن يأمروا بالغدر»(١).

وعن الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمَّ يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله لا تغلوا ولا تمثّلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلّا أن تضطروا إليها، وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلامه الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه»(٢).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على منبر الكوفة: «أيّها الناس لولا كراهة الغدر لكنت من أدهى الناس إلا أنّ لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ألا وإنّ الغدر والفجور والخيانة في النار ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»(٣).

إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على ذلك.

والذي يظهر من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الغدر والفجور ينتهيان إلى الكفر فإذا بلغ الإنسان إلى مرحلة الكفر فلا شافع ولا شفيع له ومصيره إلى النار لذلك كان الأئمة عليهم السلام بدءً من أمير

---

(١) الكافي ٢: ٣٣٧٢.
(٢) الكافي ٥: ٢٧.
(٣) نهج البلاغة الخطبة: ٢٠٠، من كلام له في معاوية.

المؤمنين عليه السلام وانتهاءً بالحجة المنتظر (عج) لا يبدءون بقتال ولا يغدرون بالعباد مسلمين كانوا أو من الكفار.

فالمناهج الإسلامية قائمة على أساس الفضيلة وتعميم الخير للصالح العام فالقتل في المنظور الشيعي في سبيل الله فضيلة سواء كان قتلاً للعدو أم قتل العدو للمؤمن كلاهما للمؤمن فضيلة أمّا الرذائل فلا تنقلب فضيلة.

ولو تصفحنا تاريخ العالم الحربي لا نجد مثيلاً للتاريخ الحربي الإسلامي لا تأريخنا المعاصر عصر الحروب والتدمير ولا تاريخ العالم الماضي ولا تاريخ أي مذهب أو دين آخر.

ولعلنا لا نجد في تاريخ الدنيا ولا في قاموس أيّة سياسة على وجه الأرض مثل هذا الالتزام العميق بالعدالة وتحريم الغدر والخيانة بين الإنسانية جمعاء.

٢ - حرمة قتل النساء والأطفال:

ومن الآداب الإسلامية التي أمر النبي صلى الله عليه وآله بالالتزام بها في ساحات الحرب هو حرمة قتل الأطفال والنساء والأطفال لما للإسلام من نظريات أخلاقية في شؤون الحرب وعدم نزوله إلى المستويات الوضعية التي اتصف بها غيره من الأنظمة والقوانين وأنّ لهذين الصنفين من البشر حرمة خاصة لا بدّ من مراعاتها حتى في أحلك الظروف بخلاف الأحكام الوضعية التي لا ترى لهما حرمة. والإسلام أقرّ حماية المرأة والصبيان في كل المجالات فهو الحامي والمدافع عنهما.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سُئِلَ عن النساء كيف سقطت الجزية عنهنّ ورفعت عنهن، فقال: «لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلّا أن يقاتلن وإن قاتلت أيضاً فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللاً فلما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتلهن في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولى ولو أقنعت أن تؤدي الجزية لم يكن قتلها فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها ولو منع الرجال فأبوا أن يؤدوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلّت دماؤهم وقتلهم أيضاً؛ لأنّ قتل الرجال مباح في دار الشرك والذمة وكذلك المقعد من أهل الشرك والذمة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب فمن أجل ذلك رُفعت عنهم الجزية»[1].

هذا غيض من فيض من النصوص والأمثال التي تؤكد على حماية المرأة واحترامها ورعايتها وعلى العكس من ذلك نجد المبادئ المادية جعلت من المرأة سلعة رخيصة شأنها شأن الخمر والمخدرات فعلى العالم أن ينصف الإسلام من خلال هذا النص الواحد فكيف به إذا اطّلع على سائر الأمثال والنصوص - فهل الإسلام حامى عن المرأة أم حاربها؟

وهل المادية حمت المرأة أم خلعتها؟

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٢.

٣ - عدم البدء بالقتال:

لمّا أباح الإسلام الحرب والقتال بل ربما أوجبه في بعض المواقف الضرورية كالدفاع عن بيضة الإسلام والدفاع عن النفس وغيرها من المواقف أحاطه بسياج من الرحمة لم تبلغها مدنية القرن العشرين وقد سنّ الإسلام أحكاماً وأوجب مراعاتها لتخفيف ويلات القتال وهي خير ما عرف من قوانين الرحمة بالإنسان ومن تلك القوانين عدم البدء بالقتال والنهي عن أن يبدأ المسلمون بالقتال مع الكفار الذين لم يسلّوا سيفاً على المسلمين ولم يُخرجوا المسلمين من ديارهم ولم يظاهروا على إخراجهم وفي الوقت نفسه يجيز قتال الكفار الذين بدأوا الحرب على المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ودليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾[1].

وقد كانت سيرة النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام على عدم البدء بالقتال إلّا في حالات الضرورة القصوى وذلك يستدعي نظر الإمام المعصوم عليه السلام حصراً.

روي عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدونا فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنّكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى

---

(١) سورة الممتحنة، الآيتان: ٨، ٩.

يبدءوكم حجة أُخرى لكم فإذا هزمتموهم فلا تقاتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل»[١].

ومن وصيته عليه السلام في الإعداد النفسي والعسكري إذا أراد العدو البدء بالقتال أنّه قال: «إنّ زحف العدو إليكم فصفوا على أبواب الخنادق فليس هناك إلّا السيوف ولزوم الأرض بعد إحكام الصفوف ولا تنظروا في وجوههم ولا يهولنكم عددهم وانظروا إلى أوطانكم من الأرض فإن حملوا عليكم فاجثوا على الركب واستتروا معاً بالترس صفاً محكماً لا خلل فيه فإن أدبروا فاحملوا عليهم بالسيوف فإن ثبتوا فاثبتوا على التعابي وإن انهزموا فاركبوا الخيل واطلبوا القوم ولا قوة إلّا بالله وإن كانت - وأعوذ بالله - فيكم هزيمة فتداعوا وكبروا وثقوا بالله وبما توعد به من فرّ من الزحف وبكتوا من رأيتموه ولى واجمعوا الألوية واعتقدوا وليسرع المخفون في ردّ ما انهزم من الجماعة وإلى المعسكر فلينفر من فيه إليكم فإذا اجتمع أطرافكم وآبت أمدادكم وانصرف فلكم فالحقوا الناس بقوادهم واحكموا تعابيهم وقاتلوا واستعينوا بالله واصبروا»[٢].

٤ - الرفق بالأسير:

لقد سنَّ الإسلام قانون الرفق بالأسير والتعامل معه على أساس الرحمة والإنسانية ولا يجوز هدر دمه بعد وقوعه في الأسر وإن كان مشركاً.

---

(١) أبواب الجهاد باب: ٣٣/ حديث: ١.

(٢) مستدرك الوسائل ١١: ٨٣، ب٣٢/ح١٢٤٨٧.

وقد كان هذا النهج واضحاً في سيرة النبي محمد ﷺ أيام حياته وفي خلافة أمير المؤمنين عليه السلام حينما كانا يتعاملان مع الأسرى فقد كان يوصي ﷺ أصحابه بحسن معاملة الأسرى بقوله: «أحسنوا أسراهم». وكان كثيراً ما يعفو عنهم ويطلق سراحهم أو يطلقهم بفدية كما فعل ﷺ في معركة بدر الكبرى.

وكذلك فعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حينما عمّمه ابن ملجم بالسيف على رأسه وجاءوا به أسيراً إلى أمير المؤمنين فبعد أن عاتبه التفت إلى ولده الحسن عليه السلام فقال: «أطعمه مما تأكل واسقه مما تشرب فإن عشت فأنا أولى بالعفو عنه وإن متُّ فضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تجوز المثلة ولو بالكلب العقور»[1].

وقد حثّت الشريعة الإسلامية على تكريم الأسرى عامة وجعلت ذلك من البر الذي هو علامة الإيمان وقد أثنى سبحانه وتعالى على الذين يحسنون إلى الأسرى بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[2].

ولقد أعطى الإسلام للإمام صلاحية التمييز بين إطلاق سراح الأسرى دون مقابل أو فداؤهم بالمال حسبما تقتضيه المصلحة بدليل

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ٢٦: ٢٣٠.

(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٨، ٩.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[1].

وعن طلحة بن زيد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «كان أبي يقول: إنّ للحرب حكمين إذا كانت الحرب قائمة ولم تضع أوزارها ولم يثخن أهلها» إلى أن قال: «والحكم الآخر: إذا وضعت الحرب أوزارها وأُثخن أهلها فكل أسير أخذ على تلك الحالة فكان في أيديهم، ما رآه فيه بالخيار إن شاء منّ عليهم فأرسلهم وإن شاء فاداهم أنفسهم وإن شاء استعبدهم وصاروا عبيداً»[2].

وهذا هو المشهور بين العلماء الإمام هو المسؤول الأعلى في المجتمع أو من يوكله فيكون مخيراً بين ثلاثة أُمور حسب المصلحة العامة وليس أحدها القتل:

أولاً: المنّ وهو الإطلاق بدون فداء.

ثانياً: الفداء: وهو الإطلاق بإزاء مال.

ثالثاً: الاسترقاق: وهو أن ينوي عليهم التملك فيصيروا عبيداً.

هذا كلّه مضافاً إلى الرفق بالأسير والإحسان إليه في طعامه وشرابه ولباسه وكلّ حاجاته الضرورية وإذا جردنا الأسير عن الخصوصية فيشمل الأسير في الحرب وكل مسجونٍ مظلوم في سجنه.

بل المسجون ظلماً الواجب إطلاقه على الفور وليس فقط إطعامه

---

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ٤.

(٢) الوسائل أبواب الجهاد باب ٢٣.

وسقيه. ففي صحيحة زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إطعام الأسير حقّ على من أسره وإن كان يُراد قتله من الغد فإنّه ينبغي أن يطعم ويسقى ويرفق به كافراً أو غيره»[١].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٢]. قال: «هو الأسير».

قال: «الأسير يطعم وإن كان يقدم للقتل». وقال: «إنّ علياً عليه السلام كان يطعم من خُلّد في السجن من بيت مال المسلمين»[٣].

وبذلك اقتبس القانون الدولي من المناهج الإسلامي السياسية والحربية حسن معاملة الأسرى وعدم مسهم بأذى فلا يجوز قتلهم ولا جرحهم ولا إساءة معاملتهم أو تحقيرهم إذا سلموا أنفسهم باختيارهم.

ونستنتج من خلال هذا العرض السريع أنّ الإسلام أول من دعا إلى التراحم والإنسانية قبل أن تسن القوانين الوضعية بآلاف من السنين وهو الدين الذي جاء يحمل كلّ أنواع العطف والشفقة قبل أن تنشأ منظمات حقوق الإنسان ودعاة الحرية والدفاع عن الأسرى بسنين طوال وهذا هو سرّ خلود الإسلام وخلود رسالته التي جاء بها الرسول الكريم وطبقها أهل بيته من بعده وسار على نهجها شيعتهم المؤمنون.

---

(١) الوسائل أبواب الجهاد حديث ٣٢.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨.
(٣) الوسائل أبواب الجهاد حديث ٢.

٥ - عدم إتلاف النبات وقتل الحيوان.

ومن جملة المبادئ الأساسية التي شرعها الإسلام في سياسته الحربية هو عدم إتلاف النبات وقتل الحيوان عند دخول المحاربين إلى بلاد الكفر وهذه من مختصات المباني الإسلامية التي نص عليها الدستور القرآني انطلاقاً من الإنسانية العالمية التي ينظر إليها المشرع وليس من الغريب أن يعتني المشرع بها إلى هذه الدرجة لأنّه دين الرحمة والإنسانية والعطف والشفقة.

وقد أكد النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام على هذا المبدأ بأكثر من رواية صدرت عنهم فيها:

أولاً: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمَّ يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلّا أن تضطروا إليها وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله»(١).

ثانياً: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ النبي ﷺ كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزّ وجلّ في خاصة نفسه ثمَّ في أصحابه

---

(١) التهذيب ٦: ١٣٨، نقلاً عن الكافي ٥: ٢٧.

عامة ثمَّ يقول: اغز بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهق ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوه بالماء ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تحرقوا زرعاً لأنّكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلّا ما تبين لكم من أكله...»[1].



(١) الوسائل ١٥: ٥٩.

نبذ العنف وعدم استخدامه ضد الآخرين

نبذ العنف وعدم استخدامه ضد الآخرين

لم يتخذ الشيعة الملتزمون بمنهج أئمتهم العنف أُسلوباً للتعامل مع الآخرين ولم يكن في يوم من الأيام أُسلوب الشيعة أسلوباً عنيفاً وجافاً بل على العكس من ذلك هم يحاربون هذا المبدأ ومن يتمسك به لأنّهم يرونه من مخلفات الجاهلية ويعتبرونه إرهاباً ضدّ الضعفاء.

والعنف في المنظور الشيعي ليس من شيم الرجال الأصلاء بل هو في الحقيقة سلاح الجبناء وقد حذر الإسلام من أن يتصف المسلم بهذه الصفات.

وقد ضرب النبي ﷺ الرقم الأول في التاريخ كله في الرحمة ونبذ العنف بما لا مثيل له في تاريخ أي عظيم وقائد.

وقد ابتنت السياسة الشيعية على سياسة الاحتواء والجمع والإغضاء والتشجيع حتى يعود المسلمون والمسالمون الشرفاء إلى قوة ظاهرة لا يمكن قهرها إلّا بإذن الله ولا سيما ونحن في عصر فتح الكفر أفواهه من كلّ جانب لابتلاع الإسلام والمسلمين وهضمهم وإبادتهم.

ومنذ أن جاءت رسالة الرسول الأعظم ﷺ وهي تحمل كل معاني التودد والإخلاص للآخرين وعدم التجبر عليهم ونبذ العنف عن البشرية جمعاء بغض النظر عن دياناتهم وقومياتهم وقد نصت الرسالة المحمدية

على مبدأ التساوي بين الأفراد وأنّهم في مقياس واحد كلّ منهم يحترم حقوق الآخرين.

والذي يقرأ تاريخ التشيع على مدى العصور يرى أنّ التعامل في الرؤية الشيعية قائم على عدم انتهاك الحرمات وصون دماء المسلمين وأعراضهم شريطة أن يتشهد الشهادتين فلا يحقّ لأحد بعد ذلك أن يعتدي عليه أو يبخس حقه، وهذا قلما يوجد نظيره في الأُمم والشعوب قديمها وحديثها ولم يستثنِ من ساكنهم من غير المسلمين وحفظ مواثيقهم وعهودهم على مدى التاريخ.

وهكذا كانت سيرة علي عليه السلام نبراساً للأجيال وأملاً للمظلومين والمستضعفين وكبحاً لجماح المستكبرين والطغاة فلم يفضل غنياً على فقير ولا أبيض على أسود ولا عربياً على أعجمي ولا شريفاً على وضيع.

وكان من صلاحياته عليه السلام باعتباره الحاكم الإسلامي الأعلى أن يعفو عن بعض المجرمين إذا كانت هناك مصلحة أهمّ من مصلحة تنفيذ العقوبة.

والأهمية في ذلك تكون نابعة من روح الشريعة الإسلامية التي مصدرها القرآن الحكيم والسنة المطهرة وإجماع الفقهاء والعقل.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أول من استعمل علمه في هذه المصالح ويتضح ذلك في تاريخه بكثير من الموارد بعفوه عن بعض المجرمين من تنفيذ العقوبات الإسلامية بحقهم قضاء لهذه الأهمية وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه الموارد:

عفوه عليه السلام عن مروان بن الحكم:

كان مروان بن الحكم من رؤوس النفاق وكان ممن جهز وشجع الجيش مع عائشة وطلحة بن الزبير في وقعة الجمل ضد أمير المؤمنين وكان قد أشعل نار الحرب وحرض أهل البصرة على أن يشقوا عصا المسلمين.

هذه الحرب التي راح ضحيتها عشرات الألوف من الجانبين. ومع ذلك كله فقد عفا أمير المؤمنين عليه السلام عن مروان هذا بعد أسره. وأسر مالك الأشتر يوم الجمل مروان بن الحكم فعاتبه عليه السلام وأطلقه(١). وهكذا كان ديدن أهل البيت عليهم السلام العفو والصفح عمن ظلمهم وأساء إليهم.

عفوه عليه السلام عن عائشة:

وعائشة أيضاً كانت باغية بنص القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾(٢).

ولمّا كانت عائشة قد قاتلت في حرب الجمل خليفة الرسول الشرعي والمنصوب من عند الله ورسوله والمنتخب من الناس إذاً فهي باغية وحدّ البغي والباغية القتل في الإسلام وكانت عائشة تتوقع ذلك من أمير

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ٥٠ من ج٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

المؤمنين عليه السلام ولذا لمّا رأت أمير المؤمنين بعد ما انتصر عليها قالت في استعطاف: (ملكت فاسجح) يعني اعف بفضلك ولا تنفذ حكم الإسلام الأولي بل استفد من صلاحية العفو التي لك فعفا عنها أمير المؤمنين عليه السلام للمصلحة الإسلامية العامة آنذاك وإن كانت سبباً لإيجاد حرب طاحنة أبادت الكثير من المسلمين.

عفوه عن عبد الله بن الزبير:

كان عبد الله بن الزبير من المبغضين لعلي وآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي كان المحرض لأبيه من أجل إشعال حرب الجمل وقد روي فيه عن علي قوله: «ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله»، وكان يبغض بني هاشم ويلعن ويسب علياً(١).

هذا الرجل الباغي في منطق الإسلام الذي جرد سيفه في وجه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أظهر أشدّ أنواع العداء لأهل البيت عليهم السلام لكن مع هذا أمير المؤمنين عليه السلام عفا عن عبد الله بن الزبير في وقعة الجمل.

عفوه عن أسرى صفين:

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه»(٢).

---

(١) سفينة البحار ٢: ٣٣.
(٢) المناقب ٢: ١١٤.

عفوه عن موسى بن طلحة:

قال في البحار: وجيء بموسى بن طلحة بن عبد الله فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «قل استغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرات» فقالها فأخلى علياً عليه السلام سبيله.

ثمَّ قال له: «اذهب حيث شئت وما وجدت لك في معسكرنا من سلاح أو كراع فخذه واتق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك»[١].

أعاد أموال الخوارج إليهم:

لما قتل علي أصحاب النهروان جاء بما كان في معسكرهم فمن كان يعرف شيئاً أخذه حتى بقيت قدر ثمَّ رأيتها بعد قد أخذت[٢].

هكذا كان الإسلام وهكذا كانت الشيعة تسير على خطى أميرها أمير المؤمنين عليه السلام بالسماحة واللطف والرفق ونبذ العنف.



(١) بحار الأنوار ٤١: ٥٠.
(٢) المناقب ٢: ١١٤.

علي عليه السلام عنوان العدل والعدالة

علي عليه السلام عنوان العدل والعدالة

العدل كلمة تهفو إليها النفوس البشرية على اختلاف أديانها ومعتقداتها ومبادئها والعدل منهج وقانون من الصعب تطبيقه وتنفيذه في المجتمع لاصطدامه بنزعات الأقوياء الذين لو كانت العدالة موجودة لما كانوا أقوياء وهذا الاسم مبغوض لدى الظالمين الذين يزاحم العدل مصالحهم ومنافعهم وأرباحهم.

والعدل لا يتحقق إلّا إذا تحققت دعائمه في شخص العادل الذي يريد تحقيقها وهي:

أولًا: قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى:

وهذه الدعامة لا يمكن أن توجد لدى الإنسان إلّا أن يقصد بقوله وعمله وجهاده وجه الله وابتغاء مرضاته من غير نظر إلى مغنم أو جاه أو لقب أو مظهر أو تقدّم أو تأخر ليرتفع عن نقائص الأعمال ورذائل الأخلاق ويتصل اتصالاً مباشراً بالله تعالى ويمكن تسميته بالإخلاص لله وجوهره هو ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والرضا بالقضاء والتوكل والنعمة والتواضع وتوقير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والتعجب وترك الحسد والحقد والغضب.

وأمّا التقوى فهي عبارة عن جعل النفس في وقاية وأصلها الخوف من الله تعالى.

ولذا أمر القرآن بها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

ومن خطبة لأمير المؤمنين يحثّ الناس على التقوى قال عليه السلام: «... اعلموا عباد الله أنّ التقوى حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه إلّا بالتقوى تقطع حُمة الخطايا وباليقين تدرك الغاية القصوى.

عباد الله، الله الله في أعزّ الأنفس عليكم وأحبها إليكم فإنّ الله قد أوضح لكم سبيل الحقّ وأنار طُرقه فشقْوَة لازمة أو سعادة دائمة فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء وقد دللتم على الزاد وأمرتم بالظعن وحُثثتم على المسير فإنّما أنتم كركب وقوف لا يدركون متى يؤمرون بالسير ألا فما يصنع بالدنيا من خُلقَ للآخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يُسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه»(٢).

ومن خطبة له في صفات المتقين: «عباد الله إنّ من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف مزهر مصباح الهدى في قلبه وأعد القرى ليومه النازل به فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد نظر وأبصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة: ٢٨٩ - ٢٩١.

سُهلت له موارده فشرب نهلاً وسلك سبيلاً جدداً فقد خلع سبيل الشهوات وتخلى من الهموم إلّا هماً واحداً انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع خماره واستمسك من العرى بأوثقها ومن الجبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأُمور من إصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع إلى أصله مصباح الظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفّاع معضلات دليل فلوات»[١].

ثانياً: حزم وعزم فوق كل عاطفة واتجاه:

وهذه الدعامة من لوازم تطبيق العدالة وتنفيذها على أرض الواقع لأنّ العاطفة واللين لا يحققان شيئاً في مساحة العدل وديمومته بالعمل فالقوة وصناعة القرار من مقومات العدالة وتحقيقها هو عبادته في حقّ المجتمع وبث الطمأنينة بين أفراده وهذا هو الهدف من ترك العاطفة واستعمال الحزم والعزم ومن أصعب القوانين التي تطبق على الأرض فإذا تمّ ذلك سهل ما دونه من قواعد المجتمع.

هذا هو الإطار الإصلاحي الذي يجعل العدل حياً فاعلاً ويمتد عمره إلى سنين طوال تنعم البشرية في ظلّه وهو ثورة ضدّ الظالمين والمستبدين من أفراد الإنسانية جمعاء.

(١) نهج البلاغة: ١٣٨ - ١٤٠.

وليس هذا لأنَّ الإسلام عنيف شديد لا يحبّ الرحمة والعطف بل الموقف الصارم هو تحقيق المفاهيم الإنسانية على أرض الواقع المعاش؛ فالرحمة واللين لا بدّ منهما، والقوة والحزم لا بدّ منهما وهذا هو عين التوازن الذي يحدد للأُمّة مصيرها الرائد بين أشخاصها.

الثالث: عدم الخوف من المشاكل المتوقعة:

وهذه الدعامة الثالثة أيضاً من لوازم تطبيق العدالة والعامل الأساس في مفهومها الجوهري الذي يريده الله سبحانه ومن الواضح أنّه يحتاج جرأة لا خوف معها لأنّ كلّ ما يأمر به الإسلام هو عادل وقد أُشكل بأنّ العقوبات الإسلامية قاسية ولا تتفق مع الروح المدنية لأنّها مثلاً حكمت بالرجم والجلد وقطع اليد الخ.

والجواب عن هذه الشبهة بأنّ جميع الشرائع والقوانين السماوية والوضعية غايتها المحافظة على الضرورات الخمسة وهي النفس والعقل والمال والنسل والعرض، وعدم التفريط بهذه الخمس والاعتداء عليها والتنازع وسفك الدم وفقدان الأمن وانتشار المفاسد والشرور والقوانين الوضعية لم تستطع المحافظة عليها بما يقطع دابر الفساد بالمحافظة على الحرية الشخصية وهكذا بقية المفاسد فالحرية الإسلامية تحدد بحدود وضوابط لكي تحافظ على صحة الفرد وأمنه وعلى المجتمع عامة فيأتي دور العدالة دور المصلح والمعالج لكل مرض من أمراض المجتمع المتفشية في الإنسانية عامة.

وقد توفرت هذه المؤهلات كلها في شخص الإمام علي عليه السلام فهو الإيمان كله والتقوى المتجسدة وهو أقوى رجل - بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يستطيع السيطرة على أعصابه وعواطفه ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وهو الحقّ المحض الذي لا يشوبه شيء ونستطيع أن نقول أن تطبع نفسية الإمام علي عليه السلام بالعدالة والتزامه بها هو السبب الوحيد الذي فرق عنه ذوي الأطماع والأغراض وأخاف ذوي المناصب والكنوز التي كانت عصارة دماء المسلمين وهدد الفسقة والفجرة الذين استوجبوا إقامة الحدود الإلهية وقطع آمال المستغلين وأماني حواشي السلاطين وأوضح دليل على عدله عليه السلام قصته مع أخيه عقيل.

ولولا عدل أبي الحسن لما انظم طلحة والزبير إلى عائشة للمساهمة في تكوين حرب الجمل وهو القائل: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحقّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[1].

وهو القائل: «إنّي والله ما أحثكم على طاعة إلّا أسبقكم إليها ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها»[2].

قال ابن أبي الحديد عن ابن عباس أن علياً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «ألا إنّ كل قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود إلى بيت المال فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء

---

(١) نهج البلاغة ٤: ١٦.

(٢) المصدر السابق ٢: ٩٠.

ولو وجدته قد زوج به النساء وفرّق في البلدان لرددته إلى حاله فإنّ في العدل سعة ومن ضاق عليه الحقّ فالجور عليه أضيق»[١].

وهو القائل: «أحاجّ الناس يوم القيامة بسبع: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقسم بالسوية، والعدل في الرعية، وإقامة الحدود»[٢].

ومن كلام له عليه السلام لما تولى الخلافة بعد عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال من جملة ما قال: «. . .وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير للأبرار وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا فإنّ عندنا مالاً نقسم فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا أعجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إلّا يكن إلا حضر إذا كان مسلماً حراً أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم»، ثمَّ نزل[٣].

وعن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين رهط من الشيعة فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٩.
(٢) البحار ٤١: ١٠٧.
(٣) نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٧: ٣٦.

الرؤساء والأشراف وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور إلى أفضل ما عوّدك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ويحكم، أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام؟ لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير وما رأيت في السماء نجماً والله لو كانت أموالي لساويت بينهم فكيف وإنّما هي أموالهم...»(١).

ويدخل عمر بن العاص على أمير المؤمنين عليه السلام ليلة وهو جالس في بيت المال وكان الإمام ينظر في أُمور المسلمين وحسابهم ودواوين العطاء وعنده سراج يضيء بنوره وقد اشترى زيت السراج من بيت المال؛ لأنّ السراج عائد لمصالح بيت مال المسلمين(٢).

فلما دخل ابن العاص وأراد أن يتحدث مع الإمام في بعض الشؤون أطفأ الإمام السراج وجلس في ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس في الضوء بغير استحقاق.

وبنى عليه السلام موضعاً تحبس فيه الإبل والغنم الضالة ويقال له: (المربد) فكان يعلفها علفاً لا يسمنها ولا يهزلها من بيت مال المسلمين فلمن أقام عليه بينة أخذها وإلّا أقرها على حالها.

وتظهر الحكمة في تحديد كمية علف الحيوانات برعاية الحيوان والمحافظة عليه من جهة ورعاية بيت المال والاهتمام به من جهة أُخرى.

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ١٦٨.

(٢) المناقب المرتضوية: ٣٦٥.

وقال العلامة المجلسي: إنّ أمير المؤمنين كتب إلى عماله: «أدقّوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا عني فضولكم واقتصدوا قصد المعاني وإياكم والإكثار فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار»(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكداً وكرر عليّ القول مردداً فأصغيت إليه سمعي فظنّ أنّي أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي فأحميت له حديدة ثمَّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجّ ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرّني إلى نارٍ سجرها جبارها لغضبه أتئن من الأذى ولا أئن من لظى(٢)؟

فالعدل أثقل شيء على الإنسان المنصف وأوسع الأشياء في التناصف وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام صلب في الله تعالى وأداء الأمانة التي استأمن الله الولاة عليها وهذه السيرة المرضية اتخذها من نبيه صلى الله عليه وآله وأسوته صلى الله عليه وآله له عليه السلام يقول أحد الشعراء:

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

فلا يوجد عدل أو إنصاف إلّا في شخص النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام فهو رائد العدالة

(١) بحار الأنوار ٤١: ١٠٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٢.

الإنسانية وأميرها وقائدها ولا تأخذه في الله لومة لائم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: «كفي وكف علي في العدل سواء ويدي ويد علي بن أبي طالب في العدل سواء»(١).

«وإنّه أوفاكم بعهد الله تعالى وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله ضربة»(٢).

ومهما سطره القلم عن عدالة علي عليه السلام فهو القليل القليل في حقّه عليه السلام وإنّما اقتبسنا صوراً مشرقة عن عدله وكيف كان يطبقه ليتناسب مع موضوع الكتاب ومنهجيته.



(١) مناقب علي بن أبي طالب/ ابن المغازلي: ١٢٩.
(٢) فرائد السمطين/ الحمويني ١: ١٧٦.

الرؤية الشيعية للإرهاب

الرؤية الشيعية للإرهاب

مفهوم الإرهاب:

المعنى اللغوي: هو الإخافة الشديدة وكلمة الإرهاب لاتينية كما جاء في المصادر.

ومفهوم الإرهاب في المعنى الاصطلاحي هو: استخدام القوة والتنكيل من أجل أغراض سياسية وبما يلحق ضرراً بالأبرياء وهو مصطلح حديث في الفقه السياسي ويدلّ على العمل العنيف ضدّ أشخاص أو مؤسسات أو هيئات أو تجمعات بطريقة الاغتيال أو التفجير أو أي طريقة أُخرى تلحق ضرراً بالأبرياء دون أن يملك الشخص أو الجهة التي تقوم بهذا العمل أية مصداقية أو أي مبررات شرعية ضدّ أشخاص أو مؤسسات أو دول وبذلك تكون مسألة الإرهاب شكلاً من أشكال استعمال القوة ووجهاً من وجوه العنف غير المشروع.

ويعتبر الإرهاب مصطلح يطلق على الأوضاع غير الشرعية بخلاف الوضع الشرعي فإنّه يحمل مبرراته وحيثياته في ذاته فلا يكون إرهاباً في المصطلح.

وربما يتبادر إلى ذهن البعض من المتصيدين بالماء العكر وبدافع التوهين من شأن الإسلام المحمدي أن يحملوا قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ

لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

ليدل على معنى الإرهاب ولكن هذا التوجه مخالف للحقيقة مطلقاً؛ لأنّ الآية الكريمة إنّما تحث المسلمين على الاستعداد والتهيؤ للدفاع عن النفس وبما يخيف العدو الذي يعمل جاهداً على قتالهم.

والله تعالى يريد من خلال الآية المباركة أن يحشد المسلمين القوة التي تستطيع منع العدوّ من التفكير بالهجوم عليهم كأُسلوب وقائي لمنع الحرب المضادة أو للضغط على العدو ليقبل بالانفتاح عليهم من موقع الإسلام أو من موقع الإيمان بما عندهم.

والإرهاب الذي يتحدث عنه القرآن هو أن تكون لديك قوة تستطيع بها مواجهة من يريدون أن يفرضوا عليك قراراتهم وكلّ ضغطهم بواسطة ما يملكون من قوة ولا شكّ أنّ هذا المعنى يختلف تماماً عن المعنى المصطلح للكلمة.

وقد حرم الإسلام والمذهب الجعفري بالخصوص أكلّ مؤسسة تمول المنظمات الإرهابية وعصابات العنف والرعب وقطاع الطرق والمنازل واختطاف الطائرات والقطارات وتحرم الانتماء إليه والعمل فيها وأخذ الأُجرة منها وتعتبر ذلك سحتاً ومن تناول من ذلك المال فإنّه يأكل في بطنه ناراً.

وبما أنّ استخدام مثل هذه القوة غير شرعية فهي تعتبر حرباً لله

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

ورسوله ومن يحارب الله ورسوله فإنّ جزاؤه نار جهنم خالداً فيها وساءت مصيراً وهناك جملة من الآيات التي تدل على ذلك منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[4].

وإلى جانب الآيات القرآنية هناك نصوص نبوية في تحريم الإرهاب والتخويف ونهي المسلمين عنه حتى تواترت الأخبار في ذلك.

يقول النبي ﷺ: «من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا ظلّ إلّا ظله»[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩ - ٣٠.
(٥) الكافي ٢: ٣٦٨.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون النار»(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من آذى مؤمناً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «قال عزّ وجلّ ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن»(٣).

وعنه عليه السلام قال: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»(٤).

والرؤية الشيعية للإرهاب ترى أنّ كل ظلم في مجالات الحياة هو نوع من أنواع الإرهاب وتحرم على المسلمين المشاركة فيه في جميع المجالات لأنّها لا تقوم على إيجاد ما يوجب رفاه الشعب بل تقوم على إرهاق الشعب وسلب إمكانياته.

وقد ابتلي المجتمع الإسلامي منذ أقدم العصور بسياسة الإرهاب والظلم والجور والمخاوف والأخطار وقد تجلى ذلك في دور الحكم الأُموي الرهيب الذي فتح بالظلم والجور والطغيان على مصراعيه وجرت الويلات وأخذت تتلاحق المأساة والبغي والعدوان بغير حقّ حتى أصبح يعامل القوي منهم الضعيف بالظلم والجور.

---

(١) الكافي ٢: ٣٦٨.
(٢) جامع السعادات ٢: ٢٢١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) جامع السعادات. . .

والإرهاب من أخطر المفاسد على المجتمعات الإنسانية في جميع الأقاليم والقارات وكلّ بقعة من بقاع العالم بأجمعه.

وهذا الداء الخطير إذا لم يعالج بالطرق الصحيحة فإنّه يوجب دمار الأُمّة وهلاكها واضطهاد شعبها وسحق مقدساتها وتحطيم معنوياتها.

فهناك فرق بين الإرهاب وبين الدفاع عن النفس المشروع الذي لا يلحق ضرراً بالأبرياء.

والإسلام يحترم حرية الناس بالمستوى الذي يحترمون فيه حرية الآخرين فإذا أساؤوا إلى تلك الحرية كان للمضطهدين الحقّ في تأكيد حقهم في الحرية والحياة بالدفاع عن النفس.

والدستور الإسلامي يرفض العنف ضد الأبرياء رفضاً قاطعاً ولا يقبل بأي مبرر لاستخدامه لأنّ اضطهاد البريء ظلم له والإسلام ضد الظلم بخلاف المصطلح الغربي للإرهاب فإنّه يمثل حركة العنف لدى الإنسان ضد الأبرياء.

فلا يوجد في القاموس الشيعي مفهومٌ يصور الإرهاب مجرداً عن الظلم والعنف والقسوة والغلظة بل الإسلام بريء من المتجبرين والطغاة والظالمين الذين يسلبون الناس حقوقهم وحرياتهم ويستبعدونهم لأجل أهدافهم الشخصية.

ومن اتصف بهذه الصفات فإنّه بعيد عن روح الإسلام والمبادئ الخلقية العالية التي ينشدها الإسلام بصورة عامة والمذهب الجعفري بصورة خاصة.

ويمكن إرجاع الإرهاب إلى عصر الجاهلية الهوجاء وما لاقاه المسلمون الأوائل من أجلاف الجزيرة العربية الذين كانوا يمارسون الغلظة والقسوة فيما بينهم ليسيطر كل منهما على الآخر بحجج واهية وعندما ظهر نور الإسلام الحنيف بين ظهرانيهم أخذوا ينصبون له المكائد والأذى في صفوف المؤمنين الموحدين واستمرّ منهج الظالمين إلى يومنا هذا.

ولا يقف الإرهاب على نطاق الأفراد بل يشمل إرهاب الدولة وإرهاب الجماعات والأفراد وكل قسم من هذه الأقسام يأخذ مسيره في التعدي على الآخرين والنيل من كراماتهم وأول من ابتلي بالإرهاب والظلم هم أهل البيت عليهم السلام ابتداءً من سيدة النساء فاطمة وولديها الحسن والحسين وبعلها أمير المؤمنين ثمَّ أخذت المصائب تتوالى عليهم وعلى ذراريهم وشيعتهم من كلّ حدب وصوب لا لشيء إلّا لأنّهم على الخط الذي رسمه الله تعالى لعباده الصالحين ولو تصفحنا التأريخ لرأيناه مليء بالشواهد والأمثال على ذلك وما خفي علينا كان أعظم، بقي لدينا شيء مهم، وهو أنّ الشيعة يرون الجهاد واجباً شرعياً وأمراً مولوياً لا بدّ من الالتزام به عند تحقق شروطه وهو أفضل الأشياء بعد الفرائض.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره والله ما صلحت دين ولا دنيا إلّا به»[1].

---

(١) الكافي ٥: ١١.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من قتل في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته»[(١)].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أغزوا تورثوا أبناءكم مجداً»[(٢)].

وهذا الجهاد يسمى بالجهاد الأصغر وهو من أعظم أبواب الجنة وأركان الدين الإسلامي وقد ورد فضله في كتاب الله العزيز والأحاديث الشريفة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ...﴾[(٣)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه»[(٤)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ألا أخبرك بالإسلام أصله وفرعه وذروة سنامه»، قلت: بلى جعلت فداك، قال عليه السلام: «أمّا أصله فالصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد»[(٥)].

ويشترط في الجهاد أُمور منها:

أولاً: وجود الإمام المعصوم مباشرة وبسط يده.

ثانياً: مع عدم وجود المعصوم وجود نائبه الخاص المنصوب لذلك بالخصوص مباشرة أو بإذن منه دون مباشرة.

---

(١) الكافي ٥: ٥٤.
(٢) الكافي ٥: ٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٤) نهج البلاغة ١: ٦٧.
(٥) الكافي ٢: ٢٣.

ثالثاً: لا يجوز قتال الكفار في زمن الغيبة إذا لم يكن قصدهم السلطة على النفوس والأعراض.

رابعاً: يجب الجهاد على الحرّ والعبد والذكر والأُنثى وعلى الصحيح والمريض وعلى الأعرج والأعمى لو احتاج الدفاع إليهم.

خامساً: يحرم الغزو في الجهاد الابتدائي لأجل الدعوة إلى الإسلام في أربعة أشهر رجب، ذي القعدة، ذي الحجة، محرم.

سادساً: يحرم قتال الكفار في الحرم على الأحوط لعدم ثبوت نسخ الحرمة.



الدعوة الشيعية إلى الإسلام وتنقية العقيدة

الدعوة الشيعية إلى الإسلام وتنقية العقيدة

إنّ المنظور الشيعي في الوحدة يكمن في دعوته إلى الإسلام وتنقية العقيدة وأن السبيل الوحيد لإعادة الصف الإسلامي إلى وحدته وقوته أن لا يتخذ البعض أرباباً من دون الله وأن تطرح التأويلات البعيدة عن روح العقيدة الإسلامية للنصوص الشرعية من كتاب الله والسنة الصحيحة وأن نفهم كما فهم المعاصرون للتنزيل ويجب أن نجعل أهواءنا تبعاً لديننا ولا نجعل ديننا تبعاً لأهوائنا فنحارب أفكار فرد أو أفراد لمخالفتهم تعاليم ديننا.

وليست الدعوة إلى تقريب المذاهب الإسلامية وتنقية العقيدة دعوة إلى مذهب على حساب مذاهب أُخرى بل هي دعوة إلى تنقية المذاهب من الشوائب التي أثارتها العصبيات والنعرات الطائفية وأذكتها العقلية الشعوبية.

ولا شكّ أنّ المسلمين جميعاً مسؤولون عن أداء رسالة الإسلام ولا يتفاوتون فيما بينهم إلا بقدر فهمهم لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وليس لأحد بالغاً ما بلغ أن يحرم ما أحلّ الله وأن يحلّ ما حرّم الله، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٦.

وبعد أن كان كتاب الله وسنة رسوله مصدر العقيدة وإشعاع النور الإلهي، والانحراف عن جادة الطريق المستقيم لا يجد استجابة إلّا في بيئة جاهلة بأحكام دينها فعندئذ نجد المستجيبين لصيحة كل ناعق هم الهمج الرعاع وكلما انتشر العلم وكلما دقّ النظر قلّت فرص النجاح أمام دعوة العصبية الحمقاء والانحراف الشديد.

ولذا ينبغي على من يكتب عن الفرق الإسلامية أن لا يتأثر بروح التعصب الممقوت فتكون كتاباته شعلة وهاجة لنيران العداوة والبغضاء بين أبناء الملة الواحدة وعلى كلّ كاتب أن لا ينظر إلى من خالفه إلّا من زاوية واحدة وهي تسخيف رأيه وتسفيه عقيدته بأُسلوب شره أكثر من نفعه ومن يريد الإنصاف عليه أن لا يأخذ رأي فرقة من الفرق إلّا من مصادرها الخاصة ليكون أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ وهذا يرتكز على ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: أن يكون عرض العقيدة الإسلامية عرضاً بيّناً واضحاً ميسراً يتفق مع ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة وبيانه بأُسلوب سهل يوافق العقيدة للفطرة الإنسانية السليمة وملاءمتها لحكم العقل الناضج المفكر ومجانبتها للتعقيد الفلسفي الناشئ من خطأ الفكر وفساد الرأي.

البعد الثاني: أن يكون التعرض لبعض الشُّبه التي يكثر حولها الجدل في بعض الأوقات كتعدد الزوجات ومسألة الدقة وما شابه وبيان وجهة نظر الإسلام بهذه الموضوعات والمقارنة بين ما جاء به الإسلام وغيره من الأديان وما عليه العمل الآن في بعض الدول التي ظنّ أنّها بلغت من الحضارة ما لم تبلغه أُمّة.

البعد الثالث: إذا أراد الكاتب أن يتكلم عن الفرق الإسلامية، كالغلاة والمعتدلين، كيف نشأت وكيف تطورت فيكون معالجته بكل هوادة ولين لا يثير فتنة ولا يورث ضغينة ولا عصبية وعدم بيان فرق الغلاة وبيان سبب غلوهم في رقة من يخشى على وحدة الأُمّة من التصدع والتفرقة.

وقد أراد الله تعالى لهذه الأُمّة أن توحد كلمتها وأن لا تكون شيعاً وأحزاباً يضرب بعضهم أعناق بعض وأن هذه أُمّتكم أُمّة واحدة فكل عامل على لمِّ شملها فهو ساعٍ إلى تأليف قلوب أبنائها ومؤمن حقاً ومجاهد في سبيل أنبل غاية عني بها الإسلام وهي تأليف القلوب وتوحيد الأهداف.

أمّا الذين يورثون العداوات ويبعثون العصبيات ويفرقون بين الأخ وأخيه ويصطنعون الأحقاد والبغضاء فهؤلاء هم الذين يسعون في الأرض الفساد فواجب المسلمين المخلصين أن يقفوا لهم بالمرصاد وأن يبصّروا الأُمّة بهم ويكشفوا لهم أهدافهم وسوء غاياتهم وقد تنبّه المصلحون من المسلمين على الأضرار التي تحيق بدينهم وبلادهم من جرّاء الفرقة فقاموا ينادون بوجوب وحدة الصف الإسلامي وطرح أسباب النفرة بين أبناء الملة الواحدة والقبلة الواحدة والعقيدة الواحدة.

واتخذت هذه الدعوة طريقها على يد بعض الأفراد الذين باعوا أنفسهم لله فكانت دعوة فردية في أول أمرها تزعمها في العهد الحديث أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما.

وأمثال الإمام السيد شرف الدين الموسوي والإمام كاشف الغطاء.

ثمَّ بعد ذلك أخذت هذه الدعوى شكلاً جماعياً فكانت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي جمعت نخبة من فضلاء الأُمّة الغيورين على وحدتها الحريصين على رأب الصدع بين صفوفها فكان من أثر ذلك أن قررت مشيخة الأزهر أن تتوسع في دراسة الفقه المقارن في كلية الشريعة الإسلامية الأزهرية بحيث تتناول دراسة المذاهب المختلفة ومعرفة وجهة نظرهم في الأمور الفرعية وهذه خطوة طيبة نحو الغاية النبيلة التي يهدف إليها الإسلام وهو أن يكون معتنقوه أمّة واحدة قد تختلف في فهمها ولكنها لا تختلف في أسسها وغايتها.

ولا شكّ أنّ هذا الأسلوب من التكاتف والوحدة يقضي على أسباب الفرقة بين المسلمين ولا يفسح المجال أمام المستغلين الذين يبعثون من قبور التاريخ أسباب العداوة والبغضاء وينفخون في نار قد خمد أوارها وانطفأ لهيبها لأنّ أكثر الأسباب قد أصبحت غير ذات موضوع.

فلولا قوة الإسلام وتعاليمه وصفاء منبعه واتساق عقيدته مع الفطرة الإنسانية لحرمت الإنسانية من مزاياه وفضائله.

ولسماحة الإسلام واتساع أفقه لم يقف من الأديان السماوية السابقة له وقفة تحد أو نكران أو جحود وما كان له أن يقف ذلك الموقف لأنّه من عند الله الذي أرسل الرسل وأنزل الشرائع السابقة له فعقيدة الإسلام شقيقة للعقائد السماوية السابقة، وكلها تدعو إلى الخير وتنهى عن الفحشاء والمنكر وإنّما جاء الإسلام فاستكمل ما يحتاجه تقدم الزمن من

تطور في الفكرة الأزلية ملائماً للزمان الذي نزل فيه والأزمان اللاحقة به وقد جمعت الآية الكريمة هذه المعاني بقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾(١).

ومن هنا فقد كان فضل الإسلام على الشعوب عظيماً، لقد مدّن الإسلام كثيراً من الأمم بل ما من شعب اعتنق الإسلام إلّا وسار في مدارج الحضارة وآية ذلك واضحة في جزيرة العرب نفسها التي انتقلت بعد الإسلام إلى أُمّة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر راية العرفان والإيمان خفاقة في جميع أنحاء الأرض.

ومن المعلوم أن الفرق الإسلامية عند نشأتها كانت فرقاً سياسية وليست دينية والاختلاف بينها لم يكن اختلافاً في صلب العقيدة الإسلامية وإنّما كان خلافاً في الرأي حول طريقة الحكم واختيار الحاكم ثمَّ انقسمت إلى عدة فرق.

ومع هذا كله كان دستور الدعوة الإسلامية كله سلام وحرية واختيار لا إجبار ولا إكراه ولذلك من الحقائق التاريخية المسلم بها أن المسيحيين من العرب ظلوا متمتعين بكامل حقوقهم ولم يفرق بين تغلب المسيحية وبين المسلمين، وهكذا لا يزال المسلمون يحترمون كل الفرق والمذاهب من قريب أو بعيد انطلاقاً من تعاليم الإسلام الغراء واحتراماً لمقدسات العقائد والملل.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

ولا يمكن في يوم من الأيام لا سامح الله أن يتعرض مذهب أو عقيدة إلى الاستخفاف والازدراء من قبل الآخرين أو تشويه معتقداتهم كيف ما كانت وإنّما التخاطب على أساس الهداية والدليل الواضح الذي يأخذ بيد الإنسانية جمعاء إلى الطريق المستقيم والمحجة الواضحة.



الدولة المستقبلية في المفهوم الشيعي

الدولة المستقبلية في المفهوم الشيعي

ترتكز العقيدة الشيعية بالإمام المهدي عليه السلام على أنّه القائد المنقذ للعالم من الظلم والجور وفي ظل دولته عجل الله تعالى فرجه الشريف يتمتع العالم بالحرية والاستقلال والعزة والكرامة وينفتح الطريق أمام البشرية كافة للوصول إلى رحاب الله وشواطئ السعادة والرخاء.

وقضية الإمام المهدي مسألة يلتقي المسلمون عليها وإن حاول بعض المسلمين إنكارها ولكنها مما تواتر الحديث فيها عند المسلمين جميعاً وإن اختلفوا في بعض التفاصيل في أنّه وُلد أو بعد لم يولد.

وقد نقل المرحوم السيد محسن الأمين أنّ هناك من علماء السنة من يقول إنّه ولد ويلتقي مع الشيعة في اسمه واسم أبيه فيقول: إنّ الأخبار بخروجه متواترة والإجماع من كافة المسلمين حاصل.

وهو الحجة من آل محمد ووارث الأنبياء، والذي يحيي سنن المرسلين ويخبر عن المغيبات وهو حجة الله في خلقه، يعرفه جميع الناس ويدعو إلى الله ورسوله وهو أشبه الناس برسول الله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، من أنكره فقد أنكر الإمامة ومنكر لضرورة من ضروريات الدين وأحكامه المبين.

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «ولو خلت الأرض يوماً بغير حجة

لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»[١].

وفي حديث آخر يقول الباقر عليه السلام: «لو أنّ الإمام رُفع من الأرض ساعة لماجت الأرض بأهلها كما يموج البحر بأهله ولذا فإنّ الله تعالى يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيهم نبي أو إمام قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[٢].

تمتاز حكومة الإمام العالمية المباركة بجملة من الخصائص والصفات قلّما يتصف بها قادة العالم ومصلحيهم في دنيا الوجود ومن تلك المميزات هي:

أولاً: أنّ حكومة الإمام عالمية تملك الشرق والغرب على حدّ سواء وهو عليه السلام الوارث الحقيقي للأرض وله الحاكمية المطلقة عليه السلام.

ثانياً: الدستور الأساسي لدولته المباركة القرآن الكريم والسنة الشريفة والعمل على طبقهما ونشر أحكامهما بين الإنسانية جمعاء.

ثالثاً: زوال الخوف واستقرار الأمن والطمأنينة في ظل دولته.

رابعاً: العدالة الاجتماعية هي المعلم البارز في الدولة المهدوية بجميع نواحي الحياة فيحيي الأرض بها.

خامساً: خلوّ الناس من الرذائل والمفاسد الأخلاقية كالحسد والكذب والبغضاء وامتيازهم بالأخلاق والصدق والطيب والآداب وطهارة القلب والسلوك.

---

(١) الغيبة/لمحمد بن إبراهيم النعماني: ١٤٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

سادساً: ظهور مزايا الرجال الشريفة وإنسانيتهم الراقية القائمة على أساس المحبة والرأفة في دولته المباركة.

سابعاً: زوال الآفات المدمرة والأمراض الخطيرة.

ثامناً: خلو الناس من الفقر بل يمتاز الجميع بالثراء العريض على أثر التقدم الاقتصادي وفاعلية الأسواق العالمية وتوزيع الثروة بشكل عادل.

تاسعاً: التقدم الطبي والصحي هو الآخر من خصائص الدولة فيمتاز أبناء ذلك الزمان بطول العمر على أثر التطور العلمي والصحي.

عاشراً: بروز التقدم الصناعي والتكنولوجي على أثر تكامل العقول وانتشار العلوم الجديدة عن الإمام والتفاعل معها ببركة وجوده عليه السلام.

الحادي عشر: تمكن الإنسان في زمانه عليه السلام من الاتصال به وينظر إليه وهو في مكانه.

كما ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»(١).

وعن أبي الربيع الشامي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»(٢).

---

(١) حق اليقين في معرفة أُصول الدين ١: ٢٢٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١١٧.

الثاني عشر: تمتع الإنسانية بالعقلية الكاملة ووصولها إلى مرحلة البلوغ والتكامل وقد أشار إلى ذلك أبو جعفر عليه السلام حيث قال: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم»(١).

وإلى جانب ذلك فإنّ الأرض تظهر بركتها والسماء تظهر المعادن والخزائن وتكون من حق الأمّة كلها فيقسمها الإمام بين الناس بالسوية.

مضافاً إلى ازدياد الإنتاج الزراعي على أثر بركات السماء فتبدو الأرض كلها خضراء جميلة مليئة بالثروة الزراعية والحيوانية فتنعم الإنسانية بها.

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «تنعم أُمّتي فيه - أي: في حكم المهدي - نعمة لم ينعموا مثلها قط. تؤتي الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئاً والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول خذ»(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ويخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأُمّة»(٣).

وعن الصادق عليه السلام قال: «إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها واستغنى العباد عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة، يعمر الرجل في

(١) مكيال المكارم/للميرزا محمد تقي الأصفهاني ١: ٧٥.
(٢) مستدرك الحاكم ٤: ٥٥٨.
(٣) مستدرك الحاكم ٤: ٥٥٧.

ملكه حتى يولد له ألف ذكر ولا تولد فيهم أنثى وتظهر الأرض كنوزها حتى تراها الناس على وجهها ويطلب الرجل منكم من يصله بمال ويأخذ من زكاته لا يوجد أحد يقبل منه ذلك استغنى الناس بما رزقهم من فضله»[(١)].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا أذهب الله عزّ وجلّ عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم كزبر الحديد وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً ويكونون حكام الأرض وسنامها»[(٢)].

ويقول الرسول الأعظم: «يخرج في آخر أمّتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة»[(٣)].

وقال الإمام علي عليه السلام: «ولو قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدمها إلّا على النبات»[(٤)].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «القائم منصور بالرعب تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويظهر الله عزّ وجلّ دينه ولو كره المشركون فلا يبقى في الأرض خراب إلّا عمر وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه.

(١) الإرشاد ٢: ٣٨١.
(٢) الخصال: ٥٤١.
(٣) المهدي من المهد إلى الظهور: ٦٣١.
(٤) المهدي من المهد إلى الظهور: ٦١٢.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتها ورد كل حق إلى أهله ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(١).

وحكم بين الناس بحكم محمد صلى الله عليه وآله فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتها فلا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين».

ثمَّ قال: «إنّ دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

ولا بدّ أن ينضوي العالم بأسره تحت لواء الإسلام في دولته المباركة فيحكم بالعالم بحكومة واحدة.

وقد أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة التي لا بدّ منها قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٣).

هذا هو الوجه المشرق في ظهوره عليه السلام وما يحدث عند

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢: ٤٦٥. سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الصف الآية: ٩، وسورة التوبة، الآية: ٣٣.

ظهوره المبارك للإنسانية جمعاء ومن معطيات ظهور الإمام عليه السلام تكامل العقل الإنساني وارتقائه إلى المستوى الفكري المعقول.

ولا شكّ أنّ هذا النضوج العقلي هو أحد الأسباب الرئيسية في إقامة الدولة الواحدة في العالم وفي هذا السياق قال راسل - الفيلسوف البريطاني - في كتابه أمل الحياة البشرية: إمّا أن تكون تحت حكومة عالمية وإمّا أن تتمزق شر ممزق.

فالعالم اليوم غارق في الظلام... البشرية تحاصرها السياط من كل مكان فلا حقوق ولا من يحزنون ولا عدل ولا من يسهمون فالحضارات في هذا الوجود الرحب عاجزة عن تخفيف آلام الإنسان ولو بمقدار بوصة واحدة وكذلك لم يعد بإمكان العقول الالكترونية العملاقة أن تحلّ ملايين المعادلات الرياضية أو حل مشاكل الإنسان التي تتراكم عليه يوماً بعد يوم بدءً من الاقتصاد والسياسة وانتهاء بأزمة الأخلاق وإلغاء الإنسان.

والعلم الحديث استطاع أن يوصل الإنسان إلى سطح القمر واستطاع أن يجلب من المريخ والزهرة وبقية الكواكب صوراً ملونة زاهية الإبداع ولكنه لم يستطع أن يوصل الإنسان إلى حقيقته وأن يعرفه بنفسه وخالقه(١).

ولذا فإن أصحاب الديانات رغم الاختلاف في الأفكار والأذواق يتفقون على الإيمان بهذا النور وأنّه سيلوح في الأفق نور يخرج ويطهر

---

(١) في ظهور الإمام المهدي: ١٣٣ - ١٣٤.

الأرض من الظلم والفساد وكلّ أُمّة تطلق عليه اسماً خاصاً بها وهذه الأسماء وإن اختلفت إلّا أنّها تشير في النهاية إلى الشخصية المعدة لخلاص العالم كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(١).

فاليهود يعتقدون بظهور المصلح الذي يطهر الأرض من الفساد في آخر الزمان ويعتقدون بأنّه موسى عليه السلام.

والمسيحيون يؤمنون بعودة المسيح إلى الأرض من أجل غسل الأرض من الذنوب بماء الرحمة والسعادة والبوذيون يترنمون في معابدهم بتراتيل تطالب بوذا بالعودة إلى الأرض لخلاص أهلها من العذاب الأليم.

إذن فإنّ النفوس البشرية برمتها ترنو إلى إقامة العدالة على هذه الأرض التي يعيشها ولا يتحقق هذا إلّا في ظلّ الدولة المستقبلية للإمام الثاني عشر من آل محمد المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف. الذي نصّ على إمامته وليس بالشورى لأنّ وجوده قرآن ناطق بل لا بدّ للقرآن من قرآن ناطق يتمثل في شخص تنسجم نفسه مع نفس القرآن وهذا لا يكون إلّا المعصوم؛ لأنّه انعكاس صادق لحكم الله في القرآن الكريم وهذا يجب أن يكون في كلّ زمان ومكان وحتى إذا غاب فهناك علماء فقهاء عدول يأخذون العلم من منابعه الأصلية.

ثمَّ منهج الإسلام وشعاره: لا إكراه في الدين يوافق الفطرة التي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

خلق عليها الإنسان ولذلك نجد حكومة المعصوم تختلف عن حكومة غيره فقد كان رسول الله يسير في أحكامه وخصوصاً في الحرية التي منحها للناس وفق منطق لا إكراه ولا جبر أبداً وإنّما حرية مطلقة سائدة وحاكمة على الناس مع رحمة ورقة قلبية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

ولذا نجد الإمام علي عليه السلام كان ضد الظلم أياً كان نوعه ولم يكن ضد من يخالفه في العقيدة وهذه الصفة هي أعظم دليل على أنّ الإمامة هي نص من الله تعالى وليس بالشورى كما ابتدعت في زمن ما، هذه هي الدولة المستقبلية في المفهوم الشيعي وأسسها التي تعتمد عليها.

وحينما تقوم دولة الإمام عليه السلام لم يستخدم فيها منافعه ويظهرها إلى الناس لأنّ شأنه شأن الأنبياء لم يظهر معه قوة جبارة بحيث تسبب دخول الناس في الدين خوفاً ورهبةً أبداً ولا يستخدم أُسلوب عطاء الأموال رغبة وطمعاً في الإسلام وإنّما يعطي حريات للناس فتظهر الأرض خيراتها والناس يعمرونها وكل يعمل حسب طاقته وإمكانياته.

بقي سؤال وهو أنّه كيف سينضوي العالم تحت لواء الإسلام؟ مع تفاوت الأفكار واختلاف الأديان في شرق الأرض وغربها.

نقول: إنّ القرآن يؤكد في بعض الآيات أنّ العالم سينضوي تحت لواء الإسلام في دولة واحدة ذات ثقافة واحدة وذات لون حضاري واحد وهذا اليوم قادم لا محالة.

وكذلك ورد في الروايات والأحاديث التي جاءت عن طريق العترة الطاهرة تؤكد وقوع العالم في أيدي الحكومة الإسلامية الموحدة بقيادة ولي الله الأعظم الإمام المنتظر سلام الله عليه.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(١).

وهذه الآية واضحة الدلالة بأنّ الإسلام سوف يسيطر على الناس كافة بدليل قوله ولو كره المشركون، وفي مكان آخر ولو كره الكافرون ومن المعلوم أنّ العالم يتألف من المشركين كالمسيحية ومن الكافرين وهم الملحدون ومن دار في محورهم باستثناء المؤمنين.

ولا شكّ أنّ سبب الحروب والدمار هو الظلم والجهل فقد أكد القرآن هذه الحقيقة تأكيداً عميقاً فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٣).

وقد أثبت علماء الاجتماع وعلماء النفس بالأرقام العلمية أنّ الملاك الوحيد لبناء الدولة الواحدة في العالم هو النضوج العقلي والتكامل الفكري فكلما ازدادت البشرية نضوجاً في العقل زادت قبولاً للعيش تحت ظل حكومة واحدة ذات ثقافة واحدة وهناك كثير من الأمثلة لا داعي لسردها.

بل لا بدّ من بيان أعمدة الحكومة الواحدة فهي تعتمد على ثلاثة محاور:

المحور الأول: الاقتصاد.

---

(١) سورة الصف الآية: ٩، وسورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) سور الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

المحور الثاني: الثقافة.

المحور الثالث: التحول الطبيعي التلقائي.

وأمّا المحور الأول: فإنّ الاقتصاد هو من أهمّ العوامل المساعدة في بناء الدولة الواحدة.

أمّا المحور الثاني: فإنّ الثقافة إذا تنوعت تعددت الشعوب والأُمم تبعاً لهذا الاختلاف وقد أكد علماء الثقافة على أنّ وحدة الثقافة تلد وحدة الأُمّة والشاهد على ذلك أنّ بعض الدول العظمى تتألف من أكثر من خمسين دولة ولكنها دولة واحدة ذات ثقافة واحدة ولون سياسي واحد وبعض الدول يربو عدد سكانها على الألف مليون إنسان من مختلف الجنسيات والألوان وفي الأيام الأخيرة بدأ علماء الاجتماع وعلماء النفس يطالبون بإقامة دولة ذات ثقافة واحدة من أجل التغلب على مشاكل الإنسان وتجنب الحروب والويلات.

أمّا المحور الثالث: فيمكننا أن نأخذ الأمثال والعبر والدروس من الأنبياء العظام. فقد ظهروا عليهم السلام في القرى التي أخذ الناس يتحولون فيها تحولاً تلقائياً نحو الانتفاضة والثورة على الواقع الراكد البغيض فالنبي موسى عليه السلام ظهر في مجتمع يتململ الناس تململ السليم ويبكي بكاء الحزين من شدة البلاء وقسوة الظلم والقرآن يذكرهم بهذه الفترة قائلاً: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٩.

فقد كانوا في أشدّ حالات الحرمان وأنواع الظلم والعذاب ووسط هذا الجو التحولي انبثق نور الخلاص على جبين موسى عليه السلام فكان سبب التحول التلقائي الذي انفجر في الأمّة نتيجة الظلم والقمع والإرهاب.

وهكذا في زمن النبي صلى الله عليه وآله فإن سبب الانتصارات الساحقة التي أحرزها المسلمون إنّما هو التحول الطبيعي الذي شرح صدر الأمم للإسلام فدخلت فيه أفواجاً مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد الكفار والمشركين.

وقد أثبت علم الاجتماع والنفس العيش في ظل حكومة واحدة إنّما يعتمد على النضوج العقلي فكلما ارتقت الأمّة في سلم التكامل زادت قدرتها على توسيع ساحة المجتمع الواحد في ظل الحكومة الواحدة.

إذا عرفنا ذلك عرفنا كيف يحكم العالم حكومة واحدة مع تفاوت الأفكار واختلاف الأديان في شرق الأرض وغربها بدليل الحديث الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام: «... إذا قام قائمنا أهل البيت وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع الله بها عقولهم وكملت به أحلامهم»[1].

فإنّه يعني كل إنسان في الأرض فلا يخصّ المسلمين دون غيرهم بل العباد بصورة عامة.

فماذا تصنع هذه اليد؟

إنّها يد النعمة ويد العطاء.

---

(١) أصول الكافي ١: ٢٥.

هذه اللمسة الساحرة تجمع العقول فيتمحور في مركزه بعمق واسع فيعطي الفكر الخلاق لتكتمل به أحلامهم وتصفو نفوسهم.

هذه الرؤية الشيعية وأسس نظرتها المستقبلية المشرقة والواضحة للأجيال المسلمة وغيرها.

إنّها نظرة في أفق القرآن ورحابه المقدس.

إنّها نظرة في سنة النبي ﷺ وحقيقته الناصعة.



نماذج من وصايا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى شيعتهم

نماذج من وصايا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى شيعتهم

لمّا كان الشيعة الحقيقيون الامتداد الطبيعي لأهل البيت عليهم السلام والقاعدة الأساسية للإطار العقائدي الذي يمثلونه فقد كانوا يأخذون تعاليمهم وإرشاداتهم منهم عليهم السلام فكان لكل إمام وصايا ومواعظ يرشد بها أصحابه والشيعة عامة وهذه الوصايا تعطينا النظرة المشرقة للفكر الشيعي ومدى صفائه وأصالته وعمقه واحترامه للمذاهب والمعتقدات وكيف يربي أبناء الأُمّة على محاسن الأخلاق وسجايا الأفعال ومنهج السلوك المستقيم الذي يريده الله سبحانه ورسوله الكريم ومن تلك الوصايا ما يلي:

أولاً: ما ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام في صفة الشيعة حينما سأله همام[1] قال:

«شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله أهل الفضل الناطقون بالصواب مأكولهم القوت وملبوسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع بخعوا لله بطاعته وخضعوا إليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم واقفين أسماعهم على العلم بدينهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء رضاً عن الله تعالى بالقضاء فلولا الآجال

(١) هو أحد أصحاب الإمام وخواصه وكان من العُبّاد.

التي كتب الله تعالى لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى لقاء الله والثواب وخوفاً من أليم العقاب.

عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون وهم والنار كمن رآها فهم فيها يعذبون صبروا أياماً قليلة فأعقبهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فهجروها أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلاً يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجدون جباراً عظيماً ويجارون إليه في فكاك رقابهم هذا ليلهم فأمّا نهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء براهم خوف بارئهم فهم كالقداح يحسبهم الناس مرضى أو قد خولطوا وما هم بذلك بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم وذهلت منه عقولهم.

فإذا استقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية لا يرضون له بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ترى لأحدهم قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً على علم وفهماً في فقه وعلماً في حلم وكيساً في قصد وقصداً في غناء وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وخشوعاً في عبادة ورحمة لمجهود وإعطاء في حق ورفقاً في كسب وجلباً في حلال ونشاطاً في هدوء واعتصاماً في شهوة لا يغره ما جهله ولا يدع إحصاء ما علمه يستبطن نفسه في العمل وهو من صالح عمله على وجل يصبح وشغله الذكر ويمسي وهمه الشكر يبيت حذراً من سنة الغفلة ويصبح فرحاً بما

أصاب من الفضل والرحمة رغبته فيما بقي وزهادته فيما نفى قد قرن العلم بالعمل والعلم بالحلم دائماً نشاطه بعيداً كسله قريباً أمله قليلاً لله متوقعاً أجله خاشعاً قلبه ذاكراً ربه قانعاً نفسه محرزاً دينه كاظماً غيظه آمناً منه جاره معدوماً كبره بينا صبره كثيراً ذكره لا يعمل شيئاً من الخير رياءً ولا يتركه حياءاً أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا ألا واهاً شوقاً إليهم»، فصاح همام صيحةً فوقع مغشياً عليه فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا وصلى عليه أمير المؤمنين ومن معه(١).

ثانياً: ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام لما حضرته جماعة من الشيعة فقال: «إنّ كلامي لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميتاً ألا يا أشباحاً بلا أرواح وذباباً بلا مصباح كأنّكم خشب مسندة وأصنام مريدة ألا تأخذون الذهب من الحجر ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر، خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها فإنّ الله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾(٢).

ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فأينا يعطيك باقياً درهم يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمائة ضعف مضاعفة من جواد كريم أتاك الله عند مكافأة هو مطعمك وساقيك وكاسيك ومعافيك وساترك ممن يراعيك من حفظك في ليلك ونهارك وأجابك عند اضطرارك وعزم لك على الرشد

(١) قادتنا كيف نعرفهم ٢: ٤٠٥ - ٤٠٧، من جواهر العقدين، العقد الثاني، الذكر الخامس: ١٩٥، ورواه محمد بن طلحة في مطالب السؤل: ١٤٠.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٨.

في اختبارك، كأنّك قد نسيت ليالي أوجاعك وخوفك دعوته فاستجاب لك فاستوجب بجميل صنيعه الشكر فنسيته فيمن ذكر وخالفته فيما أمر.

ويلك إنّما أنت لص من لصوص الذنوب كلما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه فارتكبته فإنّك لست بعين الله أو فإن الله ليس لك بالمرصاد يا طالب الجنة ما أطول نومك وأكل مطيتك وأوهى همتك فلله أنت من طالب ومطلوب ويا هراباً من النار ما أحث مطيتك إليها وما أكسبك لما يوقعك فيها.

انظر إلى هذه القبور سطوراً بأفناء الدور تدانوا في خططهم وقربوا في فرارهم وبعدوا في لقائهم عمروا فخربوا وأنسوا فأوحشوا وسكنوا فأزعجوا وقنطوا فرحلوا فمن سمع بدان بعيد وشاحط قريب وعامر مخرب وأنس موحش وساكن مزعج وقاطن مرحل غير أهل القبور»[١].

ثالثاً: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إلى جماعة شيعته وأصحابه قال:

«أمّا بعد....

فسلوا ربكم العافية وعليكم بالدعة والوقار والسكينة والحياء والتنزه عما تنزه الصالحون منكم وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم وإياكم ومقاطعتهم دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام فإنّه لا بدّ لكم من مجالستهم

(١) تحف العقول: ٢١١ - ٢١٢.

ومخالطتهم ومنازعتهم بالتقية التي أمركم الله بها فإذا ابتليتم بذلك منهم فإنّهم سيؤذونكم ويعرفون في وجوهكم المنكر.

ولولا أنّ الله يدفعهم عنكم لسطوا بكم وما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدون لكم، مجالسكم ومجالسهم واحدة إنّ العبد إذا كان الله خلقه في الأصل - أصل الخلقة - مؤمناً لم يمت حتى يكرّه إليه الشر ويباعده منه ومن كره الله إليه الشر وباعده منه عافاه الله من الكبر أن يدخله والجبرية فلانت عريكته وحسن خلقه وطلق وجهه وصار عليه وقار الله مودّة الناس ومجاملتهم فترك مقاطعة الناس والخصومات ولم يكن منها ولا من أهلها في شيء.

وإنّ العبد إذا كان الله خلقه في الأصل - أصل الخلقة - كافراً لم يمت حتى يحبب إليه الشرّ ويقربه منه، فإذا حبب إليه الشرّ وقرّبه منه ابتلي بالكبر والجبرية فقسا قلبه وساء خلقه وغلظ وجهه وظهر فحشه وقل حياؤه وكشف الله ستره وركب المحارم فلم ينزع عنها وركب معاصي الله وأبغض طاعته وأهلها فبعد ما بين حال المؤمن والكفار فسلوا العافية واطلبوها إليه ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

أكثروا من الدعاء فإنّ الله يحب من عباده الذين يدعونه وقد وعد عباده المؤمنين الاستجابة والله مصير دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنة وأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار فإنّ الله أمر بكثرة الذكر له والله ذاكر من ذكره من المؤمنين إنّ الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلّا ذكره بخير.

وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم وعليكم بحبّ المساكين المسلمين فإنّ من حقرهم وتكبر عليهم فقد زلّ عن دين الله والله له حاقر ماقت وقد قال أبونا رسول الله: أمرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم واعلموا أنّ من حقّر أحداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقته الناس أشدّ مقتاً فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين فإنّ لهم عليكم حقاً أن تحبوهم فإنّ الله أمر نبيه ﷺ بحبهم فمن لم يحبّ من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات من الغاوين.

إياكم والعظمة والكبر فإنّ الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذلّه يوم القيامة إياكم أن يبغي بعضكم على بعض فإنّها ليست من خصال الصالحين فإنّه من بغى صير الله بغيه على نفسه وصارت نصرة الله لمن بغى عليه ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من ماله.

إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإنّ الكفر أصله الحسد.

إياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم يدعو الله عليكم ويستجاب له فيكم فإنّ أبانا رسول الله يقول: إنّ دعوة المسلم المظلوم مستجابة.

إياكم أن تشره نفوسكم إلى شيء مما حرم الله عليكم فإنّ من انتهك ما حرّم الله عليه هاهنا شيئاً في الدين حال الله بينه وبين الجنة نعيمها ولذاتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنة أبد الدهر».

رابعاً: ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام من وصاياه إلى شيعته عن

طريق تلميذه عبد العظيم الحسني الذي يزار في منطقة الري فلقد كان يرسله ليبلغ أولياءه ما يريد منهم قائلاً له: «يا عبد العظيم أبلغ عني أوليائي السلام وقلّ لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً وأمرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة وأمرهم بالسكوت وترك الجدال في ما لا يعنيهم وإقبال بعضهم على بعض والمزاورة فإنّ ذلك قربةً إليَّ ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً، المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضهم بعضاً، مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً فإنّي آليت على نفسي أنّه من فعل ذلك وأسخط ولياً من أوليائي دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشدّ العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين، وعرفهم أنّ الله قد غفر لمحسنهم وتجاوز عن مسيئهم إلّا من أشرك به أو آذى ولياً من أوليائي أو أضمر له سوءاً فإنّ الله لا يغفر حتى يرجع عنه فإن رجع عنه وإلّا نزع روح الإيمان من قلبه وخرج من ولايتي ولم يكن له نصيب في ولايتنا وأعوذ بالله من ذلك»[1].

خامساً: ما ورد عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام حينما دخل عليه عائداً الصحابي الجليل جنادة بن أبي أُميّة فالتفت إلى الإمام قائلاً: عظني يا ابن رسول الله، فأجابه الإمام بكلمات ذهبية أغلى وأثمن من الجوهر قائلاً: «يا جنادة استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك

(١) مسند الإمام الرضا عليه السلام ١: ٣٩٢ - ٣٩٣.

واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه واعلم أن لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلّا كنت خازناً لغيرك.

واعلم أنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب، ما نزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيه وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة وإن كان العقاب فالعقاب يسير.

واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته عزّوجلّ وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا أخذت منه صانك وإذا أردت منه معونة أعانك وإن قلت صدق قولك وإن صلت شدّ صولتك وإن مددت يدك بفضل مدها وإن بدت منك ثلمة سدّها وإن رأى منك حسنة عدها وإن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت به إحدى الملمات واساك ومن لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وإن تنازعتما منقسماً آثرك»(١).

سادساً: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي عليه السلام: «يا علي أوصيك بوصية فاحفظها فلن تزال بخير ما حفظت وصيتي.

---

(١) أعيان الشيعة ٤: ٨٥.

يا علي، من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً يجد طعمه.

يا علي من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروءته، (ولم يملك الشفاعة).

يا علي أفضل الجهاد من أصبح ولم يهم بظلم أحد.

يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار.

يا علي شرّ الناس من أكرمه الناس اتقاء شرّه.

يا علي من ترك الخمر لغير الله سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم.

فقال علي: لغير الله؟

قال ﷺ: نعم، والله صيانةً لنفسه يشكره الله على ذلك.

يا علي كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام.

يا علي جعلت الذنوب كلّها في بيت وجعل مفتاحها شرب الخمر.

يا علي ينبغي أن تكون في المؤمن ثمان خصال: وقار عند الهزاهز وصبر عند البلاء وشكر عند الرخاء وقنوع بما رزقه الله عزّ وجلّ ولا يظلم الأعداء ولا يتحامل على الأصدقاء بدنه منه في تعب والناس منه في راحة.

وإيّاك وخصلتين الضجر والكسل فإنّك إن ضجرت لم تصبر على حقّ وإن كسلت لم تؤدها حقاً.

يا علي من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة»[1]، إلى آخر الوصية.

---

(١) مع الرسول الأعظم ﷺ في حكمه ووصاياه: ٩ - ١٤.

سابعاً: ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في وصيته لهشام بن الحكم الكندي وهو من أصحاب الإمام عليه السلام وقد اتفق الأصحاب على وثاقته وعظم قدره وقد صحب ثلاثة من الأئمة المعصومين الإمام الصادق عليه السلام والإمام موسى بن جعفر عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام قائلاً له:

«يا هشام إنّ الله تعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾[1].

يا هشام إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[2] يعني: عقل. وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[3]، قال: الفهم والعقل.

يا هشام! إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس وإن الكيس لدى الحق يسير. يا بني! إن الدنيا بحر عميق، قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر.

يا هشام لكل شيء دليل ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطية، ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه.

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٢.

يا هشام إن لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام! من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان هواه على هدم عقله: من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام! كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك؟

يا هشام! الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب في ما عند ربه، وكان الله آنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزه في غير عشيرة.

يا هشام! نصب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العالم بالعقل.

يا هشام! قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام! إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام! إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك.

يا هشام! إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟! وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام! إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما.

يا هشام! إن العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت، فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام! من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرع إلى الله عَزَّوَجَلَّ في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبدا.

يا هشام! إن الله جل وعز حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[1] حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها. إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا، وسره لعلانيته موافقا، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه، وناطق عنه.

يا هشام! كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما من شيء عبد الله به أفضل من العقل. وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، ولا يشبع من العلم دهره. الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيرا منه، وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام، من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه، ومن حسن بره بإخوانه وأهله مد في عمره.

يا هشام! لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

يا هشام! كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا.

يا هشام! إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

يا هشام! لا دين لمن لا مروة له، ولا مروة لمن لا عقل له، وإن أعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا، أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام! إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق. إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق. وقال الحسن بن علي عليه السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها. قيل: يا ابن رسول الله، ومن أهلها؟ قال: الذين قص الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] قال: هم أولو العقول. وقال علي بن الحسين عليه السلام: مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وأدب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروة، وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا.

يا هشام إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يتقدم على ما يخاف العجز عنه. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه يقول: أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكتساب في الفقر والغنى، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمن ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم، وليكن نظركم عبرا،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

وصمتكم فكرا، وقولكم ذكرا، وطبيعتكم السخاء، فإنه لا يدخل الجنة بخيل، ولا يدخل النار سخي.

يا هشام رحم الله من استحيى من الله حق الحياء، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات.

يا هشام من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة، ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامة.

يا هشام إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

يا هشام وجد في ذؤابة سيف رسول الله ﷺ: إن أعتى الناس على الله من ضرب غير ضاربه، وقتل غير قاتله، ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ، ومن أحدث حدثا، أو آوى محدثا لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا.

يا هشام أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة به: الصلاة، وبر الوالدين، وترك الحسد والعجب والفخر.

يا هشام أصلح أيامك الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو؟ وأعد له الجواب، فإنك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر وأهله، فإن الدهر طويلة قصيرة، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لتكون أطمع في ذلك، واعقل عن الله وانظر في تصرف الدهر وأحواله، فإن ما هو آت من الدنيا، كما ولى منها، فاعتبر بها. وقال علي بن الحسين عليه السلام: إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها، بحرها

وبرها، وسهلها وجبلها، عند ولي من أولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كفئ الظلال. ثم قال عليه السلام: أولا حر يدع هذه اللماظة لأهلها - يعني الدنيا -؟! فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها، فإنه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس.

يا هشام إن كل الناس يبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة، ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها.

يا هشام إن المسيح عليه السلام قال للحواريين: يا عبيد السوء! يهولكم طول النخلة، وتذكرون شوكها ومؤونة مراقيها، وتنسون طيب ثمرها ومرافقها، كذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة فيطول عليكم أمده، وتنسون ما تفضون إليه من نعيمها ونورها وثمرها. يا عبيد السوء! نقوا القمح وطيبوه وأدقوا طحنه تجدوا طعمه ويهنئكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبه. بحق أقول لكم: لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضأتم به ولم يمنعكم منه ريح نتنه، كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها. يا عبيد الدنيا! بحق أقول لكم: لا تدركون شرف الآخرة إلا بترك ما تحبون، فلا تنظروا بالتوبة غدا، فإن دون غد يوما وليلة وقضاء الله فيهما يغدو ويروح. بحق أقول لكم: إن من ليس عليه دين من الناس أروح وأقل هما ممن عليه الدين وإن أحسن القضاء، وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح هما ممن عمل الخطيئة وإن أخلص التوبة وأناب، وإن صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس،

يحقرها لكم ويصغرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحبط بكم. بحق أقول لكم: إن الناس في الحكمة رجلان: فرجل أتقنها بقوله وصدقها بفعله، ورجل أتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله، فشتان بينهما، فطوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول. يا عبيد السوء! اتخذوا مساجد ربكم سجونا لأجسادكم وجباهكم، واجعلوا قلوبكم بيوتا للتقوى، ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات، إن أجزعكم عند البلاء لأشدكم حبا للدنيا، وإن أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا. يا عبيد السوء! لا تكونوا شبيها بالحداء الخاطفة، ولا بالثعالب الخادعة، ولا بالذئاب الغادرة، ولا بالأسد العاتية، كما تفعل بالفرائس، كذلك تفعلون بالناس، فريقا تخطفون، وفريقا تخدعون، وفريقا تغدرون بهم. بحق أقول لكم: لا يغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحا وباطنه فاسدا، كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم، وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة. لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم. يا عبيد الدنيا! إنما مثلكم مثل السراج يضيئ للناس ويحرق نفسه. يا بني إسرائيل! زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثواً على الركب، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر.

يا هشام مكتوب في الإنجيل: طوبى للمتراحمين، أولئك هم المرحومون يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس، أولئك هم المقربون يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم، أولئك هم المتقون يوم

القيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة.

يا هشام: قلة المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت، فإنه دعة حسنة، وقلة وزر، وخفة من الذنوب، فحصنوا باب الحلم، فإن بابه الصبر، وإن الله عزّ وجلّ يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء إلى غير إرب، ويجب على الوالي أن يكون كالراعي لا يغفل عن رعيته ولا يتكبر عليهم، فاستحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم،واعلموا أن الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه غيبة عالمكم بين أظهركم.

يا هشام تعلم من العلم ما جهلت، وعلم الجاهل مما علمت، عظم العالم لعلمه، ودع منازعته، وصغر الجاهل لجهله، ولا تطرده، ولكن قربه وعلمه.

يا هشام إن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها. وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إن لله عبادا كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق وإنهم لفصحاء عقلاء، يستبقون إلى الله بالأعمال الزكية، لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، يرون في أنفسهم أنهم أشرار وإنهم لأكياس وأبرار.

يا هشام الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار.

يا هشام المتكلمون ثلاثة: فرابح وسالم وشاجب، فأما الرابح

فالذاكر لله، وأما السالم فالساكت، وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل، إن الله حرم الجنة على كل فاحش بذئ، قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه. وكان أبو ذر ﷺ يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وورقك.

يا هشام بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه، إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله، إن أسرع الخير ثوابا البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وإن شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

يا هشام لا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا، ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو.

يا هشام قال الله جل وعز: وعزتي وجلالي وعظمتي وقدرتي وبهائي وعلوي في مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت الغنى في نفسه، وهمه في آخرته، وكففت عليه في ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر.

يا هشام الغضب مفتاح الشر، وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وإن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحدا منهم إلا من كانت يدك عليه العليا فافعل.

يا هشام عليك بالرفق، فإن الرفق يمن، والخرق شؤم، إن الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار، ويزيد في الرزق.

يا هشام قول الله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[1] جرت في المؤمن والكافر، والبر والفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فإن صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء.

يا هشام إن مثل الدنيا مثل الحية مسها لين، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها الرجال ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

يا هشام اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، فإنما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سرورا ولا حزنا، وما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها فكأنك قد اغتبطت.

يا هشام مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله.

يا هشام إياك والكبر، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكبه الله في النار على وجهه.

يا هشام ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسنا استزاد منه، وإن عمل سيئا استغفر الله منه وتاب إليه.

يا هشام! تمثلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأة زرقاء فقال لها: كم تزوجت؟ فقالت: كثيرا. قال: فكل طلقك؟ قالت: لا، بل كلاً

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

قتلت. قال المسيح عليه السلام: فويح لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين؟!.

يا هشام إن ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئا استضاء الجسد كله، وإن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلا كان عالما بربه وإذا كان عالما بربه أبصر دينه، وإن كان جاهلا بربه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية، فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلا بالعقل.

يا هشام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل، ألم تعلم أن من شمخ إلى السقف برأسه شجه، ومن خفض رأسه استظل تحته وأكنه؟! وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه.

يا هشام ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد النسك، وأقبح من ذلك العابد لله ثم يترك عبادته.

يا هشام لا خير في العيش إلا لرجلين: لمستمع واع، وعالم ناطق.

يا هشام ما قسم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وما بعث الله نبياً إلا عاقلاً حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين، وما أدى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه.

يا هشام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم المؤمن صموتا فأدنوا منه، فإنه يلقي الحكمة، والمؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

يا هشام أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لعبادي لا يجعلوا بيني وبينهم عالما مفتونا بالدنيا فيصدهم عن ذكري، وعن طريق محبتي ومناجاتي، أولئك قطاع الطريق من عبادي، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام من تعظم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض، ومن تكبر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله، ومن ادعى ما ليس له فهو أعنى لغير رشده.

يا هشام أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود حذر وأنذر أصحابك عن حب الشهوات، فإن المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عني.

يا هشام إياك والكبر على أوليائي والاستطالة بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك، وكن في الدنيا كساكن دار ليست له، إنما ينتظر الرحيل.

يا هشام مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومشاورة العاقل الناصح يمن وبركة ورشد وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب.

يا هشام إياك ومخالطة الناس والأنس بهم إلا أن تجد منهم عاقلا ومأمونا فآنس به، واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية، وينبغي للعاقل إذا عمل عملا أن يستحيي من الله، وإذا تفرد له بالنعم أن يشارك في عمله أحدا غيره، وإذا مر بك أمران لا تدري أيهما خير

وأصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن كثير الصواب في مخالفة هواك، وإياك أن تغلب الحكمة وتضعها في أهل الجهالة.

قال هشام: فقلت له: فإن وجدت رجلا طالبا له غير أن عقله لا يتسع لضبط ما ألقي إليه؟ قال عليه السلام: فتلطف له في النصيحة، فإن ضاق قلبه فلا تعرضن نفسك للفتنة، واحذر رد المتكبرين، فإن العلم يدل على أن يملى على من لا يفيق. قلت: فإن لم أجد من يعقل السؤال عنها؟ قال عليه السلام: فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول وعظيم فتنة الرد، واعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده، ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده، ولم يفرج المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته، فما ظنك بالرؤوف الرحيم الذي يتودد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه؟! وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يترضاه ويختار عداوة الخلق فيه؟!

يا هشام من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أوتي عبد علما فازداد للدنيا حبا إلا ازداد من الله بعدا، وازداد الله عليه غضبا.

يا هشام إن العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به، وأكثر الصواب في خلاف الهوى، ومن طال أمله ساء عمله.

يا هشام لو رأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل.

يا هشام إياك والطمع، وعليك باليأس مما في أيدي الناس، وأمت الطمع من المخلوقين، فإن الطمع مفتاح للذل، واختلاس العقل،

واختلاق المروات، وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم، وعليك بالاعتصام بربك والتوكل عليه، وجاهد نفسك لتردها عن هواها، فإنه واجب عليك كجهاد عدوك. قال هشام: فقلت له: فأي الأعداء أوجبهم مجاهدة؟ قال عليه السلام: أقربهم إليك، وأعداهم لك، وأضرهم بك، وأعظمهم لك عداوة، وأخفاهم لك شخصا مع دنوه منك، ومن يحرض أعداءك عليك، وهو إبليس الموكل بوسواس من القلوب، فله فلتشتد عداوتك، ولا يكونن أصبر على مجاهدته لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فإنه أضعف منك ركنا في قوته، وأقل منك ضررا في كثرة شره، إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت إلى صراط مستقيم.

يا هشام من أكرمه الله بثلاث فقد لطف له: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر.

يا هشام احذر هذه الدنيا واحذر أهلها، فإن الناس فيها على أربعة أصناف: رجل مترد معانق لهواه، ومتعلم مقرئ كلما ازداد علما ازداد كبرا، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه، وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، يحب أن يعظم ويوقر، وذي بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرفه فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه، وأوجههم عقلا.

يا هشام اعرف العقل وجنده، والجهل وجنده، تكن من المهتدين. قال هشام: فقلت: جعلت فداك، لا نعرف إلا ما عرفتنا. فقال عليه السلام:

يا هشام إن الله خلق العقل وهو أول خلق خلقه الله من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر، فأدبر. ثم قال له: أقبل، فأقبل. فقال الله جل وعز: خلقتك خلقا عظيما وكرمتك على جميع خلقي. ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلماني، فقال له: أدبر، فأدبر. ثم قال له: أقبل، فلم يقبل. فقال له: استكبرت، فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جندا، فلما رأى الجهل ما كرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة. فقال الجهل: يا رب! هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته وأنا ضده ولا قوة لي به، أعطني من الجند مثل ما أعطيته. فقال تبارك وتعالى: نعم، فإن عصيتني بعد ذلك أخرجتك وجندك من جواري، ومن رحمتي. فقال: قد رضيت، فأعطاه الله خمسة وسبعين جندا، فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين جندا: الخير، وهو وزير العقل، وجعل ضده الشر، وهو وزير الجهل. الإيمان - الكفر، التصديق - التكذيب، الإخلاص - النفاق، الرجاء - القنوط، العدل - الجور، الرضا - السخط، الشكر - الكفران، اليأس - الطمع، التوكل - الحرص، الرأفة - الغلظة، العلم - الجهل، العفة - التهتك، الزهد - الرغبة، الرفق - الخرق، الرهبة - الجرأة، التواضع - الكبر، التؤدة - العجلة، الحلم - السفه، الصمت - الهذر، الاستسلام - الاستكبار، التسليم - التجبر، العفو - الحقد، الرحمة - القسوة، اليقين - الشك، الصبر - الجزع، الصفح - الانتقام، الغنى - الفقر، التفكر - السهو، الحفظ - النسيان، التواصل - القطيعة، القناعة - الشره، المواساة - المنع، المودة - العداوة، الوفاء - الغدر، الطاعة -

المعصية، الخضوع - التطاول، السلامة - البلاء، الفهم - الغباوة، المعرفة - الإنكار، المدارأة - المكاشفة، سلامة الغيب - المماكرة، الكتمان - الإفشاء، البر - العقوق، الحقيقة - التسويف، المعروف - المنكر، التقية - الإذاعة، الإنصاف - الظلم، التقى - الحسد، النظافة - القذر، الحياء - الخلع، القصد - الإسراف، الراحة - التعب، السهولة - الصعوبة، العافية - البلوى، القوام - المكاثرة، الحكمة - الهوى، الوقار - الخفة، السعادة - الشقاء، التوبة - الإصرار، المحافظة - التهاون، الدعاء - الاستنكاف، النشاط - الكسل، الفرح - الحزن، الألفة - الفرقة، السخاء - البخل، الخشوع - العجب، صون الحديث - النميمة، الاستغفار - الاغترار، الكياسة - الحمق.

يا هشام لا تجمع هذه الخصال إلا لنبي أو وصي أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من المؤمنين فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتى يستكمل العقل ويتخلص من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. وفقنا الله وإياكم لطاعته.

ويمكننا أن نستنتج من خلال هذه الكلمات الذهبية التي وردت عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام دروساً للشيعة وأصحابهم بالأبعاد التالية:

البعد الأول: أنّ الإمام هو القائد الموجه لكل أتباعه وجنوده يبتدأهم إذا لم يسألوه ويجيبهم إذا سألوه.

البعد الثاني: ينبغي أن يكون الإنسان على معرفة بخطوات الشيطان

ووساوسه وحِيلَه وألاعيبه لكي يغلق الطرق التي يمكن أن يأتي إليه منها.

البعد الثالث: إنّ الإمام عليه السلام ينصح أصحابه وشيعته بعدم الوقوع في الكذب لأنّه يعطل وضوح الحقيقة في الواقع.

البعد الرابع: أنّ الأئمة عليهم السلام يريدون من شيعتهم أن ينهجوا نهجهم ويتبعوا آثارهم في كل مفردات الحياة الدنيوية والأُخروية.

البعد الخامس: يظهر من خلال وصايا الأئمة عليهم السلام أنّ المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

البعد السادس: تؤكد هذه الوصايا على قيمة العقل لدى الإنسان وأنّه القوة المفكرة التي تحسب للإنسان حسابات الأشياء بكل دقة.

البعد السابع: ترشد هذه الوصايا إلى أهميّة إعانة الضعيف وأنّه من أفضل الصدقات وأنّ الله تعالى يكتب الأجر الجزيل على هذا الفعل الحسن.

البعد الثامن: يحذر أهل البيت عليهم السلام من الدنيا وما فيها من الزخارف بأن لا يغترّ المؤمن المستبصر بها لأنّها دار زوال تنتقل بأهلها من حال إلى حال وحبها يذهب بخوف الآخرة.

البعد التاسع:

هذه الوصايا بمثابة الحجة على كل إنسان لكي يعرف طريقه الواضح فلا ينخرط في ألاعيب الشيطان وملهيات الهوى.

البعد العاشر: هذه الوصايا تحثّ على الاستعداد للسفر الطويل

المقبل عليه الإنسان لا محالة ولا مفر منه فلا بدّ أن يحصل الزاد قبل حلول الأجل.

البعد الحادي عشر: إنّ مقتضى الولاء لأهل البيت عليهم السلام أن نأتمر بأمرهم ونتهي عن نواهيهم وهذه علامة دالة على حبهم والولاء الصحيح لهم.

البعد الثاني عشر: يؤكد أهل البيت من خلال وصاياهم على حسن الخلق وطلاقة الوجه والتواضع وعدم التكبر على بني البشر عموماً وعلى المؤمنين خصوصاً.

البعد الثالث عشر: يؤكد أهل البيت عليهم السلام على التراحم والرحمة وأن المتراحمين هم المرحومون يوم القيامة فطوبى لهم ثمَّ طوبى لهم لأنّهم قريبون من رحمة الله تعالى.

البعد الرابع عشر: تنهى وصايا الأئمة عليهم السلام عن البغي وأنّه ليس من خصال الصالحين ومن بغى أوقعه الله ببغيه وأعد له في الآخرة عذاباً عظيماً.

البعد الخامس عشر: امتثال أوامر الإمام هو امتثال لأمر الله تعالى وأداءٌ لحقه الذي لا يعرفه الإنسان إلا من خلال الإمام عليه السلام.

المصادر

القرآن الكريم
تفسير فرات لفرات بن إبراهيم.
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
روائع نهج البلاغة لجورج جرداق.
تحف العقول لابن شعبة الحراني.
علل الشرائع للشيخ الصدوق.
عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق.
الكافي للكليني.
لئالئ الأخبار لابن أبي جمهور الإحسائي.
وسائل الشيعة للحر العاملي.
مستدرك وسائل الشيعة للنوري الطبرسي.
المحاسن للبرقي.
مشكاة الأنوار للبرقي.
مرآة الجنان للمامقاني.
المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.
مسند الإمام الرضا عليه السلام لداود بن سليمان.
المقنع للشيخ الصدوق.

الاحتجاج للشيخ الطوسي.
بحار الأنوار للشيخ المجلسي.
الإرشاد للشيخ المفيد.
أمالي الطوسي للشيخ الطوسي.
الخصال للشيخ الصدوق.
الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة للشيخ أسد حيدر.
كتاب سليم بن قيس لسليم بن قيس الهلالي.
تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي.
دفاع عن العقيدة لمركز المصطفى صلى الله عليه وآله.
الرسائل العشر للشيخ الطوسي.
الأخلاق للسيد عبد الله شبر.
الأخلاق في حديث واحد للشيخ عبد الصاحب المظفر.
الإنفاق في سبيل الله للسيد عزّ الدين بحر العلوم.
جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ.
سنن ابن ماجة لابن ماجة.
شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد.
الفرق والمقالات للنوبختي.
اليقين في معرفة أُصول الدين للسيد عبد الله شبر.
الفصول المهمة للشيخ عبد الحسين شرف الدين.
جامع السعادات للشيخ النراقي.
كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام للأربلي.

عدة الداعي	لابن فهد الحلي.
الصواعق المحرقة	لابن حجر.
مناقب آل أبي طالب	لابن شهرآشوب.
الملل والنحل	للشهرستاني.
فرق الشيعة	للنوبختي.
الزينة	لأبي حاتم الرازي.
معجم البلدان	للحموي.
مقاتل الطالبيين	لأبي فرج الأصفهاني.
فرائد السمطين	للحموي.
أصل الشيعة وأُصولها	للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.
أعيان الشيعة	للسيد محسن الأمين.
الشيعة بين الحقائق والأوهام	للسيد محسن الأمين.
الإمامة والسياسة	لابن قتيبة.
روضات الجنات	للخونساري.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب	لابن عماد الحنبلي.
لؤلؤة البحرين	للشيخ يوسف البحراني.
منهج المقال في علم الرجال	للمامقاني.
بشارة المصطفى	لمحمد بن علي الطبري.
الذريعة إلى تصانيف الشيعة	لأغا بزرك الطهراني.
حياة الشيخ الطوسي	لأغا بزرك الطهراني.
المراجعات	للسيد عبد الحسين شرف الدين.
في رحاب العقيدة	للسيد محمد سعيد الحكيم.

الإسلام ينابيعه ومناهجه للشيخ محمد أمين زين الدين.
تاريخ الشيعة للشيخ محمد حسين المظفر.
المكاسب للشيخ الأنصاري.
تاريخ وتطور الفقه والأُصول للسيد محمد جعفر الحكيم.
فلسفة الأخلاق في الإسلام للشيخ محمد جواد مغنية.
مكيال المكارم للميرزا محمد تقي الأصفهاني.
المهدي (عج) من المهد إلى الظهور للسيد محمد كاظم القزويني.
تاريخ الخلفاء للسيوطي.
تاريخ اليعقوبي لابن واضح اليعقوبي.
موسوعة الفرق الإسلامية د. محمد جواد مشكور.
الدعوة الإسلامية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.
المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة.
علي عليه السلام وبنوه لطه حسين.
علي عليه السلام بين أمّه وأبيه للمؤلف.
الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للشيخ محمد باقر الناصري.
الدعوة الإسلامية في عهدها المكي د. رؤوف شلبي.
منهج الدعوة في العهد المدني د. حسن عبد الحميد.
لمحات اجتماعية د. علي الوردي.
النظام التربوي في الإسلام للشيخ باقر شريف القرشي.
نظام الحكم والإدارة في الإسلام للشيخ باقر شريف القرشي.
فلسفة التشريع في الإسلام د. صبحي المحمصاني.
بحث حول الولاية للسيد محمد باقر الصدر.

عالمية الإسلام والعولمة إعداد السيد طه مرقاتي.
العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية للسيد حسن بحر العلوم.
المناظرات العقيدية بين المسلمين وبين اليهود والنصارى والزنادقة د. وليد عبد الحميد فرج الله.
النظم السياسية لثروة بدوي.
العرب والعولمة لصباح ياسين علي.
ذكريات لا مذكرات لعمر التلمساني.
الديمقراطية أمل الإنسانية ترجمة يوسف الخال.
محاضرات في الفلسفة الإسلامية د. يحيى هودي.
القاموس المحيط للفيروزآبادي.
لسان العرب لابن منظور.
المصباح المنير للفيومي.
تاج العروس للزبيدي.

الفهرس

الشيعة بين القرآن والسنة

أصناف الشيعة

فرق الشيعة

تاريخ الشيعة

تعداد الشيعة

دول الشيعة

مراحل تطور الشيعة

رجحان المذهب الجعفري على غيره

آلية الخطاب الشيعي

الفكر الشيعي بين النظرية والتطبيق

أبرز علماء الشيعة على مدى التاريخ

الشيعة في رأي المنصفين

الدعوة الشيعية إلى إصلاح النفوس

الخُلُق الشيعي وأصالته الروحية

الانفتاح الحضاري على الآخرين

استخدام مبدأ التقية لأجل التعايش السلمي

الشيعة واحترامها لمعتقدات الآخرين

الشيعة رواد الفكر والثقافة

الشيعة والعلاقات البشرية

المنظور الشيعي لاحترام حقوق الإنسان

العقلية الشيعية والتطور

الرؤية الشيعية لمفهوم العولمة

المذهب الجعفري ورفضه للتعصب المذهبي

الديمقراطية من المنظور الشيعي

الرؤية الشيعية لنبذ الظلم والطغيان

معيار العدل والسلام عند الشيعة

الرؤية الشيعية للاتجاهين القومي والأُممي

التكافل الاجتماعي في المنظور الشيعي

المنظور الشيعي في وحدة المسلمين

مواقف الشيعة من السلطات الحاكمة

الاعتقاد بشرعية المعصوم عليه السلام أو نائبه الخاص حصراً

آداب الدفاع عن النفس

نبذ العنف وعدم استخدامه ضد الآخرين

علي عليه السلام عنوان العدل والعدالة

الرؤية الشيعية للإرهاب

الدعوة الشيعية إلى الإسلام وتنقية العقيدة

الدولة المستقبلية في المفهوم الشيعي

نماذج من وصايا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى شيعتهم